واردات القلبیة لصدر المتألهین







بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد لمبدع النفس والعقل والصلوة على النبي والاهل
يقول الفقير الى رب العالمين محمد الشمس بصد رالدين جعل
الله عين عقله مكحلة بنور الهدى وكشف عنها غيم غمم
الطبيعة والهوى ايها الطالب للسعادة الموبدة والشايق الى
مصادفة الصور المجردة انى هاتف بك ببعض ما القى الى في
من وارد وفهم لى شرب منه في المصادر قبل الوارد ونود بت
من سرى في سيرى ولم اقلد فيه غيرى لى مثالا لما رسمته
انقيادا لما حكمت فاوردته في كلمات عقلية عزيزة عن نفثات
روعية عجيبة مودعة في عدة فصول هي للحقايق دعايم واصول
كتبتها للكل ذكى زكى وارجوا صونها عن كل غبى غوى وسميتها
بالواردات القلبية في معرفة الربوبية والله الهادى الى طريق
الرشاد وبه الاعتصام وعليه التوكل والاعتماد فيض الوجود

اول

بالتسبيحات

اول الاوايل التصورية واعرف الاشياء الفطرية زايد في التصور على
الهوية لا على ما هو صرف الانية وهو الوجود الحق والقيوم المطلق
الذى هو هو بل لا هو الا هو لان ما لا يكون بذاته موجودا لا ينفك
عنه هلاكه الذاتى وان صار بالارتباط الى الحق موجودا وليعلم
انه ذات قايم بذاته والوجودات الاثباتية نسبه واضافاته وشيونه
واعتباراته كان الوجود القيومي ممتنه في نفسها وما سواه من الوجودات
والموجودات لوازم ما المشتر عدم عنها فالاول غنى عما عداه بل لا موجود
سواه يتقدس عن شريك ونظير اذ ليس لصرف الشي الى الاثنينية
مصير جل عن الوهم والخيال ودفع عن الاحاطة والمثال الاذهان
العالية والسافلة في القصور عن اكتناه ذاته متشابهة متشاكلة
لا يحيط بحقيقته العقول والافكار ولا تدركه البصاير والابصار
لا يحوم حوم حماه حايم ولا يرد تحقيقه رايم لا يلمس بالاحساس
ولا يدرك بالحواس العقل عن دركه كالوهم معزول والكل في حقيقته
كنهه اضاليل الذى حول جنابه يحار والطالب نور جماله يتقيد
بالاستار لا يعلم كنهه الا الله ولا ينال الهدى البغية سواه فبطن
عن عيون المحجوبين في عين ظاهريته وظهر لقلوب العارفين في
عين باطنيته وليس ذلك الا تجليه بصورة ما اراد اظهاره وتنزله
الى مراتب الاكوان عند اسباله واستاره وليس حال ما يطلق عليه
السوى والاغيار الا كحال الامواج على البحر الزخار اذ كل ما يرتسم

في العقول والاذهان فهو ينبعث من حيز القوة والامكان فهو
مما تصورت في حقه فاصل بل من كل ما يقال ويظن مزايل البنية
اجل من ان يستر ومهيته اخفى من ان تظهر وليس لجماله حجاب الا
النور ولا لذاته نقاب الا الظهور ولم يمنع القلوب من الاستنارة
والاستجلاء بعد تركيبها عن كدورات سموات الدنيا الا شدة الاشراق
وضعف الاحداق شعر كالشمس يمنعك اجتلاوك وجهها
فاذا اكتست برقيق غيم امكنا فسبحان من اختفى عن بصائر الخلق
نوره واحتجب بحجبه عنهم لشدة ظهوره فيض ذاته صفاته جلت
اسماؤه وتقدست آلاؤه قديم ازلي باق سرمدي معلل العلل
فاعل غير منفعل يبدي ما يشاء ويفعل ما يريد وفيضه لا ينقص
وجوده لا يبيد لا يشغله شان عن شان وكل يوم هو في شان
منشئ النشاة الاولى ومبدع الفطرة الثانية والدار الاخرى رافع
من وحده الى الجنة العليا ومهبط من جحده الى قعر جهنم السفلى لا
يصدر ما يصدر عنه عن همة زائدة ولا طبيعة بل هو عن القصد و
الطبيعة في رتبة رفيعة اذ كل قصد يصير لغرض مواصلاً
مقاصده به يصير كاملا فلا مقتضى لجوده سوى وجوده الذي
لا تضرب له الامثال نفعا ينال او صيتا يقال وكل جود يترتب عليه
مدح وثناء فهو عند العقلاء تجارة واخذ وعطاء ولان الباعث
للنبي على شيء مستخدم له بتحصيله بل مستعبد له في تحميله ومن

الذي يستخدم المخدوم المقصود ويستعبد المعبود المسجود فسبحان
من فالق فاتح بيده مفاتيح الفواتح ومقاليد المساعي والمناجح
يتعاظم عن الدواعي والعلل لذلك قال لا يسئل عما يفعل اظهر
الاشياء بلا فكرة ولا روية بل كانت نشأ الافكار من العقول الذكية
كيف ولا تحتاج الروية الى الروية فما ظنك بخالق افكار البرية
فلا غاية له في فعل الوجود الا افاضة الخير والجود بل ليس لجوده
غاية سوى وجوده اذ هو غاية الغايات ونهاية النهايات اليه
ينتهي كل موجود وبه يقضى كل حاجة ومقصود انما الغاية في فعله
لما سواه من ذوي الفقر والحاجة واولي المسكنة والفاقة وهو ايضا
كل واحد الى كماله وادواء كل وارد من مشربه جماله اذ لم يخلق هذا الجسماني
الفسيح والفلك الدوار المسبح الا لامر عظيم خطير اعظم من هذا المحسوس
المحتقر فيض علمه محيط بجميع الكليات والجزئيات لا يعزب عنه
مثقال ذرة في الارض ولا في السموات علمه الذي هو نفس ذاته علة
لوجود معلوماته فاظهر كل شيء بحكمته واعطى كل شيء خلقه بقدرته
واوجد اعيان العالمين برحمته علم الاشياء في قضائه السابق جملة و
تفصيلا ثم نزلها بقدره المعلوم تنزيلا ورتبها بمقتضى مشيته احسن
الترتيب وخصصها على وفق عنايته بالتبعيد والتقريب ابدع المبدعات
بقدرته فابدى آزالها وانشأ الكائنات بحكمته فسمى آجالها ناظمها
في سلك الزمان تقديما وتاخيرا وخلق كل شيء فقدره تقديرا ولم

ولم يحتج في ذلك الى زمان ومكان بل قال كن فكان لانه اذا ابدا بابداع
الانواع كان حصول الزمان والمكان في حيز الامتناع فكل ما تقدم
ايجاد الزمان والمكان فحيطتهما له ليس في حد الامكان لا يحده المقدار
ولا تحويه الاقطار ولا يحيط به الجهات ولا تكتنفه السموات وانه مستوٍ
على العرش على الوجه المقدس عن المماسة والاستقرار والحلول و
الافتقار فلا يحمله العرش لانه وحملته محمولون بلطيف قدرته
ومقهورون تحت سلطنته في قبضته وهو فوق الجميع وفوق الكرسي
الرفيع فوقية لا يزيده قربا الى السماء وبعدا من الثرى بل رفيع
الدرجات عن العرش والسماء كما انه رفيع الدرجات عن الثرى و
هو مع ذلك قريب من كل موجود واقرب الى العبد من حبل الوريد
وهو على كل شيء شهيد تعالى ان يحويه مكان كما تقدس ان يحده
زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الان على ما عليه
كان لا يزال في نعوت جلاله وجلاله منزها عن الزوال مقدسا
عن التجدد والانتقال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال
والعقول الصافية معتمدة في تلك الحكومة لخلوها عن الازمنة
والامكنة المحققة والموهومة والامور التدريجية بالقياس الى العوالي
والنواسخ كالدهرية فلا تعتبر فوق سدرة المنتهى بل هو عالم
الثبات والبقاء فما ظنك بالله كل عقل ونفس فهو من ان يقع في
التغير والتجسم اسمى واقدس ليس عند ربك صباح ولا مساء ولا احد

ولا فناء

ولا فناء فاذا لم يكن شيء في وقت موجودا فلانه كان استعداده لقبول
الفيض مفقودا والفاعل حتى لم يكن على هذا المثال لم يستحق عند الحكماء
رتبة الكمال فان لم يتناول لاسم الفاعل لهذا المعنى وضع ومن ثم فهو
لدى العاقل الفاعل المحض وكل ما كان من الافعال بالاجسام لا ايضا
فهو عند العقل بعيد لان يصير للباري الاحقا وفعل لا يحويه ظن ووهم
لا ضير ان لم يكن له عندنا اسم فلو عرف بالاسم كل مسمى لساوى كتاب
الجاحظ كتاب الشفا فسبحان خالق الزمان ومكون المكان له الاسماء
الحسنى والامثال العليا تنبيه واجب الوجود مبدا كل فيض وجودي
وانه تعالى حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا فتور ولا
يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعز والجبروت
له القدرة والقوة والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلائق
مقهورون في قبضته لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن
قدرته تصاريف الامور ليست لغيره رتبة الابداع بل شأن من سواه
التحريك والاعداد فكل ما لم يصح صدوره مانع فهو مجرد امكانه دائما
عن الصانع وكل ما له شرائط في الايجاد ووسائط لا يتم بها في الاعداد
فهي امور مرهونة باوقاتها موقوفة على المواد وانفعالاتها وكلما
حدث استعداد في عالم المواد اتصلت به صورة او هيئة من المبدا
الجواد والجود المنقطع لا يليق بواهب العقل اذ كما يسمى اتصال الجود
يلقب انقطاعه بالبخل فبالجود المتصل خلق الله هذا الخلق العظيم

الذی تسمعه وتراه بالتاخیر والتقدیم ولیس ملاك التقدم فی
مبدعانیة الهیولی والزمان لکن الذات والرتبة والشان فسبحان
من تقدس فناوه عن عبار الحدوث والفناء **فیض** جواهر الهادیات
علوم ابداعیة وذواتها صور عقلیة لیست کاللوح علیها رسوم او
کسطور فیها علوم وکان للاوهام والتخیلات آثار فی العالم الصغیر
الادنی کذلك للعلوم والتعقلات آثار فی العالم الکبیر الاعلی فاولی
ما یتنی به الوجود وانفتح منه باب الخیر والجود جوهر قدسی واحد
لجمیع الصور المحضة والذا لا مجال للکثرة ان تتکون عن الباری معا
ولا سبیل للجسم ان یظهر عنه مبدعا وهو القلم الحق الاول و
ناقش الحقایق والعلوم علی ذوات المبادی والعلل وهو النور المحض
الذی لا تفاوت فیه والجوهر الابداعی الذی لا ضد ینافیه لا یقع
فیه التغییر والتحویل ولا یجوز علیه الانتقال والتبدیل مشرق انواره
ظاهر آثاره خاولما بداعنه محیط بما تکون منه وبعده الجواهر
العقلیة القویة علل النفوس والاجرام الکریة فللفاعل علی الفعل
الشرف والفضل ولیس یحکم بغیر هذا العقل ومتی سوغنا مساواة
النفس للعقل ادی الی مساواة العقل للواحد العدل وما هذا الا فرط
الفساد حیث یودی الی انتقاص الوحدة وانثلام الانفراد **فیض**
مبدا الباری بابداع الصور المقدسة عن تعلق الاجرام ونشاها
بالسابحات الدایبات علی الاستمرار والدوام صفوة الاول عاریة عن الهیولی

عالیة

عالیة علی الهیولی والاستعداد والتوالی محرکات للاجرام الکریة الشعاعیة
متشوقات للذوات النوریة الابداعیة والحق ان الکل مشتاقون
الی جمال رب العالمین متواجدون فی عظمته اول الاولین مشتغلون
بالاعمال المقربة الیه رقاصون فی البارقات المزلفة لدیه هو الذی
ادار رحاها وبسم الله مجریها ومرسیها ولکن لکل منها وسط یقاربه
وشوق عقلی یناسبه والا لما اختلفت الجهات والحرکات فتکثرت
العقول حسب تکثر الاجرام الحیة وتحرك الکرات فسبحان القوی
القدیر الذی قوته اخرجت هذه الاوایل وقدرته ابدعت هذه
الوسایل لترقی الهمم العالیة الی اوجها وذروتها وتخلص من قیود
الحضیض وخستها بذکر مقامها الاصلی ونشاتها **فیض** وآخر العقول
النازل هو مبدا عالم العناصر وکدخداها بید ودرجاها المبنی علی
طبقات اربع مستدیرة الاشکال بالطبع فنافها الفیض المنحدر من
بحر القضاء علی میزاب القدر وحبوبها مواد الکاینات ودقیقها
صور المرکبات من المعادن والحیوان والنبات والرحی لا یزال
تحرك الرحی ولا یباشره بل لحظات عینه التی لا تنام تدبره کما قال ولتصنع
علی عینی واصنع الفلك باعیننا ووحینا وتلالو وجه الکریم سراجه
الذی ینیره بامر المبدع العلیم فمن اراد ان یقف علی ترکیب الرحی
فلیخرج منه بما حرا ولغبطة لقیاه ناحرا حتی یطلع علی الرحی والرحوی
الذی اشرقت بنوره الارض السفلی **سفر** آسیا بان بر بینی چو اندر روی

بار الرحی
الرحی

وندرا بجامم بديدى چشمت ادبينا ستى ؛ قل سيروا فى الارض
فيكون لهم قلوب يفقهون بها والحركة المامورة فى الآية المذكورة
انما هو سير الفكر الموجب لزيادة النور فى قلوب العقلاء لا سلوك
الجسد المورث لظلمة الاعياء والاقدام الناظر فى الرجل وظلمة الهيولى
الليلاء الوحشاء لا يبصر شيئا سوى البخارات والغبارات وحينئذ
يقول فبعض بكذر حديث آسيابى كو را كندم هم رو دست و
آبش خوش شست ؛ ومن هذا الرحوى العلوى تفيض النفوس والصور
على الهيولى وبهذا الاعتبار سمى الكدخدا العنصريات وبالماديات
وهو المعلم الشديد القوى المؤيد بالقاء الوحى الى الانبياء والهام الحق
للاولياء والرؤيا الصادقة للاتقياء وهو الروح الامين المذكور
فى قول الملك الحق المبين وهو الرسول الكريم المعدود خصاله العظيم
فى قوله تعالى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين
مطاع ثم امين وهو جبرئيل على لغة السريانيين النازل على قلوب
السالكين وبالجملة فكل ما سيجرى فى عالمنا هذا من الذوات والصفات
والافاعيل والحركات يفيض عن هذا العقل الاخير باذن الحق العليم
وهو بالحقيقة قلم الحق الاول المبدع لا يزال ولم يزل والارواح منا
كالالواح والكتابة تصوير الحقائق على الارواح ورسم الطبايع على
مواد الاشباح اذ قلم الحق ليس من انبوبة ولا قصب والواحه لا يكون
من خشب ولا ذهب فبتعديله صورنا فى مواد النطف منقوشة

وبتقويمه

وبتقويمه بساط الاشكال على بسيط الهيولى مفروشة وكتب اعمالنا
بقبضه وبسطه منوطة وصحايف اعمالنا بحله وربطه مربوطة فهو
المودع بامر باريه تلك الصور فى جواهر الامهات المظهر لها فى طبايع
الاسطقسات والمتمم ما بيده والمنهيها من نفوس الحيوان والنبات وهم
بامره موكلون ولاعمالهم متممون ولكل منهم جزء مقسوم من عالم الملكوت
ونصيب معلوم من آثار الجبروت بل فى كل قطرة من قطر الامطار ومع

كل

كل نقطة من مياه البحار ومع كل ورقة من ورق الاشجار ومع كل ساعة
من ساعات الليل والنهار جزء من الملكوت يدبره ونصيب من
الجبروت يجره فلذلك صارت الطبيعة تظهر على تعاقب الايام و
مر الزمان ومع كل لحظة من لحظات العيان وفى كل حين ومكان
كونا لامر جديد لا يفنى نوعها ولا يبيد وان ما منها باد بالفساد
تكون مكانه مثله بالمعاد وهى قوة صادرة لما تقدم فى الوجود كقوة
حركة الدولاب الذى بيد وعن قوة محركة لها بالتاييد فسبحان من
مبدع ابدع البدايع وصورها وجل من صانع صنع الصنايع وقدرها
فتبارك الله احسن الخالقين اله الموجودات ورب العالمين فبعض
لا ميت فى العالم الاثير وانكان الكل مسخرة بزمام القدير بل هى مكرمة
الذوات والصفات مرفوعة عن ادناس العنصريات فيها كواكب
طالعة وانوار لامعة وروحانيون بذواتهم الشريفة جسمانيون بابدانها
اللطيفة لكل منهم جنود واعوان وجنود وعرفان مربوط بها النفس

الكلية بقوة عقلية تبدو عن مشية الحقة وعناية ربانية وكيف
ولو عريت الافلاك من الحيوة كان خير الاجسام في حيز الموات وقد
العقل من ان الارض المظلمة بالحيوان والنبات لا يليق بجوده البخل
بالحيوة على الافلاك الدائرات والكواكب السائرات وقد قال استادنا
الاقدم يجب ان يعتقد في السماء ما هو اشرف واكرم والعجب كل العجب
ممن يتعجب من هذا البحث القويم الجاري على النهج المستقيم ويقول
في نفسه كيف يكون الافلاك احياء ناطقة مطيعة شائقة ولا راس
لها ولا ذنب ولا شهوة لها ولا غضب فهذا المسكين المذبوح بلا سكين
قتيل سيوف الالفاظ والعبارات جريح سهام المباني والاشارات
ما شاهد الحيوانات الارضية الا ذوات الرؤس والاذناب من الكلاب
والذئاب فلم يتوهم نفسه الا هذا الهيكل المشكل والمركب المفصل
والقوى المتكثرة والالات والاعضاء والادوات ولم يعلم انها غير
داخلة في مفهوم الحي الدراك فمنع من اطلاق الحيوة على الافلاك فلو
تفكر في نفسه تفكرا مشبعا وتامل فيها تاملا مقنعا لعلم ان نفسه
العاقلة المعقولة حية قائمة ناطقة فاهمة غير ذات راس وذنب و
شهوة وغضب لعل آيتي قوله تعالى حمد الملا في السماء كل في فلك
يسبحون بالواو والنون وقوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين
وكيف يكون الجماد سابحا وساجدا ومسبحا وممجدا وما وقع في
بعض خطب امير المؤمنين وسيد الموحدين عليه وعلى اخيه ازكى

صلوات المسبحين من قوله ثم فتق ما بين السموات العلى فملاهن اطوارا
من ملائكته فمنهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون ومسبحون
لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان
يؤيد ما ذكرناه وينور ما قررناه فالنفس الصافية علة دورانها و
حافظة ازمانها من زيادتها ونقصانها فسبحان من صورها ودورها
بالتدبير وسخرها وقيدها بزمام التقدير فصل الافلاك كلها
احياء ناطقون وعشاق الهيون وعباد صالحون غلاظ شداد لا
يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون يسبحون الليل والنهار
لا يسأمون لدوام تشويقاتهم بدوام الاشراقات العقلية على ذواتهم
وعدم شواغلهم عن طاعتها علمهم من الدواعي الشهوية والصوارف
الغضبية واستحالة التفاتهم الى ما تحتهم من الكائنات المدرية ولاجسام
القدرية على انا اقول ما ينتهي الى نفوسها العاشقة الشوقية من اشعة
جلال الازل واضواء كبرياء جمال الاول وانوار آثار اللطف والعناية و
اسرار غرائب الحكمة والهداية ما يعوقها عن الالتفات الى ذواتها الفلكية
فضلا عما دونها من الامور الخسيسة واعتبر هذه الحالة من نفسك مع
شواغلك البدنية من الامور الانسية والدنية متى جردت نفسك عما
يبعدك عما احببت ووليت وجه قلبك الى الاستغراق بنور وجه ذاتك
كيف تمتلي نورا وحبورا وفرحا وسرورا وتبان عن نفسك هيكلك و
بدنك وتقشعر نحاك وجلدك لما بينهما من العلاقة الشوقية والرابطة

اللذوقية ونجد من ذلك لذة لا يشبهها لذة وبهجة لا تماثلها بهجة انما
هو روح من الرياح الهابة بين يدى رحمته وريحان من الرياحين النابتة
فى رياض نعمته قذف فى نفسك وانعكس الى معسكر حسك فتبرز على
الانسان من اثر العقل ما يكون به حيوة نفسه وقوام بدنه وكمال
حسه فانفعلت من النفس القوى السافلة كما كانت هى تنفعل عنها
وعن الجنبة العالية فاذا كانت حال نفسك المجردة على هذا المثال مع
عوايقها عن آثار البهجة والجمال وانفصالها عن عالم الزينة والكمال فما ظنك
بنفوس كريمة عظيمة البراءة عن المواد والعلايق شديدة التجرد عن الاضداد
والخلايق مع عدم شواغلها المانعة وانتفاء عوايقها القاطعة اللهم
بهج عقولنا باعاجيب سرادقات العليين وهيج ارواحنا بلذات انوار
المقربين **فنقض** هيولى الافلاك مصورة بالصور اللايقة ممتنعة الانتقال
من السابقة الى اللاحقة فلها الحيوة الدايمة والاجرام القايمة الى ان يرث
الله الارض ومن عليها من الدهماء والعجماء فان حركات الافلاك سبيل
الى فناء وقصور وهلاك وفتور وان ابقيت دهرا مديدا وامدا بعيدا
لشرفها ونوريتها وثبات صورها وانانيتها وانما صنع البارى الكريم
الرفيعة على هذه الصنيعة من التبرى من الاضداد والانداد والتعرى
عن المزاج والفساد لكون دوام وجودها الابداعى ما دام ثبات العالم [الكون]
الطباعى دالا على سرمدية مبدعها الحق وديمومية صانعها المطلق
لان حقيقة الحق ان لا ينافيه ضد ولا يماثله ند واذ كانت عطايه

الاجسام

الاجسام على هذه المشاكلة من الثبات والقوام والبقاء والدوام فما ظنك
بصور لم تعرف تجددا انى يكون تغيرها خلودا وتأبدا واما ذوات الصور
المتضادة من الطبايع المتفاسدة فهى لفرط تباعدها وتفاصيلها من خاص
ما يوصف به حاملها لن يصلح للديمومة الشخصية كالصور الاسطقسية
فتفكر يا اخى فى خلق السموات والارض وما فيهما من الرفع والخفض لتعلم
ان المبدع للكل بتمام قدرته وبالغ امره وحكمته كيف تمم نقصان هذا الصنف
من الاجسام الطبيعية باعطائها الديمومة النوعية فصير عالم الارض و
السماء منتظما بصفتى الثبات والبقاء وجعل احد البابين وهو الافضل
علة للاخر وهو الارذل فظهر به طريقة الفعل والانفعال بل حقيقة
المبدء والكمال **فنقض** كلما كان فى الوجود اقدم قدما فيجب تقدمه
كان فى الشرف ارفع قدما وصار بالعكس امر الاعادة فما كان اخلف كان
ابدل بالسعادة اذ علة الشرف والتمييز هى الدنو من العلى العزيز فحد
البدء وكل ما تقدم كان اوفر اختصاصا وفى العود كل ما تاخر فهو
اقرب الى ان يجد من الهيولى خلاصا فيبتدى سلسلة النزول من
الانوار والعقول ثم النفوس والصور بعد العقل الانور وهكذا انه
يتدرج الوجود فى النشأة من منبع الخير والجود حتى وصل الى هيولى
المتضادات ومادة المتفاسدات فيرتقى الى العناصر والاركان ثم الى
الجماد والنبات والحيوان واخر رتب الحيوان وكمالها هو الانسان ولهذا
جاء زبدة العناصر والاركان واذا بلغ الى درجة العقل المستفاد فقد

حصل الخاص من الاضداد فعندئذ يقف الجود وبه يتصل دائرة الوجود
كما قيل في الفرس شعر دوسر خط حلقه صدق ؛ بحقيقت بهم تو
پیوستی ؛ وانما اطلع واهب العقل من شجرة الاضداد بامتزاجها
ثمرة العقل المضيئة المعاد لئلا تذهب تلك الغاية هدرا ويصيب
كل مخلوق من السعادة قدرا وليعلم ان الغاية القصوى خلقة الا
الانسان وان وجدت من فضل التسابق الاكوان لئلا يفوت كل
عنصر حقه ولا يقصر عن قابل مستحقه فانظر ايها العارف في حكمة
الصانع البديع وجود النافع المنيع كيف بدأ بالعقل وختم بالعاقل
وبينهما امور متفاضلة متفاوتة مراحل وهل هذا الا كالبذر
المزروع للنبت المرفوع يبتدئ اوله وهو لب وينتهي بآخره وهو
ايضا لب فالعقل الاول بذر العقلاء والالباء وما عداه من
العقول سيقانه والنفوس الكلية اغصانه والاجرام الفلكية ساقه
وافنانه والبسايط العنصرية اوراقه والنفوس الارضية ازهاره
والنفوس الآدمية نفايس ثماره والعقول المستفادة لب حبوبه
وانواره والروح المحمدي لب اللباب وللوجود خاتمة الكتاب
عليه وآله السلام من الملك العلام فبارادتك يا الهي اظهرت
من الاضداد شجرة واطلعت من امتزاجها العقل النيرة ثمرة فطوبى
لمن لا يرى سوى وصالك ارادة ولا يطلب غير لقائك سعادة
فيض جل الباري عن قصد الشر وبل قصد بالايجاد الخير المشهود

فان

فان تبع شر قليل بالاتفاق فلان ايصال الخير لا يدوم الا على هذا السياق
فشر يكون الى الخير مطرقا اذا تاملته كان خيرا مرققا فلو افاد الاضداد
اجمع كان وجوده قد انقطع فالخير برضائه وامره والشر بقضائه و
قدره فلهذا اهمل مبدع العقل مع ما فيه من النماح بعض الاشباح
خلوة عن الارواح ولو لم يتزمن هذه الاضداد العقول المتصلة الا
مدد كان خطر الموات بالاضافة الى الاحياء كالعدم واللاشئ بالقياس
الى الاشياء فالعالم اذا اطلق ان العالم ناطق حي فليس مراده سوى
الافلاك شئ اذا العديم الروح من الجملة لا يستبين فيه من الحقارة
والقلة فلعل ما في بدن الانسان من الموات والكثافة يربوا
على ما في جوف الفلك بالاضافة ولخلوص السماء من انواع الكثافة
لزمتها دار الاضداد وانما يتبين عند التحقق الكواين الفوقية
اذا طالعت عظم الاجرام الخوالد فيض فالصادر عن الواجب اما محض
الخير واما الخير المستولي على الشر ومثال القسم الاول عالم العقل
وعالم الافلاك اذ هما بريان من الشرور والهلاك الناشيان من
التضاد واذ لا تضاد فيهما فلا فساد ومثال القسم الآخر عالم
العناصر والاركان وعرضة الهلاك والبطلان وذلك انما يكون
لاجل النفع في اشياء آخر لا يعلمها خالق القوى والقدر اذ لو لم
يخلق لخلق سربال الوجود وقصر رداء الجود وبقي في كتم العدم
عوالم كثيرة ونفايس جمة غفيرة بل امثال هذه الوقايع لا تترتب في

الطباع من مصادمات حركات الافلاك الموجبة للاستحالة والملاقاة
على سبيل اللزوم والاستمرار دون الاتفاق البهاص سكان عالم
الاسرار فاذن في ترك خير كثير لاشر قليل شر كثير لن يسوغ
اهماله من المبدع العليم الخبير مع ما علمت من ان هذه الشرور
بالنسبة الى بسيط الارض حقير مع حقارتها بالقياس الى السماء
الدنيا المغمورة المطوية تحت عالم الانوار والاضواء الاسنية
في قبضة الرحمن ولا نسبة له الى جناب الكبرياء الباهر برهانه
على الضياء فقد لاح ان الخير مرضي والشر عرضي فاذن تصورة
ذرة الشر في بحر اشعة شمس عظمة الخير لا بضرها بل يزيدها
بهاء وجمالا وضياء وكمالا كالشامة السوداء على الصورة المليحة
البيضاء يزيدها حسنا وملاحة واشراقا وصباحة فسبحان
ربك رب العزة عما يصفون من تقصيره عن الافعال وقصور
فعله عن تصوير الامثال والاشكال وجل جناب الحق عن
امثال هذه الخيال المحال فيض لا شيء من القوابل والمواد خص
واو من هيولى عالم الاضداد بها بلغت الخسة مركزها وتابت
النقصة حيزها اذ هي واقعة على حاشية الوجود نازلة في صف
نعال مجلس الافاضة والجود ولكنها شركة لاقتناص الحقائق الجمة
وشبكة لاصطياد النفوس الانسانية ولا شيء من الصور الفائضة
عليها من الوهاب انقل واكدر من التراب فما الاجرام شبيه

كأس خمر يعلو صفوها ويسفل العكر ولكن اناره البارى بالنور
الذى معاده المحل الانور ولو امكن على غير هذا الوجه ايصال
الجود ما اخرجت هذه الظلمة من العدم الى الوجود فللنفوس من هذه
الظلمة يحصل دوام الخلود في النعمة فواهب الوجود بالكرم والجود
لو لم يمن بايجاد الظلام لما استمر العالم على هذا النظام فسبحانك يا
ايها العظيم الجواد على التحقيق ما احسن ما هديت السبيل ودللت
على الطريق فلو لم يكن جودك على هذا المثال من الاحكام ما كان
لا يقابلك يا ذا الجلال والاكرام فيض القوابل السفلية والمواد
مختلفة في مراتب القوة والاستعداد والنفوس الارضية والصور
متفاوتة في اللطافة والكدورة مترتبة في القرب والبعد من الخالق
الاكبر والعدل هو تسوية المواد والاشباح بحسب القوة و
الارواح فالرحمة الالهية والعناية الربانية اعطت كل ذي حق
حقه وافاضت على كل ذي قابل مستحقه كالشمس يفيض انوارها
على المقابلات القابلات لآثارها بلا بخل وتقتير ولا قصور
وتقصير ثم يسقى بماء واحد هو ماء بحر الجود السخي وحياة عين
الوجود الطهور الذى لن يبرح من اسكوب الفضل سايلا ماليه
ومن منبع الجود والعدل طائلا نائلا ففتحنا ابواب السماء
بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر اى
ماء الفواعل العلوية وماء القوابل السفلية لتولد انواع الصنائع

الاقوان بلفظ البابونج

واجناس البدايع فلو كانت لمادة البصل قوة قبول الزعفران ولحامل
صورة الدفلى احتمال هيئة الاقحوان لما تركت الوصايا لا شرف
الافضل وما فاض عليهما الدفلى والبصل بل خالق القوى والقدر
يقتضى نظام الوجود على افضل ما يمكن ويقدر فلا يتعين عين
الجود والكرم وينبوع الوجود والقدم غاية بل بقود فانه
كيف يظن بالشئ النزر اليسير من الذى سيان عنده القليل
والكثير ولا يختلجن فى صدرك ان البصل لم لم يكن زعفرانا
والقيصوم صنوبرا او الوهم عقلا والجاهل الظالم عالما عدلا
والشر خيرا والابله نحريرا اذ لو كان كذلك لاضطر السلطان
الى صنعة الكنس والحكيم الى مباشرة الرجس فاذا تحقق
تنوع الاستعدادات وتبين تباين الصور والارواح فى الدرجات
فاعظم السعادات لاجود الاستعدادات فتفاوت افراد الانسان
فى الشرف والنقصان انما هو لاختلاف القوابل والمواد ودرجات
النوع والاستعداد والفاعل الحق والجواد المطلق ينبعث عنه
كل شئ وما امره الا واحد كلمح بالبصر فسبحان من تنزه عن الخطاء
وسبحان من لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء فيض دأب الرحمة
الالهية وسنة العناية الربانية ان لا يمنع امر ضرورى يحتاج
اليه الاشخاص بحسب الطباع ولا يبخل بشئ نافع فى مصالح
الانواع بل هو الذى اعطى كل شئ خلقه فهدى واعطى لكل حق

حقه فلم يتركه سدى فلاجرم بنى للانسان من المواد العنصرية
بالوسايط النورية هياكل كاملة البنيان مستوية الاركان على
افضل انحاء واتم استواء ليكون منازل للارواح البشرية ومجالا
لاصطياد العلوم التصديقية والتصورية وفتح فى هذه الهياكل
ابوابا شتى ومنافذ ترى بعضها ينفذ الى عالم الحس كالمشاعر
الجلية وبعضها ينفذ الى عالم المثل كالمدارك الخفية وجعل
على كل باب من هذه الابواب قوة تدرك النفس بها غوامض
الحقايق عند استعلامها واكتساب الخطر من العجايب فى
استخدامها وللنفس فى ذاتها باب تنفذ الى عالم الملكوت و
تخرج منه الى فضاء الجبروت فاذا حصلت من هذه القوى
والالات مبادى علومها من الاوايل والبديهيات وركبتها
تركيبات حدية او رسمية والفتها تاليفات اقترانية او استثنائية
اقتنصت النظريات من الاوليات وانتقلت من الحسيات الى
العقليات مستعينة فى حفاظها عن الغلط فى الافكار والخطا
الحاصل من تعلقها بعالم الهيولى بآلة مسماة بالميزان الذى
يعين به نقد البراهين من زيفها ويوزن مثاقيل الادلة من
ميلها وحيفها عند صرفة العقل الهادى الى اصول الراى وفروع
النقل فاذا جمعت مع ذكائها فى العلم تعديلها فى العمل وازالت
عن ذاتها امراض الرذايل والعلل فقد فارقت صورتها القوابل و

وشاكلت العقول الاولى في الاحاطة بالعقليات والتجرد عن
الاجسام والغايات فيض ان الانسان لمنقسم الى سر
وعلن ونفس وبدن اما نفسه فجوهر رباني وسر سبحاني
ولطيفة ملكوتية وشعلة لاهوتية وكلمة روحانية وخلق
رباني وفعل غير زماني ولا مكاني بل الحرف المكتوب بالكاف
والنون والامر الوارد من مثال كن فيكون وهو فعله الذي
فعله بذاته واوجده بكلماته وكلماته موجودة في مصنوعاته
مسطورة في ارضه وسماواته يتأمل الناظر اليها الى وجه
الحق القويم ويعاين الصراط المستقيم فتأمل هذا الكتاب المرقوم
من العلوم وانظر الى هذا الصراط الممدود بين الجنة والجحيم
لعلك تتنبه من نوم الغفلة في مرقد الدنيا فتنجو من ظلمات
بحر الهيولى وتنفك من اسر الطبيعة الظلماء وقواها المظلمة
الوحشاء وترقى الى المحل الفاخر والمكان الطاهر بحيث لا يحله
الفساد ولا يجئ الى دار الاجساد واما بدنه فهو هذا الهيكل
المركب تراكيب السفينة بها يقطع بحر الجسمانيات ويعبر الى اقليم
الروحانيات حتى ترى ببصيرة فؤادك وترى سويداء سوادك الى
هذا الرمز المرموز والسر المكنوز فتبا لمن ظن من اصحاب الجدل الذين
يسمون بعلم الاصول المتسمين بتمهيد القواعد والاصول ان
الانسان هو هذا الهيكل المحسوس المنقوش والبدن المتخلخل

المنقوش

المنقوش لا غير زعماً منهم ان ليس ثمه عالم آخر وراء هذه الاجسام
الدنية وليس له خلائق غير هذه الابدان والحيوانات العضية
كلا القولين زيغ عن الصواب مستهدف لسهام العتاب بل الحق
ان في الوجود عالم آخر وفيه خلائق روحانيين واشخاصا الهيين
اليهم يجيء نفس الناس اذا طهرت عن الادناس والارجاس فيض
الادراك على قسمين شعوري ومستور فالشعوري حسي والمستور
نفسي والحسي منقض ونقص فيه لان زياده تضاعف له الضعف و
الفساد والنفسي متى توافرت امداده واعداده تكاثرت عنه العقل
وعناده وما فيهما الا مناسب ما كان عنه صادراً فالحسي ظلماني
خاسر والنفسي ضياء باهر الا ان احدهما سلالة الصور المجردة والآخر
سلالة الاجسام المكدرة الغبرة فكمال النفس اتصالها بالقدس و
انتقاشها بهيئة الوجود الفائضة عن المبدأ المعبود فكلما كان تابعا
للهيولى فحال يجب تخلص النفس منه على نيال الحق تتصل بالعقل
الفعال وتتخلص عن التغير والزوال اذا انفصالها عن الهيولى يصير
من المكاره ناجيا وتحل داراً يكون للابد منها ناجيا وهي الآن وان لم
يكن في الهيولى بمحصور الا انها من عشق توابعها كالمأسور فاذا فارقت
منها وفازت بالخلاص اتصلت بسعادة الصور الخاص وهي كاملة
من التجسم والبعد بعيدة من الهيولى والضد فنالت الفوز بالسعادة

المؤيدة بادراك الصور المجردة فاتصالها بالعالم الروحاني والمعارف
النورانية من اعز المطالب واعظمها واشرف المآرب وانفعها من
جهة انه عالم المعاد ولانه مسقط البلاد اليه رجعى نفوسنا الطاهرة
وعقولنا الزاهرة كما في الكتاب العزيز اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالحات فان الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
والانفس الخبيثة المنهوسة في بحر الطبيعة رؤسها منكوسة اعينها
مطموسة ارواحها محبوسة حيث تحبست اشباحها مكوية اينما
تثبت فان الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات **فصل**
النفس الانسانية لها قوى ومشاعر وحواس ومدارك بواطن وظواهر
وربما يبلغ الى انحصار المشاعر الباطنية في مدرك الصور الجلية ومدرك
المعاني الخفية كما هو مسطور في الكتب مسطور انحصار المحسوس في
الصور والمعاني في العالم الهيولاني ولا الزم بتعطل شيء في سوق
الطبيعة وكساده لكن ذلك معلوم فساده فان الجواد الذي
اعطى كل شيء خلقه لا يبخل بشيء عن مستحقه لان ذاته ينبوع الخير
والرحمة والفيض والنعمة وكيف يشح بافاضة الذرات الدائرة
في ضوء الشمس من يكون قرص الشمس ورغيف القمر من اقراص
نقد نوره والنار الكبرى في مقعر الفلك شعلة من مجمر سجوده
فكذلك لا يبتدر بالاعطاء والافادة والافاضة والاجادة فان السعد

كانوا

كانوا اخوان الشياطين بل احسانه بالكرم وامتنانه بالفضل انما هو
بالقسط والعدل **فصل** مواضع جميع الحواس يجب ان يكون واقعة
في الراس اذ موضعها من البدن موضع قلة ثابتة على قامة قائمة
وحراس القلاع يجب ان يكون مشرفة عليها للصيانة والاطلاع
كما قالت الحكماء الراس صومعة الحواس لا الحس اللمسي المبثوث في
جملة البدن المعرض للآفات والحس الحكمة جليلة خفية على بصائر
كليلة **فصل** حامل جميع قوى النفس الانسانية وخليفتها هي الروح
البخاري الحيواني المنبعثة عن صفو الاخلاط ولطافتها انبعاث لا
عصاء من كدر الاخلاط وكثافتها ينبوعها القلب الصنوبري الشكل
المخروطي الهيكل ومن ثم يتوزع على المواضع العالية والسافلة وينقسم
الى النفسانية الصاعدة والطبيعية الكبدية النازلة وكل موضع نفيض
اليه من سلطان نوره وضوحه ولا افلاس من الحس والحركة في شيء و
اعتبر بالسدد الواقعة في المجاري والاعصاب كيف يورث الفلج
والصرع كما يؤدي فلمته الى الماليخوليا والاضطراب وهذه الروح احد
موضوعات الطب الطبيعي الجسماني كما ان النفس الناطقة احد موضوعات
الطب الالهي الروحاني الذي يجب عنه الانبياء والرسل المؤيدون
بالوحي والالهام كما كانت الاطباء متحنين بالبحث والحدس التام ومن
ههنا قيل تقريبا الى افهام المستعدين للمعرفة والايقان ان الانبيا

الطباء النفوس كان الاطباء انبياء الابدان ونقل بعضا من اهل الحكمة
والشريعة ان النبي خادم للقضاء كما ان الطبيعة خادم للطبيعة فمن
هاتين الروحين ينشأ العلم بالعالمين ويحصل المعرفة بالاقليمين
اعني الملك والملكوت المبدعين عن الحي الذي لا يموت وبهذين الروحين
قام العلمان وانتصب العلمان علم الطب الذي هو علم الابدان
وعلم الالهيات الذي هو علم الاديان فالروح الجسمانية هي
مطية تصرفات النفس الانسانية الدراكة الفعالة باذن واهبها
من الله شرفها والى الله معربها فتتصرف بها في البدن البالية
الفانية ما دامت قابلية لتصرفاتها باقية فاذا انقطع قبولها لها
خلت والخراب البيت رحلت كما نظمه بعض العرب شعر جان قصد
رحيل كرد كفتم مرو گفتا چكنم خانه فرو مى آيد فتفق اذا اتفقت
ما سردنا عليك وفهمت ما القينا اليك وقفت على بعض الاسرار
الحكمية والحقائق العلمية في كيفية تدبير النفس للبدن مع ان البدن
كالثقل الكثيف والنفس كالنور اللطيف فكيف حصل بينهما الف
التدبير والتصرف وعشق المقارنة والاتفاق والم المفارقة
والافتراق فكيف تصور الازدواج بين الظلمة والنور والحزن
والسرور والائتلاف بين العلوي الذي قال الله تعالى في شانه تنظيما
لكانه ورفعناه مكانا عليا ان كتاب الابرار لفي عليين والسفلي

المشار اليه بقوله ان كتاب الفجار لفي سجين اذ بينهما من التنافر
والمضادة في الماهية ما لا يخفى على اولي الفهم والروية فتلطف الباري
تعالى بحكمته التامة وانعم بحسن عنايته العامة بان خلق من مادة
النطفة البدن الكثيف ومن لطافة القلب اللطيف ومن صفو
القلب الروح النابعة فيه التي هي في اللطافة والصفا كالافلاك
البعيدة عن الاختلاف الموجب للفساد والهلاك وهيأها لاستخدام
النفس الناطقة واستعمالها تكميلا لصلاح معادها ومعاشها
الروح شعلة ملكوتية قابسة من نور الانوار فيضان النور من
الشمس على الابصار من غير ان ينقص شيء من الواهب الحي وانقو
بحيث اشتعال الذبال المستعدة لقبول صورة النار من النار
الشبيهة بالعقل الفعال فتصور بحدسات الشهاب فتيلة النطفة
المستعدة بواسطة نشأ الروح الحيوانية التي يكاد يضيء ولو لم تمسسه
نار لقبول النفس الانسانية التي هي شواظ من نيران ملكوتية من قبسها
الذي هو نور الانوار اللاهوتية وبهذا القدر من الحكمة والمعرفة
منه قدر من قدور راسيات وهلال من بدور سايرات يشغلك
عن ربك ويبصرك ويقويك ويغنيك عن الاطنابات المذكورة
في شرحها في المبسوطات شعر دع الراغبين في صحبتك والذاهبين
الى منادمتك والمعلم من فادتك فليس لك منهم مال ولا يحصل

فيك بهم حال ولا جمال ولا يدفع بمجالستهم منك ملال ولا كلال
واعلم ان اخوان الجهر اعداء السر واولياء الجلوة خصماء الخلوة اذا
لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك من اقاك منهم كان عليك
رقيبا واذا خرج عنك كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة واصحاب
غل وخديعة لا تغتر باجتماعهم عليك واحتشادهم لديك فما
غرضهم العلم والجمال بل الجاه والمال وان يتخذوك سلما الى اوطارهم
وحمارا في حمل اثقالهم واوذ ديهم ان قصرت في غرض من اغراضهم
كانوا اشد اعداء عليك ومن يترددهم اليك حقا واجبا عليك
ويتوقعون منك ان تبذل عرضك ودينك لهم فتعادي عدوهم
وتنصر قريبهم وخليلهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون
لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال
العامة مروة تامة وهو قول حق وكلام صدق فانا نرى المدرسين
في زماننا كانهم في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد
اليه فكانه يهدي تحفة اليه ويلقي حقا واجبا عليه ثم لا يختلف
اليه في الادوار ما لم يتكفل برزق له على الادرار ثم المدرس المسكين
والمولى الضعيف الذين يعجز عن القيام بذلك من ماله لا يزال يتردد
الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين
حتى يكتب له بعد الابرام التام على بعض وجوه السحت بالحرام ثم

ينبغي في مقاساة القسمة على الاصحاب والتوزيع على الطلاب ان سوى
بينهم مقته المتزهدون وينسبوه الى الحمق والجهالة والظلم والضلالة
والقصور عن درك مصارف الفضل والفتور عن القيام في مقاطع
الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة حداد وثاروا
عليه ثوران الاساود والاساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي
مظالم ما ياخذه ويفرقه في العقبى والعجب انه مع البلاء كله والداء
جله تمنى نفسه الغرور وتدليه بحبل الغرور انه بما يفعله مريد
وجه الله ومذيع شرع رسول الله وناشر علم دين الله والقائم بكفاية
طلاب العلم من عباد الله ولو لم يكن ضحكة للشيطان وسخرة لاعوان
السلطان لعلم بادنى تامل ان فساد الزمان لا سبب له الا كثرة امثال
اولئك الفقهاء المحدثين المحدثين في هذا الاوان الذين ياكلون بالمحدثين
من الحلال والحرام ويفسدون عقايد العوام باجترائهم على المعاصي
اقتداء بهم واقتفاء لاثارهم فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء
الذي ليس له دواء فصل في العالم ينقسم الى عالمين ويدور على قطبين على
مثال الاقليمين احدهما القطب الجنوبي الذي يليه اقليم الملكوت
الفايض من المبدع الذي لا يموت واصحابه اصحاب اليمين في سدر
مخضود وطلح منضود والاخر القطب الشمالي الذي يليه اقليم ذوات
الاجساد المتوقفة الوجود على المادة والاستعداد واصحابه اصحاب

15 الشمال بالهم فى المآل ووخامة العاقبة وسوء الحال والاحتراق بنار القطيعة والوبال فى سموم وحميم وظل من يحموم والى كلا العالمين

ومجموع الاقليمين اشير بقول المبدع الخلاق ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولكل من العالمين مشرق مبدأ منه صبح انواره ومغرب ينتهى اليه نهاره فاما مشرق عالم الروحانيات فهو الوجود الاول وعلة العلل عز سلطانه وبهر برهانه اذ من شمس عظمته انشق عمود غسق العدميات واستبان شفق الوجود مستترا فى اهوية الهويات ومن نور كبريائه انفلق بحر غياهب الليليات واستنار نور صبح الجود من مهبة الابيات فسبحان فالق الاصباح ورب صباح الارواح بنور الوجود وافاضة الجود واما مغربه بحيث ينتهى تلك الانوار السارية وهو النفس الناطقة البشرية واما مشرق عالم الجسمانيات من حيث تتكثف تلك الانوار وتجسم وتتكدر وتجرم وهو السماء الاولى وسدرة المنتهى لكونه نهاية عالم الارواح وبداية عالم الاشباح واما مغربه بحيث تكثف الاجسام الهاوية واكدر الاجرام السافلة فسبحان رب المشرقين ورب المغربين ثم لا يزال يمتزج هذه الاسطقسات والاركان الى ان ينتهى آخر الامر بيدن الانسان ولا يزال بدنه يتصفى ويتوحد ويتنقى ويتردد حتى ينتهى بروحه التى هى جسم لطيف ينبعث من القلب فى

الابهر

الابهر من التجويف وهى تشابه جرم الفلك فى صفائه ونقائه ونوره وضيائه وبعده عن التضاد المنافى للفساد فتصير مرآة للنفس الناطقة بها يدرك الوجود كله على هيئته ونقشه وصورته ودقته كليا وجزئيا اما كليا ففى ذاته واما جزئيا ففى تلك المرآة الجلية فاذن فى الانسان شئ كالملك وشئ كالفلك فمن حيث اعتدال مزاجه وعدم الاضداد فقد شابه السبع الشداد ومن حيث مفارقة صورته القوابل يشاكل العلل الاوائل فانظر الى لطائف حكمة المبدع كيف بدأ بالوجود من الاشرف فالاشرف حتى اختتم بالاجسام وافتتح بالاخس فالاخس حتى انتهى الى الارض فى الاختتام ثم فتح فاتحة اخرى للاخلاص بمذهب مذهب الخلاص وعكس الترتيب الاول من الاخس فالاخس الى النفيس فالانفس حتى بلغ بنا الى ارواح كالافلاك ونفوس هى كالاملاك الى ان وصل الى نفس خاتم الرسل وهادى السبل التى تشبه العقل الاول والله سبحانه هو المبدأ والمنتهى فى البداية والرجعى فنفس الانسان وان عجن من الصلصال وابتلى بالحمإ والفصال والطين لا يصفو بالضرورة والحمإ المسنون لا يخلو من الظلمة والكدورة ولكن يثبت عند جوهرة النيرة الاعطية والاعتبية وانبعث منه الدواعى والاهوية لكن اذا فصلت بنية تفصيلا وعلمت الاشياء جملة وتفصيلا واختار البعد عن الشهوة والغضب فقهر

تشوقها بالعقل المهذب كان الى نعيم الابد مشتاقه اذا خلى عنه ونافه
الى العالم السرمدى اشتياقا فاذا حصل عن المادة افتراقه فلا تبال انت ايها
فانك بالموت فانك لا تموت ولا تفنى كما قال تعالى خلقتك للبقاء
بل تنقلب من دارك وتنتاب الى دار قرارك بل الذى يرق عليك انقا
الباقية بعدك واما الت المفقودة من عندك فاطرح وافرح فقد قال
نجا المخففون وهلك المثقلون هون على نفسك سكراته وغمراته
تتصور لقاء ربك ومرضاته حط اوزار نفسك وطر طيرانا دنيتي
ازدارك وسر سبيلنا والا فتهوى فى مكان سحيق وفج غامر عميق
ونعم ما قال شعر تا چند زجان ستمند انديشى * تا كى ز
جهان پر گزند انديشى * آنچه از تو توان ستد همين كالبد است *
يك مزبله گو مباش چند انديشى نظم النفس وان كانت شديدة
التوجه الى الطبيعة واوزارها كثيرة التلوث الى المادة واقذارها
الا انها بسنخها من عالم نورانى وبجوهرها من محل روحانى هو
دار الوجود وانه معين الخير والجود المجرد عن ممازجة المواد وعلائق
الفساد فهى بحسب جوهرها شديدة الشوق بالعود الى المحل المعتاد
الذى يتحقق به المعاد فاذا انقشع عنها غيم غموم المهلكات وارتفع
عنها سحائب سموم التلفات من الملكات اصبحت طاهرة بعد
البدن غير دانية لطول الزمن مرتقية من هبوط الاشباح الى

شرف الارواح صاعدة من حضيض السافلين الى اوج العوالى العليين
فظفرت بالمقصود ووصلت الى حضرة المعبود وعاينت الجمال
الاحدى وفازت بالوصول السرمدى وقد تبين انك فى بقاء النفس
الانسانية من يتمنى الخلود فى هذه الخربة القذرة ويرجو البقاء
فى هذه المدرة الكدرة يطمع فى حطامها ولا يقنع الا بتمامها فقد
يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور فما هذا يودون الا ق
ويكرهون القبور كلا بل يحبون العاجلة وشرورها ويذرون الآخرة
وسرورها والاعين الناظرة والوجوه الناضرة شعر عيون من
لجين ناظرات * كان جفونها ذهب سبيك * على قضب
الزبرجد شاهدات * بان الله ليس له شريك * رضوا بالحياة الدنيا
واطمانوا بها واجتهدوا ليلا ونهارا فى طلبها مع علمهم بانهم سيتركونها
فهذا ايحسب الانسان ان يترك سدى نسوا قول الله تعالى حكاية عن
الغابرين الذين من اصحاب الجحيم كم تركوا من جنات وعيون و
زروع ومقام كريم نظم قد اشرقت شمس اللاهوت على سطوح
الاوكار فغاب من آب الى عالم البوار فما هذا العكوف فى ظلمات
الاجسام وعبادة الهياكل كالاصنام فهلموا اخوان الحقيقة بالتوجه
الى الباب الاكبر والاقبال بالكلية الى الجناب الانور فانه باب ما خيب
طالبه وجناب ما خاب آتيه فسلام على ذات طهرت من رجس الفسق

١٧ وظلمة الجهالات وخلصت من غسق الطبيعة وضلال الاوهام
والخيالات قربت من مبداها بقطع مسالك الناسوت وتجلى
لها قدس اللاهوت ساحت في افضية الملكوت وانطبعت في
فصها نقوش الجبروت ادركت لعدوم الذى فات وعلمت النظر
الذى هو آت كانت تقرا مكتوب اسرار الغد من عنوان اليوم و
تطلعت ثمار الغيب من صنوان النوم وترى موعود الله ناجزاً وكنوز
بارزاً خلاصت عن ثقل الاشباح وفرحت وراحت بخفة الارواح
تركت القيود العشرة اللئام وتجت بصحبة العقول العشرة الكرام
وهم خلاصة الوجود المقربون الى المعبود بنا واهب الجود ومحرك الاول
ومجرى الافلاك ومالك الاملاك خلصنا عن الدائرات البائدات
والحقنا بالزاهرات العائدات بيت انفع ما ارتاضت به نفسك
الشريعة الحقة فان الجاحدين بها في معزل عن دار السلامة و
معدن الكرامة واحق ما وجبت له همتك الحكمة المستقيمة فان
المعرضين عنها في حسرة وندامة كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
وقد ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وذلك لتراكم جهالاتها
وكثرة غفلاتها ورداءة اخلاقها وانفعالها وسوء ملكاتها و
اعمالها فحل عليها غضب الجبار وطرد والى عالم البوار ردت
الى اسفل السافلين وحرمت عليها جنة العالين عمياء عن مشاهدة

الانوار صماء عن سماع اصوات الابرار رقود مراقد الغفلات هجوع مضاجع
الجهالات حوائق غواسق الهيولى سوالك مسالك الجاهلية الاولى
وانما استلذت وانعب الاجساد واستطابوا المادة وهوا عن طيب الفتوح
غابوا ونعم ما قيل في الفارسية شعر بروح من نثوى زنده تاب جنابم
كه ازجه نوع مرا حظهاى روحانيست وانما اجاز العقل اجراء اسم اللذة
على المحسوس لما كانت دالة على النعيم السرمد المعد للنفوس فازهدنا
انفا الحقيقة من تلوث هذه الفانية القذرة والاهتمام بهذه الشهوات
القذرة لا تقصر همتك العتيدة الظلماء ولا تتوطن في هذه القرية الى
فان هممت بها ذقت عذاب الجحيم وشربت شراب الحميم فاستعد
للرحلة والانتقال وانهض للخروج عن العلائق والانفصال فان
فعلت ذلك اختياراً والا خرجت اضطراراً فاجهد في تحصيل ما امر به
ما اشارت اليه الانبياء وتامل الكتب المنزلة من السماء من الترغيب
الى النعيم والتخويف عن الجحيم ومدح العالم الاعلى النورى وذم المنزل
الاسفل العنصرى فلعلك تنتبه من نوم الغفلة وتستيقظ من
رقدة الجهالة فحتم عليك ان تواقي عمرك فتضرع بالاستعداد الى عالم الارواح
لعلك تنجو من الهلاك وتتصل بالك الاملاك بيت تبعد نفسك
عن موانسة ارباب الجهال انكشت من الرجال ولا تقنع بجرم القيل و
القال عما يرد على قلوب اصحاب الوجد والحال فلا تكتفه من العلم

ان لا تشلا في امرك قبل

بالقشور ولا تصبر بالقرطاس المغشوش عن الرق المستور اما علمت ان
مثل المقلد بين يدى المحقق كالضرير عند البصير الحدق ومثل
الحكيم والحشوى كالجاهد والحكوى ما المقلد الغير لثالثها لا يخرج
مغشوش فصار له لوح منقوش يقنع بظواهر الكلمات ولا يعرف النور
من الظلمات يخدم ظواهر الالفاظ والمبانى ويحرم عن بواطن الحقايق
والمعانى يروى الدين عن شيخ هرم كمن يقوده اعمى فى ليل مدلهم
كما قيل اخذوا علمهم ميتا عن ميت واخذنا علمنا عن الحى الذى لا
يموت يظن ان الانسان شبح وشكل وان الحيوة شرب واكل و
ان الدين صلوة وصوم وان العمر ليل ويوم ولا خبر له عن يوم
خلق قبل هذا اليوم المعهود وظهر حيث لم يظهر هذا الزمان الموجود
وذلك اليوم هو اليوم الدائم الذى لا ليل فيه ولا ضياء ولا صباح له
ولا مساء شغلوا بالدنيا الدنية وغفلوا عن المرحلة الثانية ارباب
الظواهر باجسادهم خادموا اهل الباطن بفؤادهم ونعمهم بالقياس
الى نعيم اولى الالباب كالقشور بالنسبة الى اللباب ولكل ما يطلبه
ويناسبه وذلك كالتبن والنخالة للحمار والبقر وهذا كلباب البر
للانسان والبشر وكان القشر صاين اللب والورق حافظ الحب
فكذا اهل الدنيا باشغالهم محامل يحملون المشاق لعمارة الظاهر و
اهل العرفان يحققون المعارف ويصورون الحقايق لعمارة الآخرة

فيحفظونهم

فيحفظونهم عن الشدايد ويفرغونهم عن مزاولة الخبايث لملازمة العابد
فى تحصيل حقايق العقايد وسلوك سبيل الله مبدا الاوايل ومنتهى
العوايد فدع حبيبى كل ذلك جانبا عن ابواب كلامه وفضوله وزنا
وفضوله وارجع الى راس الامر وهو التدبر فى كلام الله وسنة رسوله
مستمعا اليهما بقلب فارغ وفطرة صافية متاملا بقريحة عن نقوش
اقاويل المبتدعين خالية تستقبلك من كل صوب اشخاص الحقايق
فى اجمل لباس ينقلونك بالترهيب والايناس ويكون ذلك قرة
اعين احقيت عن الناس اذ بمجرد الكلمات المزخرفة والعبارات المزينة
التى يحصل بالتعلم والتعليم لا يمكن الوصول الى الحكيم العليم بل بالعمل
والتخلق باخلاق الانبياء والاولياء وسلوك طريق الفناء والبقاء
فالسلام على صور نقية نفية مخلصة للبارى بمودة خفية فنفس
لا تضيع انفاسك النفيسة فى استيفاء اللذات الخسيسة ولدت على
الفطرة فلا يهودنك ابواك وخلقت واضح الغرة فلا يسودنك ابواك
جبلت حنيفا فلا تمجس وان لتطهروا فلا تنجس ان الله عدلك و سواك
فلا تحرف ونورك وصفاك فلا تنكسف حجب نفسك عن سفاسف
الامور ولا تلتفت الى الامانى والغرور فانه قد نبت لكل امرى فوت
وفى كل طرفة موت الكتب هذه علية واقتص منها ابتة لا تخدع با
بالدنيات ولا تنقد للسفليات استنكف عن الدنيا بما فيها واتركها

١

لاما لبها وبينها لا تشتغل باكتساب حطامها ولا تصدّ الى جميع ثمارها
واكامها بل قصّر نظرك على تصوّر الكلّيات وجرّد عقلك على تجريد
العقليات حتى تصل الى حيث يكون تسبيحك وتقديسك غاية
انسك واعظم لذّة تجدها من نفسك فعند ذلك تانف من الغذاء
الجسماني ولا تحرص عليه وتشتاق الى الرزق المعنوي الروحاني
في روضة الملكوت حيث يضرحها لا يموت نظوبي لقوم لا يعرفون
فوق عشقه سعادة ولا يريدون سوى لقائه ارادة ولا يكدّ دون نعيم رضا
جنّة وخوف جحيم منع عشق وعين فسيم فترى العاقل يختار على النعيم
الابد عشق الواحد الفرد الصمد فاذا وجدوتم عشق مولاه فكيف تأسف
همته الى عشق من سواه فسبحان من اذاق قلوب العارفين من لذّة
الخدمة وحلاوة الميثاق ما الهى قلوبهم عن ذكر الجنان والالتفات الى
الحور الحسان انه الجوارح عن الكسل والنفس عن الملل والعقل عن
الزلل والروح عن الامل ونسيان الاجل والسرّ عن رؤية العمل
حتى تخلو عن النقصان والخلل وتقرب الى الله عزّ وجل نفس الانسان
في سنخه قابل جميع النشآت العقلية والنفسية مستجمع العوالم الروحانية
والحسية له قابلية التلبس والوصول الى التي تنبع من الانوار الفوقية
والاضواء اللاهوتية وجامعية الاتصاف بكل هيئة من الهيئات البدنية
والملكات الناسوتية فان ساعدته السعادة الازلية وما يامدته

السقاوة

السقاوة الجبلية وصادفته اسباب الهداية والارتقاء الى
الدرجات وما صادفته موجبات الشقاوة والانحطاط في
الدركات فاثرت فيه الدعوة بالآيات والتاديب والتكليف
بالطاعات والتهذيب وقويت روحه باغذيتها واشربتها
الروحانية وهي الايمان والعبادة والمعرفة والزهادة وتحفّظت
عن سمومها المهلكة الردية وهي الكفر والجهالة والمعصية
الضلالة واستعدت لاقتباس انوار التجلي من سرادقات الجلال
واستفاضت اضواء القدس من سبحات الجمال صارت نفسه
بالاشعة الربانية مستضيئة بالاضواء الروحانية فانعكست على
مملكة بدنه ومعسكر قواه الانوار الواردة عليه عن مولا فصارت
القوى له في جميع اوامره ونواهيه طايعات ولسلوك سبيل الحق
مشيعات بل ما كانت له عايقات فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات وان ما قرعن ذلك ما عجن في سنخه من ازدحام
صفات سبعية ورتّ اكم دواعي شهوية وغضبية ما زجرة زاجرعما
هيهيه ويهواه لغلبة صفات نفسه وهواه وما صدّته صادّ عن
شتهاه ومناه فاتخذ الهه هواه فاضلّه وما هداه فبداه قبّه
وابواه هوّداه فاولئك هم الاشقياء المردودون المقيدون با
بالسلاسل والاغلال المحجوبون عن مشاهدة الانوار الناراليم

في القرآن كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقد حيل بينهم
وبين ما يشتهون **فصل** طوبى لقوم سلكوا سبيل الوحدة
وجانبوها وسمعوا دعوة الحق فاجابوها اصيبت لهم الآلاء فما
طربوا وصبت عليهم البلايا فلم يضطربوا وضعوا طابع الصمت على خزن
اللهوات وسدوا بالجوع مجاري شياطين الشهوات فرقوا الحجب
الخطايا فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة
المضجع حتى ظفروا بكنز النجاة من دار الجزع عبروا جسور الموت
نزلوا بفناء العلم والتقوى ناموا احياء فانتبهوا احياء عاشوا موتا
فماتوا احياء اجساد ارضية بقلوب سماوية واشباح فرشية
وارواح عرشية كائنين بالجثمان بائنين بقلوبهم عن اوطان
الحدثان لارواحهم حول العرش تطواف ولقلوبهم من خزائن البر
اسعاف نفوسهم في منازل الخدمة سيارة وارواحهم في فضاء
القرب طيارة يقول الجاهل بهم فقدوا وما فقدوا ولكن
سمت احوالهم فلم يدركوا وعلت مقاماتهم فلم يملكوا اصرفوا كدهم الى
اقتناء العلوم والخيرات وجدوا في القيام بالطاعات والتضرع
في الخلوات واقبلوا على تصفية النفوس بتبديل الاخلاق والعزلة
عما توجهت اليه اهل الآفاق وضحكوا على اهل الغفلة ضحك العقلاء
على الصبيان اذا اشتغلوا باللعب بالصولجان حتى تجردت نفوسهم

عن علائق العالم الادنى وطهرت انفسهم عن رجس الطبيعة ودنس
الهيولى فعادوا الى الوطن الاصلي ووصلوا الى الموقف الشامخ العقلي
فاذا تخلصوا الى معدن السرور ومقر النور عن عالم الزور والغرور
وجناب الديجور والثبور امتزجوا بالروحانيات واتحدوا بالقادسات
الزكيات تتلقاهم عرائس قدسية بالترحيب والتكريم وحسان
احباب الجنة بالتحية والتسليم تحيتهم فيها سلام لتجردهم عن
المواد وآفات الاجسام فتاهت ارواحهم في الملكوت وكشفت لها
حجب الجبروت فغاصوا في بحر اليقين وتنسموا في زهور رياض اليقين
فصاروا سكارى من انوار جلال الازل وجماله وبقوا حيارى من
فرط حسنه وكماله فاصبحوا في جمال الذات هائمين واضحوا في الصفات
الذاتية قائمين فافاضوا مما شربوا جرعة للعطاش الطالبين والا
ما وجدوا لمعه لقلوب السالكين فحيي من شرب منه جرعة و
تنور قلب من وجد منه لمعة فنطقوا بما نطقوا نظما ونثرا واظهروا
به ما اظهروا بين صحو وسكر جزاهم الله عنا خير الجزاء ورضي الله عنا وعنهم
يوم اللقاء **فصل** قد انكرت طائفة من المتكلمين محبة الله وولايته
الخاصة بالعلماء الراسخين والابدال المقربين قائلين هل المحبة الا
امتثال الاوامر لما تقرر في اذهانهم القواصر انها تستدعي مثالا
وخيالا وتقتضي صورا واشكالا ولم يعلموا ان القوم قد بلغوا في

الذوق والايمان الى ترمن المحسوس وجاد واصن فرط الشوق والوجد
بالارواح والنفوس بل حصر عقولهم فى عالم الشهادة لايهتدون من
الحق الا الى مجرد مفهوم الوجود ولا يتطرقون الى حريم الشهود والتجلى
فى طى الغيب المنكشف للارواح بلا ريب فللكمال الجمال لايدرك بالعقل
ولا ينضبط بالنظر والقياس اللهم لطفنا سرائرنا باشراق المحبة وارتقنا
وشوقنا ارواحنا الى شهود جمالك بفنائها حتى تحيرت فى سبحات
وجهك وطاشت ودهشت عند تجليات حسنك وتلاشت
بحكم الشهود عليها بنفى الوجود والزمها الاقرار بان لا اله الا هو
الواحد القهار فنقول من لم يحصل له جذبة من الحق سبحانه وتعالى
عن فكره وحسه لم يقدر على التخلص من صفات نفسه ولم يحصل له
من المعرفة بالله والاطلاع على الملكوت وتجلى صفات ذى العزة والجبروت
ما حصل لمن جذبه الحى القيوم الذى لا يموت فمواهب الله عز وجل
لا يقاس بكسب ولا يحاذيه عمل فليس السالك الطالب كالمجذوب
المطلوب ولا المعنى المحب كالمنعم المحبوب كما بين الاجتباء والعناية
وبين الانابة والهداية قد فاوت الحق بينهما فى العطاء والنصيب فقال
عز من قائل الله يجتبى من يشاء ويهدى اليه من ينيب لما فاجاء
الحق سبحانه المجذوبين بالامر العظيم الذى هالهم اخذهم عنهم فنقلو
بلاهم وذلك حياة قلوبهم ونقض بنائها وهدم ثم بناها بناء ثانيا

اعلى واتم فطهرهم من الدنس وصفاهم من الكدر وجلاهم باحسن الجلاء
ونور فتصرف بهم المتصرف فى الملك والملكوت عالم الغيب والجبروت
فتكلم بلسانهم كلاما يريد ويختاره ويفعل على ايديهم ما يشاء من
الافعال والاثار فيتفطن منه الطالب انه اذا جاهد وارتاض ونقا
يمكن ان يتبدل بشريته ويزول ناسوتيته فيفنى عنه الصفات
الانسانية ويظهر فيه النعوت الربانية وعند ذلك تفنى ما كان
فانيا فى الازل ويبقى ما كان باقيا لم يزل ويعرف ان الذى كان
تسميه غيرا ما كان الا وهما وخيالا والتوجه اليه لم يكن الا غيا
وضلالا والموجود ما كان الاحقا فينعدم فى نظره الاكوان و
يبقى الملك الديان فاولئك فى الحقيقة عباد الرحمن وغيرهم عبيد
الهوى والهوان وقد مدح الرحمن عباده باضافتهم الى اسمه الرفيع
ونالوا به الشرف المنيع كما قيل فى وصف حالهم بيانه عن مقالهم
كفى شرفا انى مضاف اليكم ۞ وانى بكم ادعى واعرف ۞ اذا ما على
الارض قوم تشرفوا ۞ فلى شرف منكم اجل واشرف فنقول الجذبات
الوجدانيات ظاهرة الانية خفية الهية ومن اعتاد ان يتصور
حقائق الاشياء بتعريفات موصلة اليها من الحكماء لا يجد من نفسه
مجالا ان لا يتكلم فى تعريف الامور الذوقية والوجدانية وان لم يكن
ما ذكر من المعانى الحدية او الرسمية لعلة تحقيق الحقائق على نفسه

وتنبيه الطالب واعلامه عن عقله وحدسه فعرفها بعضهم بانها
ابتهاج بتصور حضرة الذات وهذا تعريف بما يلزم المحبة في بعض
الاوقات وعرفها الطبيب بانها مرض وسواسي هوائي ينبعث عن
خلط ردي سوداوي وهو انما يصلح او يصلح تعريفا لبعض آحادها
دون ساير افرادها وقال بعض اهل الذوق ان المحبة صفة سرية
وعناية ازلية وقال بعضهم انها سر الله تعالى اودع قلوب المؤمنين
وافاض على ارواح المؤمنين والقولان اشارة الى المحبة الالهية الفائضة
على خواص عباده بحسب العناية الازلية وما سنح على خاطر هذا
الضعيف وانتج ان المحبة وان كانت معنى واحدا ومفهوما فاردا
لكنها تختلف بحسب موصوفاتها وتفترق من جهة متعلقاتها فترسم
لذلك برسوم مختلفة مفترقة وتعاريف متعددة غير متفقة
فاما الالهية فهي عبارة عن حقيقة واجبية وذات الهية اذا تعلقت
بشيء مما سواه توجب اصطفاءه وتقتضي ايثاره الى غيره وايصاله
الى كمال نفسه وسره واما الكونية فهي ان تعلقت بجمال من الجمالات
وكمال من الكمالات فهي عبارة عما هو مبدأ كمال وباعث لتحصيل جمال
وبهذا التعريف يشمل المحبة كل ما فيه كثرة وتفصيل وقوة وتكميل
ولهذا حكموا بسريان المحبة في جميع الموجودات وشمولها لقاطبة
الماهيات وان لم تتعلق بذلك فهي عبارة عن ميل روحاني بنفي المحب

في محبوبه

في محبوبه يفقد الطالب مطلوبه اخذا بالمطالعة كما لم يرو ابتغا
بمشاهدة جماله ولكونها امرا ذوقيا روحانيا ومعنى شهوديا وجدانيا
كلما يكون المدرك الطف واجلى يكون ادراكه اتم واعلى فهي بكمالها
لا يكون الا لاكمل الممكنات وسيد الكائنات وهو نبينا عليه وآله
الصلوة والسلام من المفضل المنعام بكمالها وتمامها لا يكون الا لمبدع
الاشياء والخالق لما يشاء ولغيره آثار فايضة من بحر جوده و
رشحات نالها من سحاب وجوده [illegible] اتى على الانسان حين من
الدهر لم يكن شيئا مذكورا ومضت عليه برهة من الزمان ما
كان مفهوما مشهورا وهذه الدعوى غنية عن البرهان بل مشاهدة
بالعيان فان البدن المخلوق من النطفة الكائنة من الطين اللازب
المختمر بيد القدرة في اربعين والعجين الصاعد الى السنون الذي
مرت على الطينة اعصر وسنون كيف يكون قد بقي مسبوقا
بزمان خاليا عن التجدد والحدثان ثم بعد مرور الايام والشهور
وكرور الاعوام والدهور خلق من نطفة امشاج حاصلة على اوسط
مزاج بين يبوسة الارض ورطوبة الهواء وحرارة النار وبرودة الماء بل
بين يبوسة المعادن ورطوبة النبات وحرارة الحيوان وبرودة آثار
الجو من الكائنات وهذا التوسط سمي تعديلا وتسوية في القرآن
في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك

فسوّاك فعدلك فى اى صورة ما شاء ركبك وصف هو تعالى
نفسه فى هذه الآية بصفتين متناسبتين لتعديل مزاج الانسان
اشعارا بان هاتين الصفتين هما المقتضيتان لخلقه من العناصر
والاركان ولولا الربوبية والكرم ما وجد نوع بنى آدم ثم افاض عليه
انوار الحواس فاستعمل اشتعالا قويا والتهب زيتها فى فتيلتها
التهابا قويا فلما انفتحت بصيرته وتفتحت سريرته راى تسع
حقاق نيلية وكلّة قبابها مسدولة جلبابها لامع زهراتها ودورة
ابوابها دايرة كؤسها ناكسة رؤسها امثال الطاسات المقبّبة
واشباه الكاسات المنكبة فتحيّر وانشد : ما نيم درين گنبد
فيروزه اساس ، چون مهره رخنه حيران در طاس ، آگاه نه از
منزل امید و هراس ، سرگشته و چشم بسته چون گاو خراس ،
لانه ما راى فى هذه الحلقة متصعّدا وما ابصر فى هذه الدائرة ديارا
احدا سوى سبع كعاب امثال كواعب واتراب جائلة بين هذه
الحقاق تارة بالتثليث والتسديس وطورا بالمقابلة والاحتراق
فدهش وتوحش ثم انشد شعر : ما لعبتكانيم وفلك لعبت باز ،
از روى حقيقتى نه از روى مجاز ، بازيچه همى كنيم بر نطع وجود ،
رفتيم بصندوق عدم يك يك باز ، فاحال الكاينات الى الدهر
والطبيعة التى هى اخترعها فى الصنيعة وقصر نظره على الاجسام و

وما

وما تعدى الى نقابس عالم الابداع بل انكر الصانع المدبّر وجحد المبدع
المقدّر ففقد الملك وصوامعه فلهذا عبد الطاغوت وصوامعه
وتوهّم صنيعه بدعه فاتخذ ودّه ووده وهكذا اوساخ الدهرية الّذين
اضلّوا عن الملّة من جملة البريّة وممّا تيقّن به اهل الاسلام يقينا
فحقّت بصيرته قليلا وتامّل تاملا كليلا تحدس ان هذه التغيرات
الجارية على الكاينات لا تتكوّن الا من مكوّن غير متكوّن ولا تتلوّن
الا من ملوّن غير متلوّن فعثر على عيوبه واعترف بذنوبه فاستغفر
وتاب واقرّ واناب وتيقّن علما بالمبدا الدائم والمقيم القائم لكن تحيّر
فى حال العباد واضطرب فكره فى مآل المعاد بل صرّح بنفيه حيث
درى ان الانسان متكوّن من امتزاج ومزاج حاصل فيما بين الاركان
فهو ما فسد لا يرجى له عايدة اذ ليس له ولغيره فايدة فحكم بانه اذا
مات مات وسعادته مما قد فات كما حكى الله عنه ما هى الا حيوتنا
الدنيا نموت ونحيا مثل العشب لم يحيى فيصير هشيما احوى وانبته
له فى الابتداء حتى يعاد له فى الانتهاء وانشد : زاوردن من نبود
گردون را سود ، وز بردن من جاه وجلالش نفزود ، وز هيچكسى نيز
دو گوشم نشنود ، كآوردن و بردن من از بهر چه بود ، فلهذا السبب
انكر النبوّة المنذرة بالبعث وفوايدها واعترض بحاملى منع شرعها
وهذه طريقة اهل الهند والبراهمة وعليها اجرت الصابية المذكورة فى

كتاب الله فی مواضع جمة عبدوا الکواکب وجعلوها الی التقرب الیه
وسائط و دلیلا قالوا ابعث الله بشرا رسولا تخصیص هذا راس ادهم و
نهایة انکارهم واستنکارهم فی تلک المقالة علی ان البشر لا یصلح
للرسالة لاشتراک افراده فی الحقیقة والهیئة فیستحیل تخصیص واحد
دون آخر بخاصیة النبوة هذا غایة حججهم الداحضة ونکایة انکارهم
الغامضة الا انها اوهن من بیت العنکبوت واضیق مجالا من [illegible]
حیث یندفع بحرف واحد وکلمة یسیرة وکم من فئة قلیلة غلبت فئة
کثیرة وهو ما قال الله تعالی فی محکم کتابه الله یعلم حیث یجعل رسالته
یعنی ان نوع البشر وان کان متماثلة الافراد لکنها تتخالف فی القوة و
الاستعداد فلبعض النفوس مقدار بعث لا یبلغه احد سواه و
اما الذی یحکم به العقل القویم الناهج علی الصراط المستقیم هو ما
تدین به اهل الاسلام واعترف به اصحاب الحکمة والکلام من انه لا بد
فی النبوة من جهتین احدهما نظرا الی عنایة المعبود بتکمیل الناس فی
النشاتین فانه من لم یهمل اخص العدمیین دون التقعیر ولم یضع نقوش
تقویس الحاجبین بلا دقیقة فبان لا یسوغ الصنعة بافاضة النبوة علی
روح من الارواح البشریة مع کونه رحمة للخلق والبریة کان اولی
الیق واحری واخلق والثانیة نظرا الی احتیاج العباد فی امور المعاش
والمعاد الی رئیس مطاع وامیر قاهر واجب الاتباع کیف و الهیکل الانسی

الذی

الذی هو عالم صغیر حتی لم یکن له مطاع امیر یسوی کل واحد من سکانه
وقواه علی مکانه ومثواه لتحزب واضمحل واختل سریعا حتی اصبح عالمه
مطاعا مطیعا بل لا بد للجمیع من امیر واحد ینتهون بزجره ویأتمرون بامره
ما آتاکم الرسول فخذوه وما نهاکم عنه فانتهوا واذا کان امر العالم الصغیر
لا ینتظم دون قائم بتدبیره فما ظنک بعالم العناصر الساذ لآثار الفتن الممکن
لانواع المفاسد والمحن فقد تبین وانکشف انه لا بد للخلق من الهادی
الی کیفیة تحصیل المصالح وطلب المساعی والمناهج حتی تتم العنایة
الازلیة وتکمل الهدایة الالهیة فالحق الحقیق بالتحقیق والتصدیق ان
الحق تبارک وتعالی لما خلق الخلق وسواه ودبر الامر واجراه ثم استوی
علی العرش وعلاه کان من افضل رحمته واتم جوده ونعمته وکمال
الاحسان الی نوع الانسان بل الی سائر الاکوان من النبات والحیوان
ان اختار طائفة من عباده واصطفاهم وقربهم وناجاهم وکشف لهم
عن مکنون علمه واسرار غیبه واخباره ثم بعثهم الی عباده لیدعوهم
الیه والی جواره لیستضیئوا بانواره لکیما ینتبهون عن نوم الجهالة
ویستیقظون عن رقدة الغفلة والکسالة ویحیون حیوة العلماء
ویعیشون عیش السعداء ویبلغون الی کمال الوجود وفاز الخلود عنده
الملک الحق الودود کما ذکر فی کتابه ورموزه واشار فی مصحفه وکنوزه
فیض النفس المحجوبة بغطائها الستری وبصیرتها الحولی لا فقد

الى معرفة حكمة الرسالة ولا تذعن للمتابعة ولا تنقاد للطاعة بل تطغى
بالانانية وطلب العلو والفرعونية والذى يمنعها عن التفرط و
الاستعلاء ويردعها عن الغلبة والاستيلاء هو النور البارق الالهى
والبرهان النير العرشى الذى يتالق به الفلق فى افق الهدى المجرد
للنفس والقوى الدال على صدقه فى الدعوى المفيد لقوتيها العاقلتين
النظرية والعملية الهيئة النورية والقوة القهرية حتى صار الاولى
قوة قدسية متأيدة بالحكمة الكاملة والثانية قوة ملكية متأيدة
بالقدرة الشاملة فتنقض الاسباب الموجبة لخوارق عادات
الخلايق الصادرة عن الانبياء ثلثة باذن مبدع الاشياء صفاء
وبقاء فى النفس وقوة نظرية قوية فى الحدس وضعف سلطان
المتخيلة من الحس اما الاول فهو ان جوهر النفس من سنخ الملكوت و
الملكوتيون موثرة بالطبع فى ذوات الجهات والصور ذوات المواد و
الطباع مسخرة مطيعة طوعا او كرها للعالم الابداعى فالنفس التى شعلة
من نارها تفعل مثل آثارها الكلية حسبها فيها كان الشعلة من
النار تفعل فعل النار من الاحراق وساير الآثار ولكن على قدر قوتها
واول ما يظهر من ذاتها هو بدنها ومعسكر قواها وآلاتها وكل واحد
من الانسان يجد هذه الحالة من نفسها بالوجدان واذا كان نفس
دائما بالنظر الاول فاعلة وقوع نفس كبيرة واقية بتدبير مملكة الارض

والطول

والطول حتى يستوعب حكم تسخيرها وتدبيرها فى انقياد الاجساد
الى ان تتعدى سلطانها الى عالم الكون والفساد وهذا كانقلاب
الهواء نار ابرهيم باذن ربه القديم حيث قال يا نار كونى بردا
وسلاما على ابرهيم بل من الجانبين وقوع نفس علية جلية يتعدى
حكمها الى فلق البحر والى التصرف فى الافلاك بالخرق والالتيام كما كان الاول
لموسى والثانى لمحمد المصطفى عليهما الصلوة والثناء فانظر الى مراتب
معجزات هؤلاء العظماء من الرسل والانبياء لتستدل بها على كمال
اوصافهم ودرجات منازلهم عند خالقهم ومرسلهم اما ابرهيم فلما
كان اقواها حلما فاعطى اطفاء النار باحلمها ما حتى كانت عليه
بردا وسلاما واما موسى عليه السلام فلما كان الغالب عليه حدة الغضب
وشدة اللهب فاوتى استيلاء على البحر حتى انفلق فكان كل فرق
كالطود العظيم معجزة له على مضادة معجزة ابرهيم واما سيدنا وسيد
الانبياء والاصفياء عليه وعليهم الصلوة والتحية الدايمة فلما كان
اعدل الامزجة خلقا واتم الناس وكملهم خلقا سلط على الافلاك
الاشفاف الخالية عن الاطراف بالرتق والفتق والتم والشق
الاعتدال ومشابهة الكمال فدفع الاضداد بالاضداد وقهر الانداد
بالانداد كما يفلح الحديد بالحديد وبحج وهذا هو العدل القويم و
الصراط المستقيم وهذه الخاصية لجوهر النفس الموجبة للآثار

العزيزة والاحوال العجيبة المخالفة للمألوف المعهود الموافقة للحق
المعبود ليست موكولة الى اختيار الخليقة من بنى آدم بل هى موهوبة
من بحر الجود والكرم ومن هذا يعلم خطأ من ظن ان النبوة كسبية
ويحكم بانها عطائية موهبية ولهذا قال اشرف اهل العالم فضلا اعطى
الناس بيت وعلم من جملة الاوصاف والشيم انا اوتيت جوامع الكلم
ثم قال ولا فخر اى الفخر بالكسبيات الاختيارية لا بالموهبيات الاضطرارية
واما السبب الثانى فهو ان القوة النظرية منقسمة الى بالغة حد الكمال
وناقصة نازلة الى رتبة الارذال والبالغة ينقسم الى ما يحتاج الى معلم
انسانى وآلة نظرية من علم قانونى كما هو في اكثر الناس على تفاوت
درجاتهم وتنوع استعداداتهم والى ما لا يحتاج الى تعلم بشرى ولا يفتقر
الى قانون نظرى بل يفهم الامور الغيبية بلا توسط انسان من عالم
الاسرار كما قال تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار واما
النفوس البشرية الناقصة فى القوة النظرية فتنقسم الى ما هو اصلا
لا يعقل فهو واقع فى مقابلة الانبياء والرسل لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم آذان لا يسمعون بها وذلك لجمود فطرته وخمود قريحته وقساوة
قلبه ودين طبيعته كالحجارة او اشد قسوة فان من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار والى ما يعقل ولكن بصعوبة وكلفة ومشقة وآفة
كما ترى من المتعلمين ما يمضى طول عمره فى البحث والتكرار آناء

الليل واطراف النهار ثم يرجع بخفى حنين ويصير مطرحا للعار و
الشين وهم المذكورون فى قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا واما السبب الثالث فهو ان القوة المتخيلة قد
تكون عاصية فى طاعة النفس ممتنعة طاغية وقد تكون تامة
لها طائعة وقد تكون متوسطة بين الطاعة والعصيان والانقياد
والطغيان فالاول كما للعوام حيث تزينت لهم قبائح صور المحسوسات
الفانية على حسان صور المعقولات الباقية كما اليه اشير فى القرآن
افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ولله در حكيم الشعراء حيث
يقول ١ صد اندرز من تو اين است ١ كه تو طفلى وخانه رنكين است
واما الثانى فكما للنبى عليه السلام حيث يحكى الصور والسوانح الغيبية
كما هى بلا خبط وتغيير مثل التماثيل الغيبية بلا غلط ومن ثم قال
عليه وآله السلام من المبلغ البدى اسلم شيطانى على يدى و
اما الثالثة فهى حدود الاوساط من الاتقياء والعصاة كالموسى من مرتبة
على نبينا وعليه السلام من الملائكة الثانى حيث كانت مانعة من قوته
عقلية لولاه معينة على تحصيل حقائق ما سواه وفوق هذه القوة
وضعفها قد يكون فطرية وقد يكون كسبية اذ هى جسمانية
قابلة للذبول والنحول والانتقال بتقليل الطعام والشراب و

وتكثير السهر والاضطراب وكل ما يضاد قوتيها يكثر شهوتها و
لهذا اعتادت الصوفية القعود في الخلوات وارتاضت جوائب
الفلوات رياضة للجسد وهواه ومجاهدة مع قواه ذبحا للشهوة
النفس الشهواني ونحر الحقود الجمل الغضبي تقربا بقرابينها الى قبة
الشاهقة والبواجية ورتبة الكمال والشامخة ومن هنا زعمت
الضعفاء من العقلاء ان النبوة كسبية فالخاصية الاولى موهبية
والباقيتان مكتسبتان فالحاصل ان النفس التي هي من جواهر
الملكوت ومن سنخ عالم الجبروت متى تشبثت بالمبادي العالي
في مصفى العلم والعمل يفعل امثال افعالها وان كانت اضعف منها
وانزل وهذا كالحديدة الحامية المحمرة والزجاجة المملوة المصفرة
فالاولى تفعل فعل النار من الاشراق والاحراق لاتصافها بصفتها
والثانية تتلون بلون الخمر المصبوب فيها كما يحيي البدن بالروح
ويحفظ نفسها ولا تعجب من عناية الخالق الرازق الوهاب حيث
يرزق من يشاء بغير حساب ولا تضيق رحمته الكاملة ولا تشح
سحابة جوده العاطفة الكافلة فان الفيض عام والجود تام فيض
الولي الكامل والفاني المضمحل من طوى بساط الكون وخلص عن
مضيق البون وخرج من الاين والبين ووصل وفني في العين فاذا
بقي في المحو ولم يرجع الى الصحو كان مستغرقا في الحق محجوبا وغافلا به

عن

عن الخلق كما كان قبل الفناء محجوبا وغافلا بالخلق عن الحق لضيق
وعائه الوجودي واتساع قبوله التجلي الذاتي الشهودي فالمحو
في مقام الفناء والشهود اضمحلت الكثرة في شهوده واحتجب التفصيل
عن وجوده ما زاغ بصره عن مشاهدة جماله وسبحات وجهه و
كماله فاذا رجع بالوجود الحقاني الموهوب الى الصحو وعاد الى
التفصيل بعد المحو وسع صدره الحق والخلق وانشرح وقام
بانباء الحقائق والعلوم وصح صار متوسطا بين التشبيه و
التعطيل ناظرا بعين الجمع الى التفصيل وهنالك اجتمع الفرق و
وارتتق الفتق واستتر النور في النور وبطن الظهور في الظهور
ونودي من وراء سرادقات العزة ۵ الا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زايل ۵ فاذا فرغ عن السير الى الله وفي الله وعن
الله فانتصب في مقام الاستقامة والسير بالله يستوي عنده
الخلوة والجلوة والانعزال عن الخلق والخلطة غير محتجب برؤية
الحق عن الخلق ولا بملاحظة الخلق عن الحق ولا مشتغلا بوجود الصفات
عن الذات ولا بالذات عن الصفات ولا محروم ما انتهوا الجمال عن
الجلال ولا بالجلال عن الجمال وفي هذا المقام يطوي الزمان و
المكان ويتصرف في جميع الاكوان تصرف النفوس في الابدان و
ذلك هو الفوز العظيم والمن الجسيم يؤتيه من يشاء والله سميع عليم

فسبحانك اللهم اعطنا فناء يستلزم البقاء الابدى ومحوا يستتبع
الصحو السرمدى فيتم لنا الخلاص من مضايق الامكان والنجاة
من طوارق الحدثان فبقيا النفوس من الحق مبدأها ومعادها
وعقول الى الله مصيرها ومطارها تنبيه قد اشير فى هذه الرموز
الى كنوز لا يهتدى الى معناها الا من عنى نفسه بالمجاهدة وتجرع
غصص المطالب بنيه فى هذه الفصول على اصول لا يطلع على مغزاها
الا من اتعب بدنه فى الرياضات لكيلا ذاق الشرب فان اطلع
بالعناية الربانية مشكلها وفتحت بالهداية الالهية معضلها
صرت طائرا فى فضية عالم الملكوت وسابحا فى بحور بحار
اللاهوت فاشكر ربك على قدر ما اهدى اليك من الحكم و
احمد على ما اسبغ عليك من النعم واقتد بقول سيد الكونين
ومرآة العالمين عليه وآله من الصلوات ازكاها ومن التحيات
انماها لا تؤتوا الحكمة غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوا اهلها فتظلموها
فعليك بتقديسها عن الجلود الميتة وعدم استبدالها عما الا نفس
الخبيثة كما قررها اوصى بها الحكماء الكبار اولو الايدى والابصار
لعكوفهم عن الحظوظ الدنية وانهماكهم فى اللذات البدنية فان وجدت
من استقامت على سنن الحق طريقته وحمدت عند خواص الخلق
سيرته فآتها ما آتاك الله من فضله واسلك به طريق الحق كما هداك الله

من قبله وليكن هذا آخر ما اوردنا ابرازه ونهاية ما قصدنا افادته
فان وجدته مخالفا لما فهمته او اعتقدته ايها الطالب الذوق
السليم فلا تنكره وتذكر قوله تعالى وفوق كل ذى علم عليم فان
ان معانى الحقائق لا تحصر بحسب فهم كل ذى فهم ورموز الدقائق
لا تتقيد بقيد كل عقل ووهم وايقن ان من احتجب بعلومه
وانكر ما وراء مفهومه فهو موقوف على حد علمه وعرفانه محجوب
عن خفايا اسرار ربه وديانه واستغفر الله لى ولك ولمن سعى
ووعى وقبل الوصية واتقى نقل هذه الدرة البهية والفائدة
الكريمة من نسخة نقلت من نسخة كتبها المصنف رحمه الله تعالى

عن عبد الله بن مسعود قال ان اول شئ علمته من امر رسول الله صلى الله عليه وآله
قدمت مكة فى عمومة لى فارشدونا على العباس بن عبد المطلب
فانتهينا اليه وهو جالس الى زمزم فجلسنا اليه فبينا نحن عنده
اذ اقبل رجل من باب الصفا تعلوه حمرة وله وفرة جعدة الى انصاف
اذنيه اقنى الانف براق الثنايا ادعج العينين كث اللحية دقيق المسربة
شثن الكفين حسن الوجه معه مراهق او محتلم تقفوهما امرأة قد سترت
محاسنها حتى قصد نحو الحجر فاستلمه ثم استلم الغلام ثم استلمته
المرأة ثم طاف بالبيت سبعا والغلام والمرأة يطوفان معه فقلنا

يا ابا الفضل ان هذا الدين لم نكن نعرفه منكم او شيء حدث قال هذا
ابن اخي محمد بن عبد الله والغلام علي بن ابي طالب والمراة امراته
خديجة بنت خويلد ما على وجه الارض احد يعبد الله بهذا الدين
الا هولاء الثلثة يقال ان الوفرة الشعرة الى شحمة الاذن ثم الجمة
ثم اللمة وهي التي الممت بالمنكبين والقنا احديداب في الانف يقال
رجل اقنى الانف وامراة قنواء بينة القنا وهو عيب في الخيل والدعج
شدة سواد العين مع سعتها يقال عين دعجاء وكث اللحية كثاثة
اي كثف ولحيته كثة وكثاء ايضا ورجل كث اللحية المسربة
الرقيق الشعر المستدق الذي ياخذ من الصدر الى السرة يقال
شثنت كفه بالكسر اي خشنت وغلظت ورجل شثن الاصابع بالتحريك

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله تعالى الذي هو فاتحة كل كتاب والصلوة
على رسوله الذي هو خاتمة كل خطاب فاني انبهك عن رقدتك ايها
المسترسل في تلاوتك المتخذ دراسة القرآن عملا المتلقف من
معاني ظواهره جملا فالى كم تطوف على ساحل البحر مغمضا عينيك
عن غرائبها اوما كان لك ان تركب متن لجتها لتبصر عجائبها وتسافر الى جزائرها لاجتناء اطايبها بل تغوص في عمقها فتستغني

بنيل جواهرها وانا تستعين نفسك في الحرمان عن دررها وزواهرها
بادمان النظر الى سواحلها وظواهرها اوما بلغك ان القرآن هو
البحر المحيط ومنه تتشعب علم الاولين والاخرين كما تتشعب عن
سواحل البحر المحيط انهارها وجداولها اوما يغبط اقواما خاضوا
غمرة امواجها فظفروا بالكبريت الاحمر وغاصوا في اعماقها
فاستخرجوا الياقوت الاحمر والدر الازهر والزبرجد الاخضر
وساحوا في سواحلها فالتقطوا العنبر الاشهب والعود الرطب
الانضر وتعلقوا الى جزائرها فاستدروا من حيواناتها الترياق
الاكبر والمسك الاذفر وها انا ارشدك فاضنا اخانك ومرجيا
بركة دعائك الى كيفية سياحتهم وغوصهم وسباحتهم فصل
واقول سر القرآن ولبابه الاصفى ومقصده الاقصى دعوة العباد الى
الجبار الاعلى رب الاخرة والاولى وخالق السموات العلى والارضين
السفلى وما بينهما وما تحت الثرى فلذلك انحصرت سور القرآن
واياته في ستة انواع ثلثة منها هي السوابق والاصول المهمة وثلثة منها
هي الروادف والتوابع المغنية المتمة فاما الثلثة المهمة فهي تعريف
المدعو اليه وتعريف الصراط المستقيم الذي يجب ملازمته في
السلوك اليه وتعريف الحال عند الوصول اليه واما الثلثة المغنية
المتمة فاحدها تعريف احوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم

وسره ومقصوده التشويق والترغيب وتعريف احوال الناكبين
والناكلين عن الاجابة وكيفية قمع الله لهم وتنكيله بهم وسره
ومقصوده الاعتبار والترهيب وثانيها حكاية احوال الجاحدين
وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجة على الحق ومقصوده
وسره في جنبة الباطل الافضاح والتحذير والتنفير وفي جنبة
الحق الايضاح والتثبيت والتقرير وثالثها تعريف عمارة
منازل الطريق وكيفية اخذ الزاد والاهبة والاستعداد فهذه
ستة اقسام القسم الاول تعريف المدعو اليه وشرح معرفة
الله تعالى وذلك هو الكبريت الاحمر ويشتمل هذه المعرفة على
معرفة ذات الحق ومعرفة الصفات ومعرفة الافعال وهي الثلثة
هي اليواقيت فانها اخص فوائد الكبريت الاحمر وكما ان لليواقيت
درجات فمنها الاحمر والاكهب والاصفر بعضها انفس من بعض
فكذلك هذه المعارف الثلاث ليست على رتبة واحدة وكان انفس
هذه اليواقيت وهو الاحمر اجل واعز وجودا ولا يظفر منه الملوك
لعزته الا باليسير وقد يظفر بما دونه بالكثير فكذلك معرفة الذات
اضيقها مجالا واعسرها منالا واعصاها على الفكر وابعدها من
قبول الذكر ولذلك لا يشتمل القرآن منها الا على تلويحات و
اشارات ويرجع اكثرها الى ذكر التقديس المطلق كقوله تعالى ليس

كمثله

كمثله شيء وكسورة الاخلاص والى التعظيم المطلق كقوله سبحانه
وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض واما الصفات
فالمجال فيها اوسع ونطاق النطق فيها اوسع ولذلك كثرت آيات افسح
القرآن المشتملة على ذكر العلم والقدرة والحيوة والكلام والحكمة
والسمع والبصر وغيرها واما الافعال فبحرها متسع اكنافه
ولا ينال بالاستقصاء اطرافه بل ليس في الوجود الا الله وافعاله
فكل ما سواه فعله لكن القرآن اشتمل على الجلي منها الواقع في عالم
الشهادة كذكر السموات والكواكب والارض والجبال والبحار
والحيوان والنبات وانزال الماء الفرات وسائر اسباب النبات
والحياة وهي التي ظهرت للحس واشرف افعاله واعجبها وادلها على
جلالة الصانع ما لا يظهر للحس بل هو من عالم الملكوت وهي الملائكة
والروحانيات والروح والقلب اعني العارف بالله من اجزاء الآدمي
فانها ايضا من عالم الغيب والملكوت وخارج عن عالم الملك و
الشهادة ومنها الملائكة الارضية الموكلة بجنس الانس وهي التي
سجدت لآدم ومنها الشياطين المسلطة على جنس الانس وهي التي
امتنعت عن السجود له ومنها الملائكة السماوية واعلاهم
الكروبيون وهم العاكفون في حظيرة القدس لا التفات لهم
الى الآدميين بل لا التفات لهم الى غير الله لاستغراقهم بجمال الحضرة الربوبية

وجعلا لها فصورون عليه لما ظهر يسبحون الليل والنهار لا يفترون
ولا تستبعد ان يكون في عبادة من يشغله جلال الله عن الالتفات
الى آدم وذريته ولا تستعظم الآدمي الى هذا الحد فقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لله ارضا بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلثون يوما هي
مثل ايام الدنيا ثلثون مرة مشحونة خلقا لا يعلمون ان الله
يعصى في الارض ولا يعلمون ان الله خلق آدم وابليس رواه ابن عباس
رضي الله عنهما فاستوسع مملكة الله تعالى واعلم ان اكثر افعال الله
تعالى واشرفها لا يعرفها اكثر الخلق بل ادراكهم مقصورة على
عالم الحس والتخييل وانهما النتيجة الاخيرة من نتائج عالم الملكوت
وهو القشر الاقصى عن اللب الاصفى ومن لم يجاوز هذه الدرجة فكانه
لم يشاهد من الرمان الا قشرته ومن عجائب الانسان الا بشرته
هذه جمل القسم الاول وفيها اصناف المواقيت وستتلو عليك
الايات الواردة فيها على الخصوص جملة واحدة فانها زبدة القرآن
وقلبه ولبابه وسره القسم الثاني تعريف طريق السلوك الى الله تعالى
وذلك بالتبتل كما قال تعالى وتبتل اليه تبتيلا والاقبال عليه انما يكون
بملازمة الذكر والاعراض عنه يكون بمخالفة الهوى والتنقي من كدورات
الدنيا وتزكية القلب عنها والفلاح بالضرورة منهما كما قال تعالى
قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فعمدة الطريق امران فالملازمة

لذكر الله والمخالفة لما يشغل عن الله وهذا هو السفر الى الله وليس
في هذا السفر حركة لا من جانب المسافر اليه فانهما معا وما سمعت
قوله تعالى وهو اصدق القائلين ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
بل مثال الطالب المطلوب مثل صورة حاضرة مع مرآة ولكن ليس
يتجلى في المرآة لصدى في وجه المرآة فمتى صقلتها تجلت فيها الصورة
لا بارتحال الصورة الى المرآة ولا بحركة المرآة الى الصورة ولكن بزوال
الحجاب فان الله تعالى متجل بذاته لا يختفي وكيف يختفي النور
وبالنور يظهر كل خفاء والله تعالى نور السموات والارض فانما
خفاء النور على الحدقة لاحد امرين اما الكدورة في الحدقة واما
لضعف فيها لا تطيق احتمال النور العظيم الباهر كما لا تطيق نور
الشمس ابصار الخفافيش فما عليك الا ان تنقي عن عين القلب كدورته
وتقوي حدقته فاذا هو فيه كالصورة في المرآة حتى اذا فاجأتك
تجليه مادرت ولم يثبت فيه مادرت وقلت انه فيه فانا سبحي
فقد تدرعا باللاهوت ناسوتي الا ان تثبتك الله بالقول الثابت
فتعرف ان الصورة ليست في المرآة بل تجلت لها وما حلت فيها ولو
حلت لما تصور ان تجلى صورة واحدة لمراى كثيرة في حالة واحدة بل
كانت اذا حلت في مرآة ارتحلت عن غيرها وهيهات فانه تجلى لجملة
من العارفين نعم انه تجلى في بعض المرائي اصح واظهر واقوم واوضح

و في بعضها اخفى واميل الى الاعوجاج عن الاستقامة وذو التعجب
صفاء المرآة وصقالتها وصحة استعدادها واستقامتها وبسط
وجهها ولذلك قال ع ومعرفة السلوك والوصول ايضا جوهر من
جواهر القرآن **القسم الثالث** تعريف الحال عند ميعاد الوصال وهو
يشتمل على ذكر الروح والنعيم الذي تلقاه الواصلون والعبارة الجامعة
لانواع روحها ونعيمها الجنة واعلاها لذة النظر ويشتمل على ذكر الخزي
والعذاب الذي تلقاه المحجوبون عنه باهمال السلوك والعبادة
لاصناف آلامها الجحيم واشدها الم الحجاب والابعاد ولذلك
قدمها الله في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
ثم انهم لصالوا الجحيم ويشتمل ايضا على ذكر مقدمات احوال الفريقين
وعنها يعبر بالحشر والنشر والحساب والميزان والصراط ولها
ظواهر جلية تجري مجرى الغذاء لعموم الخلق ولها اسرار غامضة
تجري مجرى الحياة لخصوص الخلق ولعل ثلث ايات القرآن وسوره
يرجع الى تفصيل ذلك وليس يجمعها في اكثر من ان تحصى و
يلتقط ولكن للفكر فيها مجال رحب وهذا القسم هو الزمرد الاخضر
القسم الرابع احوال السالكين وهي قصص الانبياء واحوال الناكبين
وهي قصص الجاحدين والكفار وفائدة هذا القسم الترغيب و
الترهيب والاعتبار ويشتمل ايضا على اسرار ورموز واشارات محوجة

الى الطويل

الى الطويل وفيها يوجد العنبر الاشهب والعود الرطب الانضر وآياتها
الواردة فيها كثيرة لا يحتاج الى طلبها وجمعها **القسم الخامس** محاجة الكفار
ومجادلتهم وايضاح مخازيهم بالبرهان الواضح وكشف اباطيلهم وتخاييلهم
وفيها يوجد الترياق الاكبر وآياتها ايضا كثيرة ظاهرة **القسم السادس**
تعريف عمارة المنازل وكيفية التأهب للزاد والاستعداد باعداد
السلاح الذي يدفع سراق المنازل وقطاعها وبيانه الخ فيكفيك
من شرح هذه الرموز هذا القدر واستنبط الباقي لنفسك وحل
الرموز فيه ان اطقت وكنت من اهله لقد اسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن انادي **فصل** لعلك تقول قد ظهر لي ان هذه
الرموز صحيحة صادقة فهل فيها فائدة اخرى سواها فاعلم ان الفائدة
كلها وراءها فان هذه انموذج ليعرف بها طريق تعريف المعاني
الروحانية الملكوتية بالالفاظ المالوفة الرسمية لينفتح لك باب
الكشف في معاني القرآن وانفتحت عندهم اعتراضات عليها
وتخايل اليهم تناقضها فبطل اصل اعتقادهم في الدين واورثهم
ذلك جحودا بالمنافق الحشر والنشر والجنة والنار والرجوع الى الله تعالى
بعد الموت فاضمروها في سرائرهم وانحل عنهم لجام التقوى ورابطة
الورع فاسترسلوا في طلب الحطام واكل الحرام واتباع الهوى و
الشهوات وقصروا الهمم على طلب الجاه والمال والحظوظ العاجلة

[illegible]

ونظروا الى اهل الورع بعين الاستحقار والاستجهال وان شاهدوا
الورع ممن لا يقدرون على انكار غزارة علمه وكمال عقله وغاية ذهنه
حملوه على ان غرضه التلبيس والناموس واستمالة القلوب و
صرف الوجوه الى نفسه فما زادهم مشاهدة الورع الا عنادا وضلالا
مع ان مشاهدة ورع اهل الدين من اعظم المؤكدات لعقائد المؤمنين
وهذا كله لان نظر عقلهم مقصور على صور الاشياء وقوالبها
الخيالية ولم يمتد نظرهم الى ارواحها وحقائقها ولم يدركوا الموازنة بين
عالم الشهادة وعالم الملكوت فلما لم يدركوا ذلك وتناقضت عندهم
ظواهر الامثلة ضلوا واضلوا فلا هم ادركوا شيئا من عالم الارواح
بالذوق ادراك الخواص ولا هم آمنوا بالغيب ايمان العوام فاهلكهم
كياستهم والجهل ادنى الى الخلاص من فطانة بتراء وكياسة ناقصة
ولسنا نستبعد ذلك ولقد تعثرنا في اذيال هذه الضلالات
مدة بشؤم اقران السوء وصحبتهم حتى ابعدنا الله من هفواتها و
وقانا الله من ورطاتها فله الحمد والمنة والفضل على ما ارشد
وهدى وانعم واسدى وعصم من ورطات الردى فليس ذلك مما
يمكن ان ينال بالجهد والمنى وما يفتح الله للناس فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم فصل لعلك
تقول قد توجه قصدك في هذه التنبيهات الى تفضيل بعض الآيات

على بعض

على بعض والكل كلام الله عز وجل فكيف يفارق بعضها بعضا وكيف
يكون اشرف من بعض فاعلم ان نور البصيرة ان كان لا يرشدك الى
الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات وبين سورة الاخلاص و
سورة تبت وترتاع من اعتقاد الفرق نفسك الخوارة المستغرقة
بالتقليد فقلد صاحب الرسالة صلوات الله عليه فهو الذي انزل
عليه القرآن وقد دلت الاخبار على شرف بعض الآيات فقال في فاتحة
الكتاب افضل القرآن وقال آية الكرسي سيدة آي القرآن وقال
يس قلب القرآن وقال قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن والاخبار
الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل
وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى فاطلبه من كتب الحديث ان اردته
ان اردته ونبهناك الان على معنى هذه الاخبار لا تبحث في تفصيل
هذه السور فان كان ما مهدناه من ترتيب اقسام القرآن وشعبه
مراتبه يرشدك الله الى حقيقته وفكرت فانا حصرنا اقسام القرآن
وشعبه في عشرة انواع فهذه انموذج من عجائب صنع الله ولطفه
ورحمته بخلقه فان الادنى ينبه على الاعلى وهذه الغرائب لا يمكن ان
يستقصى امثالها لطول الذكر على ما انكشف للآدميين منها وانما يلتبس
بالاضافة الى عالم منكشف واستار هو ولكنه ربما تجد
تلويحات من هذا الجنس في كتاب الشكر وكتاب المحبة فاطلبه ثمت

من اهله ولا تغض بصرك عن آثاره رحمه الله تعالى ولا تنظر اليها ولا
تنشرح في ميدان معرفة الصنع ولا تتفرج فيه واشتغل باشعار المتنبي
وغرايب النحو لسيبويه وفروع ابن الحداد في نوادر الطلاق وحيل
المجادلة في الكلام فذلك اليق بك فان قيمتك على قدر همتك
ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم
وما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها الآية فصل في آية
الكرسي اقول هل لك تفكر في انه لم سمي سيد الآيات فان كنت
تعجز عن استنباطه بتفكرك فارجع الى الاقسام التي ذكرناها والمراتب
التي رتبناها وقد ذكرنا لك ان معرفة الله تعالى معرفة ذاته و
صفاته هي المقصد الاقصى من علوم القرآن وان ساير الاقسام
مرادة له وهو مراد لنفسه لا لغيره فهو المتبوع وما عداه التابع وهو
السيد والاسم للمتبوع المقدم الذي يتوجه اليه وجوه الاتباع و
قلوبهم فيحذون حذوه وينحون مقصده وآية الكرسي تشتمل ذكر
الذات والصفات والافعال فقط ليس فيها غيرها فقوله الله اشارة
الى الذات وقوله لا اله الا الله اشارة الى توحيد الذات وقوله
الحي القيوم اشارة الى صفة الذات وجلاله فان معنى القيوم هو
الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره فلا يتعلق قوامه بشيء ويتعلق
به قوام كل شيء وذلك غاية الجلال والعظمة وقوله لا تأخذه سنة

ولا نوم

ولا نوم تنزيه وتقديس له عما يستحيل عليه من الصفات الحوادث و
التقديس عما يستحيل احد اقسام المعرفة بل هو اوضح اقسامها وقوله
له ما في السموات وما في الارض اشارة الى الافعال كلها وان جميعها
منه مصدرها واليه مرجعها وقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
اشارة الى انفراده بالملك والامر والحكم وان من يملك الشفاعة فانما
يملك بتشريفه اياه والاذن فيه وهذا نفي للشركة عنه في الملك و
الامر وقوله يعلم ما بين ايديهم الآية اشارة الى صفة العلم وتفضيل
بعض المعلومات والانفراد بالعلم حتى لا علم وسع كرسيه السموات
والارض اشارة الى عظمة ملكه وكمال قدرته وفيه سر لا يحتمل الحال
كشفه فان معرفة الكرسي ومعرفة صفاته واتساعه السموات و
الارض معرفة شريفة غامضة ويرتبط بها علوم كثيرة وقوله
ولا يؤده حفظهما اشارة الى صفة القدرة وكمالها وتنزيهها عن
الضعف والنقصان وقوله وهو العلي العظيم اشارة الى اصلين عظيمين
في الصفات وشرح هذين الوصفين يطول وقد شرحنا منهما ما يحتمل
الشرح في كتاب المقصد الاقصى من معاني اسماء الله الحسنى فاطلبه
منه والآن اذا تاملت جملة هذه المعاني ثم تلوت جميع آيات القرآن
لم تجد جملة هذه المعاني من التوحيد والتقديس وشرح الصفات العلى
مجموعة في آية واحدة منها فلذلك كان سيد آي القرآن كما قال النبي

فان شهد الله ليس فيه الا التوحيد وقل هو الله احد ليس فيه الا التوحيد
والتقديس وقل اللهم مالك الملك ليس فيه الا الافعال وكمال القدرة
والفاتحة فيها رموز الى هذه الصفات من غير شرح وهي مشروحة
في آية الكرسي والذي يقرب منها في جميع المعاني آخر الحشر واول
الحديد اذ يشتمل على اسماء وصفات كثيرة ولكنها آيات لا آية واحدة
وهذه آية واحدة فاذا قابلتها باحاد تلك الآيات وجدتها اجمع
للمقاصد فلذلك يستحق السيادة على الآي اذ قال ع م هي سيدة آي القرآن
كيف وليس فيها الحي القيوم وهما اسم الله الاعظم وتحته سر وتشهد له ورود
الخبر بان الاسم الاعظم في آية الكرسي واول آل عمران **الأصل التاسع**
في اليوم الآخر اعلم انه تعالى يفرق بالموت بين الارواح والاجساد ثم
يعيدها اليها عند الحشر والنشور فيبعث من في القبور ويحصل ما
في الصدور ويرى كل مكلف ما عمله من خير او شر محضرا ويصادف
دقيق ذلك وجليله مسطورا في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا
احصاها ويعرف كل واحد مقدار عمله بمعيار صادق يعبر عنه
بالميزان وان كان لا يساوي ميزان الاعمال ميزان الاجسام الثقال كما لا
يساوي الاصطرلاب الذي هو ميزان المواقيت والمسطرة التي هي ميزان
المقادير والعروض الذي هو ميزان الشعر سائر الموازين ثم يحاسبهم
على اقوالهم وافعالهم وسرائرهم وضمائرهم ونياتهم وعقائدهم ما ابدوه

واخفوه

واخفوه وانهم متفاوتون فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح فيه و
الى من يدخل الجنة بغير حساب وانهم يساقون الى الصراط وهو جسر
ممدود بين منازل الاشقياء والسعداء احد من السيف وادق من
الشعر يخف عليه من استوى في الدنيا على الصراط المستقيم الذي
يوازيه في الخفاء والدقة ويتعثر به من عدل عن سواء السبيل الا من
عفى عنه بحكم الكريم وانهم عند ذلك يسئلون فيسئل من يشاء من
الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن يشاء من الكفار عن تكذيب المرسلين
ومن شاء من المبتدعة عن السنة ومن شاء من المسلمين عن افعالهم
ويسئل الصادقين عن صدقهم والمنافقين عن نفاقهم ثم يساق المتقين
الى الرحمن وفدا والمجرمون الى جهنم وردا ثم يحكم باخراج الموحدين من
النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان
ويخرج بعضهم قبل تمام العقوبة والانتقام بشفاعة الانبياء والعلماء
والشهداء ومن له رتبة الشفاعة ثم يستقر اهل السعادة في الجنة
منعمين ابد الآباد متنعمين بالنظر الى وجه الله تعالى ويستقر اهل
الشقاوة في النار مردودون تحت انواع العذاب عن النظر بالحجاب
الى وجه الله تعالى ذي الجلال والاكرام **الأصل العاشر** في النبوة
وانه تعالى خلق الملائكة فينطقون عن وحي يوحى لا عن الهوى وانه
تعالى بعث النبي الامي العربي محمدا ع م برسالته الى كافة العرب والعجم

والجن والانس فنسخ بشريعته الشرايع وجعله سيد البشر ومنع كمال
الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم يقترن بها
شهادة الرسول وهو قول محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه
في جميع ما اخبر عنه في الدنيا والآخرة والزمهم اتباعه والاقتداء
به فقال وما آتيكم الرسول فخذوه فلم يغادر شيئا يقربهم من الله تعالى
الا امرهم به ودلهم سبيله ولا شيئا يقربهم الى النار ويبعدهم عن
الله تعالى الا نهاهم عنه وعرفهم طريقه وان ذلك امور لا يرشد
اليها مجرد العقل والذكاء بل اسرار يكاشف بها من حظيرة القدس
قلوب الانبياء فالحمد لله على ما ارشد وهدى واظهر من اسمائه
الحسنى وصفاته العلى والصلوة على محمد المصطفى خاتم الانبياء وآله
صفوة الاولياء خاتمة في التنبيه على الكتب التي تطلب منها حقيقة
هذه العقيدة اعلم ان ما ذكرناه هو الحاصل من علوم القرآن اعني
ظاهر ما يتعلق منها بالله واليوم الآخر وهي ترجمة العقيدة التي
لا بد منها ان ينطوي قلب كل مسلم بمعنى انه يعتقده ويصدق
به تصديقا جازما ووراء هذه العقيدة رتبتان احدهما معرفة
ادلة هذه العقيدة الظاهرة من غير غوص على اسرارها والثانية
معرفة اسرارها ولباب معانيها وحقيقة ظواهرها والرتبتان جميعا
ليستا واجبتين على جميع العوام اعني ان نجاتهم في الآخرة غير موقوفة

عليهما

عليهما ولا فوزهم موقوف عليهما وانما الموقوف عليهما كمال السعادة
واعني بالنجاة الخلاص من العذاب واعني بالفوز الحصول على اصل
النعيم واعني بالسعادة نيل اعلى غايات النعيم فالسلطان اذا استولى
على بلدة ونجعها عنوة فالذي لم يقتله ولم يعذبه فهو ناج وان اخرجه
عن البلد والذي لم يعذبه ومع ذلك مكنه المقام في بلده مع
اهله واسباب معيشته فهو مع النجاة فائز والذي خلع عليه واشركه
في ملكه واستخلفه في مملكته وامارته فهو مع النجاة والفوز سعيد
ثم درجات زيادة السعادات لا تحصى واعلم ان الخلق في الآخرة ينقسمون
الى هذه الاقسام بل الى اصناف اكثر من هذه تحصى ما امكن شرحه
في كتاب التوبة فاطلبه منه والرتبة الاولى من الرتبتين وهو ادلة
معرفة هذه العقيدة فقد اودعناها الرسالة القدسية في قدر
عشرين ورقة وهي احد فصول كتاب قواعد العقائد من كتاب
الاحياء واما ادلتها من زيادة التحقيق وزيادة تانق مع ايراد الاسولة
والاشكالات فقد اودعناها كتاب الاقتصاد في الاعتقاد في مقدار
مائة ورقة وهذا مفرد براسه يحوي لباب علم المتكلمين ولكنه
ابلغ في التحقيق وابلغ الى قرع ابواب المعرفة من الكتب الرسمية الذي
تصادف من كلام المتكلمين فكل ذلك يرجع الى الاعتقاد لا الى المعرفة
فان المتكلم لا يفارق العامي مع كونه عارفا وكون العامي معتقدا بل

ينقسمون

ايضا معتقد عرف مع اعتقاده اوله الاعتقاد لتوكد الاعتقاد و
وتحرسه وتحميه تشويش المبتدعة لانحل عقدة الاعتقاد الى شرح
المعرفة فان اردت ان تستنشق شيئا من روايح المعرفة صادفت
منها مقدارا يسيرا مشوقا فى كتاب الصبر والشكر وكتاب المحبة وباب
التوحيد من اول كتاب التوكل وجملة ذلك من كتاب احياء العلوم
وتصادف منه قدرا صالحا يعرفك كيفية قرع باب المعرفة فى كتاب
المقصد الاقصى فى معانى اسماء الحسنى لا سيما فى الاسماء المشتقة من
الافعال لا سيما فى المعارف المشتقة من الافعال الى وان اردت
صريح المعرفة بحقيقة هذه الحقيقة من غير مجمجة ولا مراقبة فلا تصادفه
الا فى بعض كتبنا وهو المظنون به على غير اهله فاياك ان تغتر وتغتر
بالهينة وتشرئب لطلبه فتستهدف للسالفة بتصريح الرد الى ان
تجمع ثلاث خصال احدها الاستقلال فى العلوم الظاهرة ونيل رتبة
الامامة فيها والثانية انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية بعد محو الاخلاق
الذميمة كلها منه كما سياتى فى اصول الاخلاق الذميمة حتى لا يبقى
فيك تعطش الا الى الحق واهتمام الا به ونظر الا فيه واعتماد الا عليه
والثالثة ان يكون قد اتيح لك السعادة فى اصل الفطرة بقريحة وقادة وفطنة
بليغة لا تكل عن درك غوامض العلوم ومشكلاتها على سبيل البديهة
والمبادرة فان البليد اذا اتعب خاطره وكد نفسه ربما ادرك بعض

الغوامض ايضا ولكن يدرك منها شيئا يسيرا فى مدة طويلة فلا يصلح
لاقتباس المعرفة الحقيقية الا قلب صاف كانه مرآة مجلوة وانما يصير
كذلك بقوة الفطرة بتيسر وصحتها ثم بازالة كدورات الدنيا عن وجهه
فانه الرين والطبع الذى به يمنع الله القلوب عن معرفته وان يحول
بين المرء وقلبه فى الاعمال الظاهرة واعلم ان المقصود من طهارة
الثوب وهو القشر الخارج ثم طهارة البدن وهو القشر القريب طهارة
القلب وهو اللب الباطن وطهارة القلب عن نجاسة الاخلاق
اهم الطهارات كما سنذكره فى القسم الثالث لكن لا يبعد ان يكون
لطهارة الظاهر ايضا تاثير فى اشراق نورها على القلب فانك اذا
اسبغت الوضوء واستشعرت نظافة ظاهرك صادفت فى قلبك
انشراحا وصفاء كنت لا تصادفه قبله وذلك لسر العلاقة التى بين
عالم الشهادة وعالم الملكوت فان ظاهر البدن من عالم الشهادة و
القلب من عالم الملكوت باصل فطرته وانما هبوطه الى عالم الشهادة
كالغريب عن جبلته وكما ينحدر من معارف القلب آثار الى الجوارح
فكذلك يرتفع من احوال الجوارح انوار الى القلب لذلك امر بالصلوة
مع انها حركات للجوارح التى هى من عالم الشهادة ولذلك جعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا فقال حبب الى من دنياكم ثلث الحديث ولا
يستبعد ان تفيض من طهارة الظاهر اثر على الباطن ففى بدايع صنع

الله تعالى امور اعجب من هذا اذ قد عرفت بالتجربة ان الجامع في
حال مباشرة من النظر الى بياض او سواد او حمرة فانه حتى غلب
تلك الصورة على نفسها مال لون المولود الى ذلك اللون الذي غلب
عليه وان الجنين وقت ما يتحرك في البطن يميل صورته الى الحسن
ان كانت الام مشاهدة في تلك الحالة لصورة حسنة بحيث غلبت
تلك الصورة على نفسها ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم للمباشرة عنده
معاشرته ان يحضر في قلبه ارادة صلاح المولود ويدعو الله بذلك
فيقول اللهم جنبنا الشيطان ما رزقتنا حتى يفيض الله تبارك
الصلاح على الروح التي يخلقها عند القاء البذر في محل الحرث
بواسطة الصلاح الغالب على قلب الحارث كما يفيض الله النور
بواسطة المراة المحاذية للشمس على بعض الاجسام المحاذية للمراة
وهذا الان يفرع بابا عظيما من معرفة عجايب صنع الله تعالى
في الملك والملكوت والمقرب منه يرجع معنى الشفاعة في الاخرة
فلنجاوزه وعرضنا الان ذكر الاعمال دون المعارف وقد شممناك
شيئا يسيرا من روايح اسرار الطهارة الظاهرة فان كنت لا تصادف
بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئا من الصفاء الذي وصفناه
فاعلم ان الحدث الذي عرض على قلبك من كدورة شهوات الدنيا
وشواغلها اقتضى كلال حس القلب فصار لا يحس باللطايف

والاشياء الخفية اللطيفة ولم يبق في قوته الادراك الجليات ان بقي
فاشتغل بجلاء قلبك وتصفيته فذلك اوجب عليك من كل ما انت فيه

في باب الورع الرابع

ورع الصديقين وهو الحذر من كل ما لا يراد به التناول له التقوى على طاعة
الله تعالى وكان قد تطرق الى بعض اسبابها معصية فمن ذلك ما حكي
ان ذا النون المصري كان محبوسا جايعا فبعثت اليه امراة صالحة من
طيب مالها طعاما على يد السجان فلم ياكل منه واعتذر بانه جاءني
على طبق ظالم اي يد السجان ومن ذلك ان بشر الحافي لا يشرب الماء
من الانهار التي حفرها السلاطين والطغاة بعضهم سراجا اشتعله
من بيت ظالم وشرب بعضهم الدواء فاشارت اليه امراته بالمشي
والتردد فقال هذه مشية لا اعرف لها وجها وانا المحاسب نفسي على
جميع حركاتي وهذه رتبة قوم وفق لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في
خوضهم يلعبون فاذا اكل ما لم يكن يستحلها وليس هذا من شانك
غش ناصحك فادرج واجتهد ان تحيي بورع العدول التي تفتي به
الفقهاء نعم ينبغي ان يضيف اليه شيئين احدهما ان يحذر عن
مواقع غرورهم ولا تلتفت الى قولهم من ذهب في اخر السنة ماله من
زوجته واستوهبت منها مالها سقطت الزكوة عنهما فانهم ان
عنوا به ان السلطان لا يطالبهما بالزكوة لان مطمح نظره ظاهر الملك

فهو صدق ودرجة الفقهاء وفتويهم ذكر ما يتعلق بالظواهر
فيحكمون بالبراءة عن الزكوة اذا سقط طلب الساعي ويحكمون بصحة
الصلوة اذا امتنع القتل على السلطان بجريان صورة الصلوة اذ
ليس بايديهم الا القانون الذي يستعمله السلطان في السياسة
لينتظم امر المعيشة الدنيوية التي هي منزل من منازل الطريق كما
سبق واما اذا كنت تنظر الى ما ينفعك غدا عند جبار الجبابرة و
سلطان السلاطين فلا تلتفت الى هذا واعلم ان مقصود الزكوة
ازالة رذيلة البخل فانه مهلك كما قال رسول الله صلعم ثلث مهلكات
شح مطاع الحديث وهبة مال الزكوة لاجل دفع الزكوة يجعل الشح
مطاعا فانه يصير مطاعا باجابته الى ما يقتضيه وقبل هذا لم يكن
مطاعا فكيف يكون منجيا وكذلك من يعسرها بما شرته زوجته
حتى نزل عن المهر فلا يحل له المهر بينه وبين الله تعالى وان كان الفقيه
يفتي بسقوط المهر وصحة الابراء لان الله تعالى قال فان طبن لكم عن
شيء منه نفسا وليس منها طيبة النفس بل طيبة القلب الفقيه
لا يميز بين الامرين لان شغله بقطع الخصومات الظاهرة والمجاهد
وشرب الدواء البشع لا يطيب به النفس بل يطيب به القلب كذلك
كل ما يأباه الطبع ويرى العقل المصلحة في العافية وهذا باب طويل
واصله ان لا يستحل مال غيره الا برضاء مطلق صاف وينبغي ان لا

من السؤال

من السؤال فان سالت فاحذر ان تسئل على الاذن بما يعطي بالحياء
وذلك ليس مقرونا بالرضا فان المستحيي يؤثر الم ازالة الملك على
الم الحياء ولا فرق بين ان تاخذ ماله لضرب ظاهره بالسوط وبين
تاخذ بضرب باطنه بسوط الحياء فالكل مصادرة واحذر ايضا
ان يعطيك بالدين وذلك بان يعطيك لظنه انك ورع تقي
فتاكل بالدين ويكون من شرط حله ان لا يكون في باطنك ما
لو اطلع عليه المعطي لامتنع من العطاء ولا فرق بين من ياخذ بالك
بالتصوف والتقوى وهو ليس متصفا به باطنا وبين من يزعم
انه علوي ليعطي وهو كاذب فكل ذلك حرام عند ذوي الابصار
وان افتى الفقيه بالحل بناء على الظاهر **الفن الثاني** ان يراجع قلبك
وان افتوك فان الاثم حواز القلوب والذي يضرك ما حاك في
قلبك ولذلك قال صلعم استفت قلبك وان افتوك وافتوك
وهذا السر يطول ذكره ولكن اعلم على الجملة ان المحذور من الحرام ظلمة
القلب والمطلوب من الحلال تنويره وذلك ينشعب من اعتقادك
لا من نفس المعتقد فمن وطئ امراته على ظن انها اجنبية فاذا هو عصى
حصل اظلام القلب وان وطئ اجنبية على ظن انها زوجته لم يحصل
وكذلك في النجاسات والطهارات المؤثرة في تنوير القلب وهي
باعتقادك وما امرت بان تصلي وثوبك طاهر بل ان تصلي انت و

ويعتقد انه طاهر فاستشعار الطهارة يؤثر في اشراق القلب وان
لم يكن على وفق الحال ولذلك نقول ان من صلى ثم تذكر انه كان
معه نجاسة فليس عليه الاعادة على الاصح لانه ؏ خلع نعليه في اثناء
صلوته لما اخبره جبرئيل ؏ بان عليه قذرا واستمر فيها ولذلك
يتشدد الامر على الموسوس فانه ما لم يطمئن قلبه باعتقاد الطهارة
فيجب عليه الاستقصاء والمعاودة اولئك قوم شددوا على انفسهم
فشدد الله عليهم وهلكوا باستقصائهم كما قال ؏ هلك المتنطعون
فكذلك في الحلال انت متعبد بما يطمئن اليه قلبك لا بما يفتى
به المفتي فاستفت قلبك **فصل** ينبغي ان لا تظن ان معنى
الرضا بالقضاء ترك الدعاء بل ترك السهم الذي ارسل اليك حتى
يصيبك مع قدرتك على دفعه بالترس بل تعبدك الله تعالى بالدعاء
ليستخرج من قلبك صفاء الذكر وخشوع القلب ورقته ليستعد به
لقبول الالطاف والانوار ومن جملة الرضا بقضائه ان يتوصل الى
محبوباته بمباشرة ما جعله سببا له بل ترك الاسباب مخالفة للمحبوب
ومناقضة لرضائه فليس من الرضا للعطشان ان لا يمد اليد الى الماء
زاعما انه رضي بالعطش الذي هو من قضاء الله تعالى بل من قضاء
الله تعالى ومحبته ان يزال العطش بالماء فليس من الرضا بالقضاء
ما يوجب الخروج عن حدود الشرع ورعاية سنة الله تعالى اصلا

بل رضاه

بل رضاه ترك الاعتراض على الله تعالى من عباده وذلك بحفظ الاوامر
وترك النواهي والله الهادي **الاصل السابع** من تزكية القلب
ازالة حب الدنيا واعلم ان حب الدنيا رأس كل خطيئة وليس الدنيا
عبارة عن الجاه والمال فقط بل هما حظان من حظوظ الدنيا وشعبتان
من شعبها وشعب الدنيا كثيرة انما دنياك عبارة عن حالتك قبل
الموت واخرتك عبارة عن حالتك بعد الموت فكل مالك فيها لذة
وحظ قبل الموت فهو من دنياك الا العلم والمعرفة والحرية وما يبقى
منك بعد الموت فانها ايضا لذيذة عند اهل البصائر ولكنها
ليست من الدنيا وان كانت في الدنيا وهذه الحظوظ الدنيوية
تعلق بك وتعلق بالنفس الحظ وتعلق باعمالك المتعلقة باصلاحها
فهي ترجع الى اعيان موجودة والى حظك منها والى شغلك في اصلاحها
اما الاعيان فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ومطلوب الادمي من
الارض اما منها فالمسكن والحرث واما نباتها فالاقوات والادوية
واما معادنها فالنقود والاواني والالات واما حيواناتها فالمراكب
والمآكل واما الادميون منها فالمنكح والاستعباد وقد جمع الله تعالى
ذلك في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الاية واما حظك
منها فقد عبر القران العظيم عنه بالهوى فقال ونهى النفس عن الهوى

فقال تعالى مثلا مفصلا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة و
تفاخر الاية وذلك ينديح فيه جميع المهلكات الباطنة من الكبر
والغل والحسد والريا والنفاق والتفاخر والتكاثر وحب الدنيا
وحب الثنا وهو الدنيا الباطنة واما الاعيان فهى الدنيا الظاهرة
واما شغلك فى صلاحها فهو جملة الحرف والصناعات التى الخلق
مشغولون بها وقد نسوا فيها انفسهم ومبدأهم ومعادهم لاستغراقهم
باشغالهم وانما نشاءهم العلاقتان علاقة القلب بحب حظوظها
وعلاقة البدن بشغل اصلاحها فهى حقيقة الدنيا التى
التزود
جهاراس كل خطيئة وانما خلقت الدنيا وضعها الى الاخرة ولكن
كثرة اشغالها وفنون شهواتها انسى الخلق سفرهم ومقصدهم
فقصروا عليها همتهم وكانوا كالحاج فى البادية يشتغل بتعهد
الناقة وعلفها وتسمينها عن الرفقة حتى يفوته الحج ويهلكه سباع
البادية **فصل** هذه الدنيا المذمومة المهلكة هى بعينها مزرعة
الاخرة فى حق من عرفها اذ يعرف انها منزل من منازل السايرين الى
الله تعالى وهى كرباط بنا على الطريق اعد فيها العلف والزاد و
اسباب السفر لمن تزود منها لاخرته واقتصر منها على قدر الضرورة
التى ذكرناها فى المطعم والملبس والمنكح وساير الضروريات فقد
حرث وبذر وسيحصد فى الاخرة ما زرع ومن عرج عليها واشتغل
لذاتها

بلذاتها هلك ومثال ذلك الخلق فيها كمثل قوم ركبوا فى سفينة فا
فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وخوفهم المقام
واستعجال السفينة فتفرقوا فيها فبادر بعضهم وقضى حاجته و
رجع الى السفينة فوجد مكانا خاليا واسعا ووقف بعضهم ينظر فى
ازهار الجزيرة وانوارها وطرايف احجارها وعجايب غياضها ونغمات
طيورها فرجع الى السفينة فلم يجد الا مكانا ضيقا وزادته الاحجار
ثقلا وضيقا فلم يقدر على رميها ولم يجد لها مكانا فحملها على عنقه
وهو يتوجع تحت اعبائه ويوبخ بعضهم الغياض ونسى المركب واشتغل
بالتفرج فى تلك الازهار والتناول من تلك الثمار وهو فى تفرجه
غير غافل من خوف السباع والحذر من السقطات والنكبات فلما
رجع الى السفينة لم يصادفها فبقى على الساحل فافترسته السباع و
مزقته الهوام فهذه صورة اصل الدنيا بالاضافة الى الدنيا والاخرة
فتاملها واستخرج وجه الموازنة بينها لتكمل والعبرة **فصل**
من عرف نفسه وعرف ربه وعرف الدنيا وعرف الاخرة شاهد بنور
البصيرة وجه عداوة الدنيا للاخرة اذ ينكشف له قطعا ان لا سعادة
فى الاخرة الا لمن قدم على الله عارفا به محبا له وان المحبة لا تنال الا بدوام
الذكر وان المعرفة لا تنال الا بدوام الطلب والفكر ولا يتفرغ لهما الا
من اعرض عن اشغال الدنيا لا يستولى المعرفة ولا الحب على القلب

ما لم يفرغ من حب غير الله تعالى ففراغ القلب عن غير الله ضرورة لا
اشتغاله بحب الله تعالى ومعرفته ولن يتصور ذلك الا لمعرض عن
الدنيا قانع منها بقدر الزاد والضرورة فان كنت من اهل البصيرة
فقد صرت من اهل الذوق والمشاهدة وان لم يكن كذلك فكن
من اهل التقليد والايمان والنظر الى تحذير الله تعالى بالكتاب
والسنة فقد قال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف
اليهم اعمالهم فيها الاية وقال الله تعالى واما من طغى وآثر الحيوة الدنيا
فان الجحيم هي المأوى وقال تعالى ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا
على الاخرة ولعل ثلث القرآن في ذم الدنيا وذم اهلها وقال النبي ع
الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال النبي ص يا
عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال
النبي م الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون
وقال النبي ان الله عز وجل لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا
وانه لم ينظر اليها منذ خلقها بغضا وقال م من اصبح والدنيا اكبر
همه فليس من الله في شيء والزم قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه
وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا وأملا لا يبلغ
منتهاه ابدا وقال ابو هريرة وقال رسول الله م يا ابا هريرة الا اريك
الدنيا جميعا قلت نعم فاخذ بيدي الى مزبلة فيها رؤس ناس وعذرات

الغرور س

وخرق

وخرق وعظام وقال يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم و
تأمل آمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات
الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم
فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم و
لباسهم فاصبحت والرياح يصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي
كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك
وقال م ليجيئن اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار
قالوا يا رسول الله اكانوا مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون
ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه
وقال عيسى م حب الدنيا والاخرة لا يستقيم في قلب مؤمن كما لا يستقيم
الماء والنار في اناء واحد وقال نبينا م احذروا الدنيا فانها اسحر
من هاروت وماروت وقال عيسى ع يا معشر الحواريين ارضوا بدني
الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة
الدنيا وقال ايضا للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح
والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والاخرة وروي ان عيسى م كوشف
بالدنيا فرآها في صورة عجوزة شوهاء عليها من كل زينة فقال لها
كم تزوجت فقالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او طلقوك قالت بل
قتلت كلهم فقال عيسى ع تعسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازوا

الماضين

فصلٌ في مجامع الاخلاق ومواقع الغرور

اعلم ان الاخلاق الذميمة كثيرة ولكن يرجع اصولها الى ما ذكرناه ولا
يكفيك تزكية النفس عن بعضها حتى تزكى عن جميعها ولو تركت بعضا
غالبا عليك فذاك يدعوك الى البقية لان بعضها مرتبط بالبعض
ويتقاضى بعض الاخلاق الذميمة بعضا ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم
والسلامة المطلقة لا تنال بدفع بعض الامر بل انما تنال بالصحة المطلقة
كما ان الحسن لا يحصل بحسن بعض الاعضاء ما لم يحسن جميع الاطراف و
النجاة في حسن الخلق وقد قال النبي ع اثقل ما يوضع في الميزان خلق
حسن وقال ع بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقيل ما الدين فقال
حسن الخلق وقال ع حسن الخلق خلق الله وقال ع افضل المؤمنين ايمانا
احسنهم خلقا وقد كثرت الاقاويل في تحقيقه وبيان حده والاكثرون
تعرضوا لبعض ثمراته ولم يحيطوا بجميع تفاصيله والذي يطلعك
على حقيقته ان تعلم ان الخلق والخلق عبارتان فيراد بالخلق الصورة
الظاهرة وبالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من
جسد يدرك بالبصر ومن روح ونفس تدرك بالبصيرة لا بالبصر
ولكل واحد منهما هيأة اما قبيحة واما حسنة والنفس المدركة با
لبصيرة اعظم قدرا ولذلك اضافه الله تعالى الى نفسه واضاف البدن
الى الطين فقال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه

محاسن

من روحي وصف الروح بانه من امر ربي فقال قل الروح من امر ربي
واعني بالروح والنفس ههنا شيئا واحدا وهو الجوهر العارف المدرك
من الانسان بالهام الله سبحانه كما قال تعالى ونفس وما سويها
فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها
وكما ان للحسن الظاهر اركانا كالعين والانف والفم والخد ولا يوصف
الظاهر بالحسن ما لم يحسن جميعها فكذلك للصورة الباطنة لها
اركان لا بد من حسن جميعها حتى يحسن الخلق وهي اربعة معان
قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه
القوى الثلث فاذا استوت هذه الاركان الاربعة واعتدلت
وتناسبت حصل حسن الخلق اما قوة العلم فاعتدالها وحسنها
ان تصير بحيث يدرك بها الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال
وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الاعمال
فاذا انصلحت هذه القوة كذلك حصل منها ثمرة الحكمة وهي رأس
الفضايل قال الله ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما
قوة الغضب فاعتدالها ان تنقبض انقباضها وانبساطها على
موجب اشارة الحكمة والشرع وكذلك قوة الشهوة واما قوة العدل
فهي في ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة الدين والعقل فا
العقل منزلته منزلة الناصح وقوة العدل هي القدرة ومنزلتها

الحسن الباطن

منزلة المفقد المفضي لا شادة العقل والغضب والشهوة اللذان به
بعض اعضاء الوجه فلا يطلق اسم الحسن به واذا حسن الجميع و
اعتدل انشعب منه جميع الاخلاق فاما قوة الغضب فيعبر
عن اعتدالها بالشجاعة والله تعالى يحب الشجاع فان مالت الى طرف
الزيادة سمي تهورا وان مالت الى النقصان سمي جبنا وينشعب من
اعتدالها خلق الكرم والنجدة والشهامة والحلم والثبات وكظم
الغيظ والوقار والتودد واما افراطها فيحصل خلق التهور
الصلف والبذخ والاستشاطة والكبر والعجب واما تفريطها
فيحصل منه الجبن والمهانة والذلة والخساسة وعدم الغيرة و
ضعف الحمية على الاهل وصغر النفس واما الشهوة فيعبر عن اعتدالها
بالعفة وعن افراطها بالشره وعن ضعفها بالجمود فيصدر من
العفة السخا والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع والمساعدة
والظرف وقلة الطمع ويصدر عن افراطها الحرص والشره والوقاحة
والتبذير والتقتير والرياء والهتك والمجانة والملق والحسد والشماتة
والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك واما قوة العقل
فيصدر من اعتدالها حسن التدبير وجودة الذهن و
ثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات
النفوس اما افراطها فيحصل منه الجربزة والدهاء والمكر والخداع

ويحصل من تفريطها وضعفها البله والحمق والغمارة والبلادة و
الانخداع فهذه هي روابط الاخلاق وانما معنى حسن الخلق في الجميع
وسط بين الافراط والتفريط فخير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد
الامور ذميم ولذلك قال الله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى اشداء على الكفار
رحماء بينهم ومهما مال واحد من هذه الجملة الى الافراط والتفريط
فبعد لم يكمل حسن الخلق **فصل** حقيقة التوبة الرجوع عن طريق
البعد الى طريق القريب ولكن لها ركن ومبدا وكمال اما مبداها
فهو الايمان ومعناه سطوع نور المعرفة على القلب حتى يتضح فيه
ان الذنوب سموم مهلكة فتشتعل منه نار الخوف والندم وتنبعث
من هذه النار بصدق الرغبة في التلافي والتدارك اما في الحال فبترك
الذنوب واما في الاستقبال فبالعزم على الترك واما في الماضي فبا
التلافي على حسب الامكان وبذلك يحصل الكمال **فصل** اذا
عرفت حقيقة التوبة انكشف لك انها واجبة على كل واحد في كل
حال ولذلك قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا فخاطب الجميع مطلقا
اما وجوبها فلان معناها معرفة كون الذنوب مهلكة والانبعاث
لتركها وهو جزء من الايمان اعني هذه المعرفة فكيف لا يجب اما وجوبها

احمال ٧

على كل مكلف فهو ان الانسان مركب من صفات بهيمية وسبعية
وشيطانية وربوبية حتى يصدر من البهيمية الشهوة والشره والفجور
ومن السبعية الحسد والغضب والعداوة والبغضاء ومن الشيطانية
المكر والحيلة والخداع ومن الربوبية الكبر والعز وحب المدح والاستيلاء
واصول هذه الاخلاق هذه الاربعة وقد عجنت في طينة الانسان
عجنا محكما لا يكاد يتخلص منها وانما ينجو من ظلماتها بنور الايمان المستفاد
من العقل والشرع واول ما يخلق في الادمي البهيمية فتغلب عليه الشهوة
والشره في الصبي ثم تخلق فيه السبعية الى ان يشتمل كياسته وحيله
قضاء الشهوة وتنفيذ الغضب ثم تظهر فيه بعد ذلك صفات الربوبية
وهو الكبر والاستيلاء وطلب العلو ثم بعد ذلك يخلق العقل الذي
به يظهر نور الايمان وهو من حزب الله تعالى وجنود الملائكة وتلك
الصفات من جنود الشيطان وجند العقل يكمل عند الاربعين وبدؤه
واصله عند البلوغ واما ساير جنود الشيطان يكون قد سبق الى
القلب قبل البلوغ واستولى عليه والفته النفس واسترسل في الشهوة
متابعا لها الى ان يرد نور العقل فيقوم القتال والتطارد بينهما في معركة
القلب فان ضعف حزب العقل بنور الايمان لم يقو على ازعاج جنود الشيطان
فيبقى جنود الشيطان مستقرة اخرا كما سبق اليه النزول اولا ويسلم للشيطان
مملكة القلب هذا القتال ضروري في فطرة الادمي اذ لا ينبع خلقه الولد

[في الهامش:] الشهوة بالعادات والمالوفات ... بدعوة الشهوة والسبعية

لا ينبع

لا ينبع له خلقة الاب وانما حكي لك حال آدم صلوات الله عليه لتتنبه
ان ذلك كان مكتوبا عليه وهو مكتوب على جميع اولاده في القضاء
الازلي الذي لا يقبل التغيير فاذا لا يستغني احد عن التوبة **في ذكر الموت**
اعلم ان المقامات التسعة التي ذكرناها ليست على رتبة واحدة
بل بعضها مقصودة لذاتها كالمحبة والرضا فانهما اعلى المقامات و
بعضها مطلوبة لغيرها كالتوبة والزهد والخوف والصبر اذ التوبة
رجوع عن طريق البعد للاقبال على طريق القرب والزهد ترك الشغل
عن القرب والخوف سوط يسوق الى ترك الشواغل والصبر جهاد
مع الشهوات القاطعة بطريق القرب وذلك المعرفة والمحبة فانهما
مطلوبة لذاتها لا لغيرها ولكن لا يتم ذلك الا بقطع حب غير الله
تعالى عن القلب فاحتيج الى التوبة والزهد والخوف والصبر لذلك
ومن الامور العظيمة النفع فيه ذكر الموت فلذلك ورد ثناؤه ولذلك
عظم الشرع ثواب ذكره اذ به يتبغض الدنيا وينقطع ملاءمة القلب
عنها قال تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه الآية وقال النبي عم
اكثروا من ذكر هادم اللذات وقال عم من كره لقاء الله كره لقاءه
وقيل له يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء احد قال عم نعم من يذكر
الموت في اليوم والليلة عشرين مرة ومر رسول الله عم بمجلس قد استعلاه
الضحك فقال شوبوا مجلسكم بتذكر مكدر اللذات قيل وما هو قال

الموت وقال ع لو يعلم البهايم من الموت ما يعلم ابن آدم لما اكلتم منها
سمينا وقال ع كفى بالموت واعظا وقال ع تركت فيكم واعظين صامتا
وناطقا فالصامت الموت والناطق القرآن وذكر رجل عند رسول
الله ع واحسن الثناء عليه فقال وكيف كان ذكر صاحبكم للموت
قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال ان صاحبكم ليس هنالك
وقال رجل من الانصار يا رسول الله من اكيس الناس واكرم
الناس فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا اولئك
هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة فصل اعلم ان
العارف المستهتر بذكر الله تعالى مستغن عن ذكر الموت بل حالة
الفناء في التوحيد لا التفات له الى ماض ومستقبل ولا الى الحال
من حيث انه حال بل هو ابن وقته بمعنى انه كالمتحد بذكره لست
اقول متحد فلا تنقل فتغالط او تسي الظن وكذلك تفارقه
الخوف والرجا لانهما سوطان يسوقان العبد الى هذه الحالة التي
هو ملابسها بالذوق فكيف يذكر الموت وانما يراد ذكر الموت
لينقطع علاقة قلبه عما يفارقه بالموت والعارف قد مات مرة
في حق الدنيا وفي حق كل ما يفارقه بالموت فانه يتوقع انه ترفع و
تره من التفات الى الآخرة ايضا فضلا عن الدنيا بل قد تفرغ عليه
ما سوى الله تعالى ولم يبق له من الموت الا كشف الغطاء ليزداد به

وضوحا

وضوحا الذي ازداد به يقينا وهو معنى قول علي ع لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا فان الناظر الى غيره من وراء ستر رقيق لا يزداد برفع الستر
يقينا بل وضوحا فقط فان ذكر الموت يحتاج اليه من تغلبه الالتفات
الى الدنيا ليعلم انه سيفارقها فلا يعكف همته عليها ولذلك
قال ع ان الروح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك
مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك
مجزي به فصل لعلك تشتهي ان تعرف حقيقة الموت ومحنته
ولن تعرف ذلك ما لم تعرف حقيقة الحيوة ولن تعرف حقيقة الحيوة
ما لم تعرف حقيقة الروح وهي نفسك وحقيقتك وهي اخفى
الاشياء عليك ولا تطمع في ان تعرف ربك قبل ان تعرف نفسك
واعني نفسك روحك التي هي خاصة الانسان المضافة الى الله
تعالى في قوله قل الروح من امر ربي ونفخت فيه من روحي دون
الروح الجسماني الذي هو مطية تصرفات النفس ولا يحمل
هذه الروح المعرفة والامانة بل الحاملة للامانة الروح الخاصة
بالانسان ونعني بالامانة تقلد عهدة التكليف فانه محل المعرفة
ولا التراب ما كل محل الايمان والمعرفة اصلا لنطقت به الاخبار و
وشهدت له شواهد الاستبصار ولم ياذن الشرع في ذكر حقيقته
اذ لا يحتمله الا الراسخون في العلم وكيف يذكر له من عجايب الا ومات

نفس نفسه

مالم يحتمله اكثر عقول الخلق في حق الله تعالى فلا تطمع في ذكر حقيقته
او نظر تلويحات يسيرة من ذكر صفته **فصل** هذا الروح لا يفنى
البتة ولا يموت بل لا يتبدل بالموت حالها فقط ويتبدل منزلها
فيترقى من منزل الى منزل والقبر في حقها اما روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النيران اذا لم يكن لها مع البدن علاقة سوى
استعمالها للبدن واقتناصها اوايل المعرفة به بواسطة شبكة
الحواس فالبدن آلتها ومركبها وشبكتها وبطلان الآلة والمركب
والشبكة لا يوجب بطلان الصايد نعم ان تطلب الشبكة بعد
الفراغ من الصيد فبطلانه غنيمة اذ يتخلص من ثقله وحمله ولذلك
قال النبي ع الموت تحفة المؤمن وان تطلب الشبكة قبل الصيد
عظم فيه الحسرة والندامة والالم فلذلك يقول المقصر رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا (فيما تركت) بل ان كان الف الشبكة واحبها وتعلق قلبه بحسن
صورتها وصنعتها وما يتعلق بها كان له من العذاب ضعفين
احدهما حسرة فوت الصيد الذي لا يقتنص الا بشبكة البدن
الثاني زوال الشبكة مع تعلق القلب بها والفه لها وهذا مبدأ
من مبادي معرفة عذاب القبر ان استقصينه بحقيقته قطعا
فصل لعلك تشتهي الاستقصاء المفضي الى التحقيق فاعلم ان
هذا الكتاب لا يحتمله فاقنع منه بانموذج يسير وافهم ان معنى الموت

زمانة مطلقة في جميع الاعضاء ببطلان قواها فليسلب الموت منك
يدك ورجلك وعينك وساير حواسك وانت باق اعني حقيقتك
التي بها انت انت فانك الآن الانسان الذي كنت في الصبي و
لعله لم يبق فيك من تلك الاجسام شيء بل انحل كلها وحصل
بالغذاء بدلها وانت انت وجسدك غير ذلك الجسد فان كان
لك معشوق يتفرق فيه الى حواسك عظم عذابك لفراقك معشوقك
وجميع ملاذ الدنيا معشوق ولا ينال الا بالحواس ولا فرق في عذاب
العاشق بين ان يحجب عنه معشوقه وبين ان يفقأ عينيه حتى لا
يراه فان المقصود عدم الرؤية ومن احب اهله وماله وعقاره و
فرسه وجاريته ودنيا برمتها لم يفترقهما سواء سلبت هذه الاشياء
عنه او سلب هو عنها بان حمل الى موضع آخر وحيل بينه وبينها
فالموت يسلبك عن هذه الاشياء ويحول بينك وبينها فيكون
عذابك بقدر عشقك لها والموت تخلي بينك وبين الله و
يقطع عنك هذه الحواس الشاغلة المشوشة فيكون لذاتك
في القدوم على الله تعالى بقدر حبك وانسك بذكره ولاجل
هذا نبهك فقال انا بدك اللازم فالزم بدك واجمع العبارات
عن نعيم الجنة ان لهم فيها ما يشتهون واجمع العبارات لعذاب
الآخرة وحيل بينهم وبين ما يشتهون فلا تلذ الا التشوق ولكن

عند مصادفة المشتهى ولا تتولم الا بالشهوة ولكن عند مفارقة
المشتهى **فصل** لعلك تقول المشهور عند اهل العلم ان الانسان
يعدم بالموت ثم يعاد وان عذاب القبر يكون بنيران وعقارب
وحيات وما ذكرته يخالف ذلك فاعلم ان من قال ان الموت
معناه العدم فهو محجوب عن حضيض التقليد ويفاع الاستبصار
جميعا واما قولك المشهور من عذاب القبر التالم بالنيران و
العقارب والحيات فهذا صحيح وهو كذلك ولكني اراك عاجزا
عن فهمه ودرك سره وحقيقته الا ان انبهك على انموذج منه
تشويقا لك الى معرفة الحقايق والتشمر للاستعداد لامر الآخرة
فانه نبأ عظيم وانتم عنه معرضون فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن
في قبره في روضة خضراء ويرحب له قبره سبعين ذراعا ويضيء
حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما ذا انزلت فان
له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره
تسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسع
وتسعون حية لكل حية تسعة رؤس ينهسونه ويلحسونه و
ينفخون في جسمه الى يوم يبعثون فانظر الى هذا الحديث واعلم
ان هذا حق على هذا الوجه شاهده ارباب البصاير ببصيرة اصح
من البصر الظاهري والجاهل ينكر اذ يقول اني انظر قبره فلا ارى

ذلك اصلا فليعلم الجاهل ان هذا التنين ليس خارجا عن ذات الميت
اعني ذات روحه لا ذات جسده فان الروح هي التي تتالم وتتنعم بل
كان معه قبل موته متمكنا من باطنه لكنه لم يكن يحس بلذعه
لخدر كان فيه لغلبة الشهوات فاحس بلذعه بعد زوال ذلك الخدر
الذميمة وشهواته واصل هذا التنين حب الدنيا ويتشعب عنه
رؤس بعدد ما يتشعب عن حب الدنيا من   والريا والكبر
والحسد والمكر والخداع وحب الجاه والمال والعداوة والبغضاء
واصل ذلك معلوم بالبصيرة وكذا كثرة رؤسه اللذاغة اما
انحصار عدده في تسعة وتسعين انما توقف عليه بنور النبوة
فقط فهذا التنين متمكن من صميم فؤاد الكافر لا بمجرد جهله متمكن
من صميم فؤاد الكافر لا بمجرد جهله بالله وكفره بل لما يدعو الكفر
كما قال الله تعالى ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة و
قال تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا الاية وهذا التنين
لو كان كالظنه خارجا من ذات الميت لكان اهون اذ ربما تصور
ان ينحرف عنه التنين او ينحرف هو عنه لا بل هو متمكن من صميم
فؤاده يلذعه لذعا اعظم مما يفهمه من لذع التنين وهو بعينه
صفاته التي كانت معه في حيوته كما ان التنين الذي يلذع قلب
العاشق اذا باع جاريته هو بعينه العشق الذي كان مستكنا في قلبه

اذ يحترق هو عينه اذ هو عين [illegible] من صميم فؤاده بلذعه لذعا اعظم [illegible] فهو لذيغ التنين

استكنان النار في الحجر وهو غافل عنه فقد انقلب ما كان سبب
لذته سبب المه وهذا سر قوله تعالى انما هي اعمالكم ترد عليكم و
قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من سوء محضرا الآية بل
سر قوله تعالى كلا لو تعلمون الى قوله لترون الجحيم اى ان الجحيم
في باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين لتروها قبل ان تدركوها
بعين اليقين بل هو سر قوله تعالى يستعجلونك بالعذاب و
ان جهنم لمحيطة بالكافرين ولم يقل انها ستحيط بل قال هي محيطة
بالكافرين وقوله تعالى انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم
سرادقها ولم يقل يحيط بهم وهو معنى قول من قال ان الجنة
والنار مخلوقتان وقد انطق الله لسانه بالحق ولعله لا يطلع
على سر ما يقوله فان لم يفهم معاني القرآن كذلك فليس له
نصيب من القرآن الا في قشوره كما ليس للبهيمة نصيب من البر
الا في قشره الذى هو التبن والقرآن غذاء الخلق كلهم على اختلاف
اصنافهم ولكن اغتذاءهم به على قدر درجاتهم وفي كل غذاء مخ
وحرص الحمار على التبن اشد منه على الخبز المتخذ من اللب وانت
شديد ان تغادر درجة البهائم ولا ترقى الى درجة الانسانية
بل الملكية فدونك والانسراح في رياض القرآن ففيه متاع لكم و
لانعامكم **فصل** فان قلت فهل تمثل هذا التنين له تمثلا
مشاهدة

مشاهدة يضاهي ادراك البصر ام هو تألم محض في ذاته كتألم العاشق
اذا حيل بينه وبين معشوقه فاقول لا بل يتمثل له حتى يشاهده
لكن تمثلا روحانيا لا على وجه يدركه من هو بعد في عالم
الشهادة اذا نظر في قبره فان ذلك من عالم الملكوت نعم العاشق
ايضا قد ينام فيتمثل له حاله في المنام فربما ترى حية تلدغ
صميم فؤاده لانه بعد بالنوم عن عالم الشهادة قليلا فيتمثل
له حقائق الاشياء تمثلا محاكيا للحقيقة منكشفا له من عالم
الملكوت والنوم ابلغ في الكشف من النوم لانه اقمع لنوازع الحس
والخيال وابلغ في تجريد جواهر الروح عن غشاوة هذا العالم فلذا
يكون ذلك التمثل تاما محققا دائما لا ينعدل فانه نوم لا تنبه
واعلم ان المتيقظ يغلب النائم ان كان لا يشاهد الحية التي تلدغ
النائم فذلك لا ينفي مانع من وجود الحية في حقه وحصول الالم به
فكذلك حال الميت في قبره **فصل** لعلك تقول قد اتيت
قولا مخالفا للجمهور ومنكرا عند الجمهور اذ زعمت ان انواع هذا
الامر تدرك بنور البصيرة والمشاهدة ادراكا مجاوزا حد تقليد
الشرع فهل يمكنك ان كان كذلك حصر اصناف العذاب و
تفاصيله فاعلم ان مخالفتي للجمهور لا انكره وكيف ينكر مخالفة
السالك للجمهور ويستحق ان البلد الذى هو مسقط رأسهم

للمشهور



وعلى اولادهم وهو المنزل الاول من منازل وجودهم وانما يفنى
منهم الآحاد واعلم ان البدن منزل والقالب واما منازل الروح
الانسانى فهو عوالم الادراكات فالمحسوسات منزلة الاولى والمخيلة
منزلة الثانى والموهومات منزلة الثالث وما دام الانسان فى
المنزل الاول فهو دود او فراش فان فراش النار ليس له الا الاحساس
ولو كان له تخيل وحفظ للتخيل بعد الاحساس لما تهافت
على النار مرة بعد اخرى وقد تاذى بها اولا فان الطير وسائر الحيوان
اذا تاذى فى موضع بالضرب يفر منه ولم يعاوده لانه بلغ المنزل
الثانى وهو حفظ التخيل بعد غيبوبتها عن الحس وما دام الانسان
فى المنزل الثانى بعد فهو بهيمة ناقصة انما حذره ان يحذر عن شىء
تاذى به مرة وما لم يتاذ بشىء فلا يدرى انه يحذر منه وما دام فى
المنزل الثالث وهو الموهومات فهو بهيمة كاملة كالفرس مثلا
فانه يحذر من الاسد اذا رآه اولا وان لم يتاذ به قط فلا يكون
حذره موقوفا على ان يتاذى مرة بل الشاة ترى الذئب اولا
فتحذره وترى الجمل والبقر وهما اعظم منه شكلا واهول منه صورة
فلا تحذرهما اذ ليس من طبعهما ايذاؤها الى الآن تشاركه البهايم
فبعد هذا يترقى الانسان الى عالم الانسانية فيدرك الاشياء التى لا
تدخل فى حس ولا تخيل ولا وهم ويحذر من الامور المستقبلة ولا

يقتصر حذره على العاجلة اقتصارا على ما يشاهد فى الحال من الذئب
ومن هنا يصير الى حقيقة الانسان والحقيقة هى الروح الذى
المنسوبة الى الله تعالى فى قوله ونفخت فيه من روحى وفى هذا
العالم يفتح له باب الملكوت فيشاهد الارواح المجردة عن غشاوة
القوالب واعنى بهذه الارواح الحقائق المحضة المجردة عن كسوة
التلبس وغشاوة الاشكال وهذا العالم لا نهاية لها واما عوالم
المحسوسات والمخيلات والموهومات فمتناهية والترقى فى
هذا العالم مثاله المشى على الماء ثم يترقى منه الى المشى فى الهواء ولذلك
لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله ان عيسى يمشى على الماء فقال
لو ازداد يقينا لمشى فى الهواء واما التردد على المحسوسات فهو كالمشى
على الارض وبينها وبين الماء عالم يجرى مجرى السفينة وفيها تتوالى
درجات السالكين حتى يجاوز الانسان عوالم البهايم فينتهى الى
عالم الشياطين ومنه يترقى الى عالم الملائكة وفيه منازل وشرح
ذلك يطول وهذه العوالم كلها منازل الهدى ولكن الهدى المنتهى
الى الله تعالى يوجد فى العالم الرابع وعالم الارواح وهو قوله تعالى
قل ان الهدى هدى الله فمقام كل انسان ومحله ومنزله فى العلو
والسفل بقدر ادراكه وهو معنى قوله الناس نيام ما يحنون
فالانسان بين ان يكون دودا او حمارا او فرسا ثم يجاوز ذلك فيصير

سلكا والملائكة درجات فمنهم الارضية ومنهم السماوية ومنهم المقربون
المرتفعون عن الالتفات الى السماء والارض القاصرون نظرهم على
جمال الحضرة الربوبية وملاحظة الوجه خاصة وهم ابدا في دار
البقاء اذ ملحوظهم هو الوجه الباقي وما عدا ذلك فالى الفناء
مصيره اعني السماء والارض وما يتعلق بهما من المحسوسات
والمتخيلات والموهومات وهو قوله وهو معنى قوله تعالى
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام و
هذه العوالم منازل سفر الانسان ليترقى من حضيض درجة
البهايم الى يفاع رتبة الملائكة ثم ترقى من رتبتهم الى رتبة
العشاق منهم العاكفين على ملاحظة جمال الوجه يسبحون الوجه
ويقدسونه بالليل والنهار لا يفترون فانظر الآن الى
حسن الانسان وشرفه الى بعد مراقيه في معارجه والى انحطاط
درجاته في سفلة فكل الادميين مرد ورددت الى سفل سافلين
ثم الذين امنوا وعملوا الصالحات يرتقون منها فلهم اجر غير ممنون
وهو جمال الوجه وبهذا الفهم معنى قوله تعالى انا عرضنا الامانة
على السموات لان معنى الامانة التعرض للعهدة والخطر ولا خطر
على سكان الارض وهم البهايم اذ ليس لهم امكان الترقي من المنزل
الثالث ولا خطر على الملائكة اذ ليس لهم خوف الانحطاط الى حضيض

عالم البهايم وانظر الى الانسان وعجايب عوالمه كيف يعرج الى سما العلو
رقيا ويهوي الى ارض الحقارة هويا فيا متقلدا هذا الخطر العظيم الذي
لم يتقلده في الوجود غيره فيا مسكين يهددني بالعاقبة وتخوفني
بمجاوزة الجمهور ومخالفة المشهور وبذلك فرحي وسروري ان الذي
يكرهون مني منه ذلك الذي يثبته قلبي فاطوطوما المهذبان
ولا تقعقعني بعدها بالشنان **فصل** واما طالبك اياي
بتفصيل عذاب الآخرة وذكر اصنافه فلا تطمع في التفصيل فذلك
داعية الاملال والتطويل واقنع بذكر الاصناف فقد ظهر لي بالمشاهدة
ظهورا اوضح من العيان ان اصناف عذاب الآخرة ثلثة اعني الروحانيات
منها حرقة الشهوات واخرى خجلة الفضيحات وحسرة فوت المحبوبات
هذه ثلث انواع من النيران الروحانية تتعاقب على روح من آثر
الحياة الدنيا الى ان ينتهي الى مقاساة النار الجسمانية فان ذلك
يكون في آخر الامر فهذا الان شرح الاصناف الصنف الاول حرقة الشهوات
الشهيات مضروبة المستفادة   النيران الذي وصف
الشرع ثم عدد [illegible] وهي بعدد السموات ورذايل الصفات
يلذغ صميم الفؤاد   كان البدن تعزل عنه فقد دبر عالمك
هذا ملكا مستوليا على الارض متمكنا من جميع البلاد متمتعا بها
بالوجوه الحسنا منها الكامليا مشعوفا بالامارة واستعباد الخلق

بالطاعة مطاعا فيهم غافصه واستعمله على ملاء من رعيته في
نعمة الكمال وصار يتمتع بنعيمه ويتمتع باهله وحواشيه من بين
ودخاير امواله فتفرقها على اعدائه ومعانديه فانظر الآن هل
ترى على قلبه تنينا ذا رؤوس كثيرة تلدغ صميم فؤاده وبدنه بمعزل
عنه وهو يود ان يبتلى بدنه بامراض وآلام ليتخلص منه فهم
هذا فيما اقتصر به قليلا من رائحة الحطمة التي فيها نار الله
الموقدة التي تطلع على الافئدة اعدت لمن جمع مالا وعدده يحسب
ان ماله اخلده واعلم ان عذاب كل بيت بعدد رؤوس هذا التنين
وعدد الرؤوس بعدد المشتهيات فاذا من كان اقل ميله الى الدنيا
اقل كان العذاب عليه اخف ومن لا علاقة له مع الدنيا اصلا
فلا عقاب عليه اصلا الصنف الثاني عرض مخلة الفضيحات فقدر
رجلا خسيسا رذلا فقيرا عاجزا قربه ملك من الملوك ورفعه وقربه
وخلع عليه وسلم اليه نيابة مملكته ومكنه من دخول حرمه ومن جملة
خزائنه اعتمادا على امانته فلما عظمت عليه النعمة طغى وبغى وصار
يختلس من خزائنه ويفجر باهل الملك وبناته وسراياه وهو في جميع
ذلك يظهر الامانة للملك ويعتقد انه غير مطلع على خيانته
فبينما هو في غمرته وفجوره وخيانته اذ لاحظ روزنة فراى الملك
مطلعا عليه منها وعلم انه كان يطلع عليه كل يوم لكنه كان يغض

كما

عينه ويمهله حتى تزداد خبثا وفجورا ويزداد استحقاقا للنكال
ليصب عليه بالآخرة انواع العذاب فانظر الآن قلبه كيف يحترق بنار
الخزي والخجلة وبدنه بمعزل عنه وكيف ان يعذب بدنه بكل بلاء
ويكتم خزيه فكذلك انت تتعاطى في الدنيا اعمالا وحقيقتها
ولتلك الاعمال ارواح وحقايق خبيثة قبيحة وانت جاهل بما تعتقده
حسنا فينكشف لك في الآخرة حقايقها في صورتها القبيحة فتعرى
وتخجل خجلة يتوزع عليها الآلام بدنيه فان قلت كيف ينكشف لي ارواحها
وحقايقها فاعلم ان ذلك لا يفهمه الا بمثال فمن جملته مثلا مؤذن
في رمضان قبل الصبح فيرى في المنام ان بيده خاتما يختم به افواه
الرجال وفروج النساء فقال له ابن سيرين هذا انك لاذان قبل
الصبح فتامل الآن لما بعد بالنوم قليلا عن عالم الحس انكشف له
روح عمله لكن لما كان في عالم التخيل لان النائم لا يرى الا الخيال بالـ
متخيل وهو الخاتم والختم به لكنه مثال دل على روح العمل من نقص
الانسان الاذان لان عالم المثال المنام اقرب الى عالم الآخرة فالتلبيس
فيه اضعف قليلا وليس يخلو من تلبيس لاجل يحتاج الى التعبير ولو
قال لهذا المؤذن اما تستحيي ان تختم افواه الرجال وفروج النساء
فيقول معاذ الله ان افعل هذا فلان اقدم ويضرب عنقي احب
الي من ان افعل ذلك فهو ينكر لا يجهله مع انه يفعله الآن وهو صورة

عن ادراك ارواح الاشياء وكذلك لو اكلت لحما طيبا على اعتقاد انه
لحم طير فقال اما تستحيي باكل لحم اخيك الميت فلان لقلت معاذ الله
ان افعل ذلك ثم يكرر لانه يحمله الى ولان امونه جوعا اهون علي
من ذلك فنظرت فاذن هو لحم اخيك الميت طبخ وقدم اليك
وليس عليك فانظر كيف تخزى وتفتضح به وبدنانك ويعزلك
الله فكذلك يرى العتاب نفسه في الاخرة لان روح الغيبة تمزيق
اعراض الاخوان والتفكه بها وفي عالم الآخرة ينكشف ارواح الاشيا
وحقايقها وكذلك لو كنت ترمي حجارة الى حايط فقال لك قايل
اما تستحيي ان تفعل ذلك والحجارة ترتد من الحايط وتقع في دارك
وتصيب حدقة اولادك فقد عميت احدا منهم كلهم فقلت معاذ الله
ان افعل ذلك فقال ادرك دارك فدخلت فاذا هو كذلك
فانظر كيف تفتضح وتحترق قلبك تحسرا على عملك الذي ظننته
هنا وهو عند الله عظيم وهذا روح حسدك لاخيك فانه تحسده
فلا تضره وينعكس عليك ويهلك دينك وينقل حسناتك الى
ديوانه وهي قرة عينك لانه سبب سعادة الابد فهي اعز من حدقة
الولد فاذا انكشف لك هذه الروح فانظر كيف تحترق بنيران
الفضيحة وبدنانك بمعزل عنه فالقرآن كثيرا ما يعبر عن الارواح
فلذلك قال في الغيبة ايحب احدكم ان ياكل الاية وقال تعالى في الحسد

ادخل

باايها الناس انما بغيكم على انفسكم ويكفيك من الامثال والغيبة
والحسد نفس عليه كل فعل بما كان الشرع فكذلك لقبح روح العمل
وحقيقته وحسن ظاهره اي ظاهره حسن للبصر الظاهر وبالمعنى قبح
للبصيرة الباطنة من مشكوة نور الله تعالى عبر الشرع حيث قال
يعرض الدنيا القيمة في صورة عجوزة شوهاء زرقاء لا يراها احد
الا ويقول نعوذ بالله منك فيقال هذه دنياكم التي كنتم بها الكون
في نفوسهم من الخزي والفضيحة ما يؤثرون النار عليه وان اردت
ان تفهم كيفية هذه الخجلة فاسمع حكاية رجل من ابناء الملوك
زوج ما حمل امرأة من بنات الملوك فشرب تلك الليلة وسكر و
احطابات الحجرة وخرج من الدار فضل فرأى ضوء سراج فقصد
على ظن انما حجرته فدخل الموضع فرأى جماعة نيام فصاح بهم فلم
يجيبوا فظن انهم نيام فطلب العروس فرأى واحدا نايما في ثياب
جديدة فظن انها العروس فضاجعها واخذ يقبلها ويمصها و
يجعل لسانه في فيها ويمص ريقها متلذذا بذلك في سكرة
غاية التلذذ ويمسح بالرطوبات التي يصيبه من جميع بدنها على
ظن ان ذلك عطر ادخر له فلما اصبح افاق فاذا هو في ناووس
المجوس واذا النيام موتى وهذه عجوزة شوهاء قريبة العهد بالموت
عليها الحنوط وكفنها الجديد فصادف في فمه وانفه من رطوبات

منها

ربقتها ومخالطها وعلى بدنه من قاذوراتها سافلها فاذا هو من فرقه
الى قدمه في قاذوراتها ثم تفكر في عنيا نه اياها وابتلائه بقيا
فهجم على قلبه من الخزى ما تمنى ان يخسف الله به الارض حتى تمنى
ما جرى عليه ولا يزال يعاوده ذكره ولا ينساه اصلا بل يجد ما
عمله من سوء محضرا بودّ لو ان بينها وبينه امدا بعيدا و
بدنه بمعزل عن هذه المجازى ويحذر ان يطلع عليه احد فيفضح
خزيه فاذا هو بابيه وجميع حشمه قد جاؤا في طلبه واطلعوا على
جميع مخازيه فهذا حال من تمتع بالدنيا ينكشف له كذالك
في الاخرة روحه وحقيقته وهو معنى قوله تعالى وحصّل ما في
الصدور اي يعرض عليه حاصلها اي روحها وحقيقتها ومعنى
قوله تعالى يوم تبلى السرائر اي تكشف عن اسرار الاعمال وارواحها
القبيحة والحسنة وكان الذ الاطعمة رجيعه فالذ تنعمات الدنيا
حاصلها وسرها في الاخرة اقبح وافضح وكذالك شبه رسول الله
الدنيا بالطعام وعاقبته بالرجيع الصنف الثاني حسرة من يفيد
مع جماعة من اقرانك دخلتم في ظلمة فكان فيها احجار لا يرى الوانها
فقال لكم قائل ان يطيق فليحمله فلعله يكون فيها ما ينتفع بها اذا خرجتم
من الظلمة فقلت ما اصنع بهذا الحمل في الحال ثقلها واكد نفسي فيها
وانا لا ادري عاقبتها ما هذا الا جهل عظيم فان العاقل لا يترك الراحة

فقد ابما هو فيه بتبعة ولا يستيقنه فاخذ كل واحد من اقرانك ما
اطاق اخذه واعرضت عن ذالك تستجهلهم وتسخر بهم لانهم يتوؤن
تحت اعبائه وثقله وانت مرفه في الطريق تعدو وتضحك عليهم
فلما جاوزوا الظلمة نظروا فاذا هي جواهر ويواقيت يساوي كل واحد
الاف دينار فاقبلوا على بيعها وتوصلوا بها الى النعمة والجاه و
اصبحوا ملوك الارض فاخذوك واستخدموك لتعهد دوابهم لئ
ليتفقوا عليك في كل يوم قدرا يسيرا من فضلات الطعام فكيف
يكون اشتعال نيران الحسرة في قلبك وبدنك بمعزل منه وانت تقول
ياحسرتا على ما فرطت ويا ليتنا نرد فنعمل ونقول افيضوا على ما
افيض عليكم فيقولون هذا حرام عليك الم تك تسخر بنا وتضحك
علينا فلا بد وان نسخر اليوم منك كما سخرت منا فلا يزال ينقطع بها
قلبك من التحسر ولا ينفعك التحسر ولكن تتمنى وتقول الموت تخلصني
من هذا فاعلم ان تارك الطاعات في الآخرة كذالك ينكشف و
لكن لا مطمع في الموت المخلص بل هي حسرة ابدية دائمة تتضاعف كل
يوم وان كان البدن بمعزل عنها وعنه العبارة بقوله تعالى ان
افيضوا علينا من الماء الاية وذالك لانه يفاض على اهل المعرفة و
الطاعة من انوار جمال الوجه ما يحصل به من اللذة مبلغ لا يوازنه
نعيم الدنيا بل يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات كما

بالخبز لا بمعنى تضاعف المقدار بالمساحة بل تضاعف الارواح
كان الجوهرة يكون عشرة امثال العرض والمقدار بل يروح المالية
اذ قيمته عشرة امثاله واعلم ان تجريد الرجل نفسه على عبد او تباد
حتى يتصور تغييره بل هو كتجريد الله تعالى على الابيض ان يكون
اسود في حالة السواد وعلى الحار ان يكون باردا في حالة الحرارة
وذلك لا يتصور فيه التبديل بل مثال للعالم الكامل رجل
شيخ هرم من الجهال الذي كان بليدا في الفطرة ولم يبادر بعض
على قلبي من دقايق علومك فيقول ان اسحرته على الجاهلين
معناه ان الاستعداد لقبوله انما يكتسب بذكاء اصلي وممارسة
طويلة للعلم بعد تعلم اللغة والعربية وامور اخر كثيرة واذا
بطل الاستعداد وفات استحالة الاستفاضة كاستحالة
الحرارة على البرودة مع بقاء البرودة فلا تظنن ان الله تعالى يغضب
عليك فيما قبلك انتقاما ثم تخادع نفسك برجاء العفو فتقول
لم يعذبني ولم يضره معصيتي بل يلزم العذاب من المعصية كما
يلزم الموت من السم واعلم ايضا ان الحرقة دائمة لان منشاها
تضاد صفتين لا يزول تضادهما ابدا مثاله ان الذي تعلق
بحبل في عنقه او رجله انما يتألم لتضاد الصفتين لا لصورة الحبل
والتعليق لكن صفة الطبيعة بطلب الهوي الى سفل والمنع القهري

بالحبل مانع الصفة الطبيعية فيتولد الالم فيه من تمانعهما فكذلك
الروح الانساني من العالم الروحاني الالهي باصل فطرته فله
بحكم الطبع حنين وشوق الى عالم الارواح والمرافقة الملأ
الاعلى ولكن اغلال الشهوات وسلاسلها يجذبها الى اسفل
السافلين وهي شهوات الدنيا وهي صفة عارضة فتجاذب الصفة
الطبيعية ومنعها عن نيل مقتضاها والالم يتولد من بينهما
والنار ايضا انما تؤلم للمضادة فان الملايم للتركيب بقاء
الاتصال والنار يضاد الاتصال بالتفريق بين الاجزاء واعلم
ان التضاد مولم سواء كان السبب خارج او داخل فان سم العقرب
يبقى في العضو ويولم لفرط برودته المضادة لحرارة البدن فلا
تظنن ان الآلام كلها ما يدخل من خارج قلب ان العقرب لدغ من
خارج فاعلم ان الم السن والم العين لا ينقص وسببه انصباب خلط
داخل مضاد لمزاج العين والسن وليس ذلك باهون من لدغ العقرب
واعلم ان تضاد الصفات على القلب يولم القلب الاما لا ينقص
واعلم ان هذه الاصناف الثلثة لها ترتيب فالصنف الاول الذي يلقاه
الميت المعذب هو حرقة فرقة المشتهيات وذلك تبين حب الدنيا
ولذلك اضيف ذلك الى القبر وانما يسبق هذا الان اغلب الاشياء
على قلب الميت في الحال فراق ما يحبه في الدنيا من جاه ومال

ومنصب ونعمة ثم بعد ذلك ينكشف له ارواح الاعمال وحقايقها

الفضيحة وذلك عند الانغمار التام في الموت وبعد تبعد تناوة

صفات الدنيا وكلما كان انغماره في الموت اشد فهو للكشف اقبل

فيفيض عند ذلك عليه خزي الفضيحة ولذلك اضيف هذا الى

يوم القيمة لانه وسط بين منزل القبر وبين دار القرار ولذلك قال

الله تعالى يوم لا يخزي الله النبي الآية اي يوم القيمة واما حسرة

فوت المحبوبات يتولى عليه آخرا عند القرار في النار وفيها

تقول افيضوا علينا من الماء الآية وذلك لان بعد العهد عن

الدنيا ربما يخفف عنه عذاب النزوع اليها وطول العهد

بالكشف يوجب مرودته على خزي الافتضاح فان سورة

عذاب الخزي يكون عند هجوم الافتضاح ثم تالف الفضيحة

والخزي انقاما ثم عند فتورهما قليلا تنبعث حسرة الفوت اذ

يظهر جلالة الفائت ثم يبقى حسرة الفوت آخرا ويشبه ان يكون

ذلك لا آخر له وهذا كله تعرفه قطعا اذا عرفت نفسك وعرفت

انك لا تموت لكن تعمى عينك وتصم اذنك وتفلج اعضائك وما

اعراضه

الحقيقة التي انت انت بها فلا تفنى بالموت اصلا بل ... [illegible] ... بعد الموت لا قبله

[illegible] الى [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى

للمسلمين وسلام على عباده الذين اصطفى من بينهم وارسله رحمة

للعالمين وآله الراسخين في العلم الذين اذهب الله عنهم رجس الشك

القادة لاهل اليقين **اما بعد** فقد جاءني امر عظيم ومثال كريم

من السلطنة والجلال وعرش فنون الفضل والكمال بتفسير

قوله تعالى وترى الجبال الآية فبادرت الى الامتثال سالكا طريق

الاختصار في المقال مقتصرا على ذكر المطالب من دون تعرض غالبا

للاستدلال الا باشارة لطيفة كافية لامثال يصد بالمثال

ممن لا يظن بهم شواهد الحقايق في كشف جميلة الجمال ولم يعرض

لذكر المحسنات البيانية والبديعية وآداب العلوم الادبية ليقع

اظهارا لها عند مثل من امتثلت له المثال ممن لا يخفى عليه

شيء من دقايق ذلك المجال ويضرب به في امثال تلك الامثال

فاقول وبالله التوفيق وعليه الاتكال قال الله سبحانه الكبير المتعال

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ

الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ الجمود كما يظهر

من كتب اللغة ضد الغليان والذوبان ويطابقه العرف وفي

الكشاف في تفسير الآية جامدة من جمد في مكانه اذا لم يبرح وقبله

فى الجوامع ويرجع اليه ما فى عدة من التفاسير من تفسيرها بالثبوت
او الوقوف فى مكانها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه ومؤكد له
المحذوف الناصب ليوم ينفخ كما فى الكشاف وتفسير البيضاوى
او مؤكد القوله تعالى وهى تمر مر السحاب منصوب به كما يظهر
من المجمع والجوامع ويحكى عن الزجاج وابى البقاء والمعنى على ما ذكره
المفسرون انك ايها الناس ترى يوم القيمة الجبال تحسبها ثابتة فى
مكانها وهى تجمع وتسير كما تسير الريح السحاب وهكذا الاجرام
العظام المتكاثرة العدد لا يكاد يتبين حركتها لبعد اطرافها وذلك
صنعة الله الذى اتقن اى احكم كل شئ انه خبير بما يفعله العباد
الظاهرة منها والباطنة وبما يستوجبونه عليها ولعل الظاهر
ان المراد من ذلك المرور حركة الجبال انتقالها من الثبات الى الزوال
واخذها بالجذبة الغيبية عن عالم الشهادة وخروجها عن
الالسنة الغيبية الى اللبية الذاتية وادخالها عن الوجود النسبى
الى الهلاك الاصلى واستهلاك ما فيها من مظاهر الاسم الظاهر
تحت تجلى اسم الباطن القاهر وان تختفى ما ظهر من نور الاول
تعالى فى ظلمات الارضين فى ظهور اسمه الآخر ويمكن ان يكون
المراد من الجبال جبال الانيات ومن مرها اندكاك جبل كل انية
عند تجليه تعالى على الكرات باسمه الواحد القهار واضمحلال

ظلمات

ظلمات الاوهام بطلوع نور الانوار وظهور آثار نوره السارى من
صبح الازل على هياكل التوحيد وانطفاء سرج الوجودات عند
طلوع صبح الحقيقة الوحيدة وكشف غطاء اللبس عن الخلق الجديد
وعلى كل من الوجهين فاما ان يكون المراد بيان احوال القيمة كما يشهد
اللبس قبل الاية من قوله تعالى ويوم ينفخ فى الصور الاية واظهار
حقايق الاشياء على ما هى عليها فى نفس الامر فى هذه النشأة بناء
على انقطاع الكلام عما قبل الاية وذلك اما على طريقة العرفاء فلان
الاعيان الثابتة ما شمت رائحة الوجود فهى معدومة فى حد
انفسها موجودة بوجود الفيض الالهى اليها والحالة التى لها فى حد
انفسها ثابتة لها ازلا وابدا فكما انها لا يحدث بدوا من دون
وصول الفيض اليها ولولا ذلك لا تستمر ولا يبقى لولا انجبار الرب
بمثله مددا وهكذا فى كل آن احصيه من احصى كل شئ عددا فلا بد فيه
من مدد له مددا وبوجه آخر ان الاعيان مظاهر للتجليات الالهية
وبها وجودها وظهورها فى كل نشأة فلو انقطعت عنها التجليات
فى آن من الآنات لرجعت الى ما هى عليها فى حد ذواتها من سنخ
الذوات فلولا التجليات لانفطرت السماء والسماويات وخربت
الارض والارضيات وانطمست الكواكب والسيارات تامل فيه
تامّلات واما على طريقة الحكماء فلان كل حادث يتبع حده و ثمر

الابد استكمال مادته لقبوله واستعدادها التام لحصوله فبعد
حصوله اما ان يصير صرف الفعلية وهو مستبين الاستحالة مستلز
لعدم تعلقه بالمادة وخروجه عن المادية الى المجردية وان لا يكون
شيء من صفاته ايضا حينئذ بالقوة لان الانفعال حكم فرع المادة
واما ان يبقى بعد ذلك ايضا على صفة القوة وحينئذ اما ان يزيد
للمادة بحصوله استكمال في جهة القابلية او يكون وجوده وعدمه
في ذلك على السوية والثاني باطل بالضرورة وعلى الاول فلا بد
من تجديد الصورة الكمالية لاستدعاء تغير الاستعداد تغير المستعد له
في الحصول واستلزام استكمال القابل في جهة القبول الوصول الى
اكمل مقبول واحسن مأمول واقتضاء العناية الالهية اعطاء كل ذي
حق حقه وليبسط يد الرحمة الواسعة الباسطة في ايصال كل خير الى
مستحقه فيتغير الصورة في كل آن عما كانت عليها في السابق من الزمان
والبراهين على ذلك بمقتضى الحكمة القويمة كثيرة والشواهد عليه
على الطريقة المستقيمة غير يسيرة صرفنا عنها عنان الكلام لانه
تضيق عن ذلك ميدان المناسبة للمقام واما على طريقة بعض
المشايخ الاجلاء فيقرب بما مر من مشرب العرفاء وهو ان الحادث
لا يستغني عن المدد ولا ينتهي الابام يصل اليه قبل ان ينفد
فهو ابدا يكسر ويصاغ ولا يزال يتجدد في الكسر والصياغ فمن الجبال

تجبها جامدة لعدم تموّجها وتغيّرها في الظاهر وهي تمر مر السحاب
في سرعة السير وخفائها للكبر على الناظر فما دامت في التحلل والتبدل
بالحركة السريعة شديدة السير الى مراده وحكمه في السلسلة العرضية
ولا يكاد الجاهل يشعر بذلك السير وتلك الحركة هذا ومن بديع صنعه
تعالى في الاية الشريفة انه لما يتوهم ان حركة الجبال عن البقاء الى
الزوال كما في القيمة تخريب مناف للحكمة وكذا تجديدها ثم تخريبها
وهكذا على الدوام كما في هذه النشأة كما مضى العيان في تفسير
الاية الشريفة فهذا من وجوه ما يمكن ان يذكر من النكتة في ذكره
لقوله تعالى صنع الله الذي اتقن كل شيء تنبيها على ان ذلك من
جملة محكمات صنع الله الذي اتقن كل شيء او احكمه ومن احكام احكامها
لها واجرائه لها على قضايا الحكمة توضيح وذلك لان الفعل المتقن
ما يكون له غاية معتد بها في نظر العقل والحكمة والاحكام في
الفعل انما يكون بفعل ما يترتب عليه غاية شريفة لا يكون ترتبه
عليه على وجه الاتفاق والندرة ارادة لتادي ذلك الفعل الى تلك
الغاية فلا بد في خلقه تعالى للحادثات الناقصات من غاية
شريفة ولا يكون هي جهة نقصاناتها ولا تلك الناقصات من
حيث تركيبها من الجهة الكمالية الشريفة والجنبة النقصانية ليست
شريفة بل جهة النقص بما هي ليست لا عدمية لا تصلح لان تقصد

ويجعل غاية فضلا عن ان يراد في الحكمة وما قد يقصد النقايص
فانما هو لتوهمها كمالات كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى
اذا جاءه لم يجده شيئا وذلك جهل تنزه عنه الله العالم بكل شيء
المتعالي عن كل شين وانما العالم بان الشيء نقص محض لا كمال فيه
مطلقا ولا استكمال له منه اصلا فمن ضروريات العقول ان يمتنع
منه قصد ذلك الفضول وادخاله اياه في دار المطلوب المأمول
ومن ذلك يعلم ان المركب من هاتين الجهتين لا يكون للجهة
النقصية منه دخل في المطلوبية والغائية فالغاية انما هو جهته
الكمالية وحيثيته الفعلية لا جهة النقص له والقوة فلا بد
في الحكمة والاتقان من ان ينتهي عالم القوة والاشياء المادية الى النشأة
الفعلية ومبادي الصور المجردة بلا مادة وثبوت فيها وان الآخرة لهي
الحيوان فهذا التخريب تخريب للناقصات من حيث نقايصها و
تجريدها عن شوائب العدميات وليس لهذا الوجود عن الفاقد ودات
وتعمير لبنيانها على وجه تام مصون عن التزلزل والخراب لا يكون لاهلها
خوف عن الانزعاج ولا اضطراب ويكون لهم فيها من متاعب الجسمانيات
سكون واستقرار كما قال تعالى وان الآخرة لهي دار القرار فقد
نزع الحق وظهر انه لولا ان الموت حق ودوام هذا العالم باطل و
ان دكاك هذه الجبال بل جبال الانيات مطلقا حاصل وان كل نعيم

من النعم الدنيوية لا محالة زايل لكان خلق العالم عبثا باطلا وكان
الصانع له عابثا جاهلا تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقد نبه على ذلك
في قوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم
غافلون اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم
لكافرون وكذا في قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم
الينا لا ترجعون فقد استنار عالم البيان في هذا الشأن بنور
البرهان وضياء القرآن وظهر ايضا تجدد صور الحادثات وتغيرها
في الاستكمالات في هذه النشأة فانه لولاه لامتنع انتقالها من التعلق
بالمادة الى دار الحيوة المحضة ونشأة الفعلية الصرفة فلا يكون لها
غاية وقد عرفت استلزام ذلك لامتناع التجدد ودوامه مفسدة ففي
قوله تعالى الذي اتقن كل شيء تنبيه على الدليل على مر الجبال على
وجه فسرناه من الوجوه الماضية فهذا ما آتاناه الله ويمكن من الناس
ان في هذا الكلام القوم عابدين احتمالا اخر ممكن ان يكون المراد
من مر الجبال يوم القيمة سيرها الى الانبساط على وجه الارض واستوائها
معها كما يستفاد مما رواه علي بن ابراهيم في تفسيره بسنده عن سيد
الساجدين حيث سئل عن كيفية النفخ فذكرها وذكر موت
كل ذي روح في الارض سما ثم ذكر موت اسرافيل بامر الله ثم قال ع

فيمكثون فى ذلك ما شاء الله ثم يأمر السموات فتمور ويأمر
الجبال فتسير وهو قوله تعالى يوم تمور السماء مورا وتسير
الجبال سيرا يعنى تبسط وتبدل الارض غير الارض يعنى بارض
لم تكتسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات
كما دحاها اول مرة ويعيد عرشه على الماء كما كان اول مرة مستقلا
بعظمته وقدرته قال فعند ذلك ينادى الجبار جل جلاله
بصوت جهورى يسمع اقطار السموات والارض لمن الملك اليوم
فلا يجيبه مجيب فعند ذلك يقول الجبار عز وجل لنفسه
لله الواحد القهار وانا قهرت الخلائق كلهم وافنيتهم انى انا الله
لا اله الا انا وحدى الحديث لكن فى هذا الوجه ان قوله ع يعنى
تبسط وان اوهم ذلك لكن ذكره ع لتبديل الارض بارض غير
الارض لم يكتسب عليها الذنوب وغير ذلك مما ذكره ع يرشد
الى فناء هذه الارض وجبالها والادلة العقلية والنقلية
ايضا دالة على ذلك فلا يتمشى بقاء الجبال منبسطة على الارض
وفى تفسير على بن ابراهيم فى قوله تعالى وسيرت الجبال فكانت
سرابا قال تسير الجبال مثل السراب الذى يلمع فى المفازة وهو
ايضا يرشد الى ارادة انتقالها الى الفناء من سيرها او مرها هذا
ويمكن ان يكون المراد من الجبال الابدان ومن مرها فناؤها عند

الساعة او فى هذه النشأة ايضا شيئا فشيئا او ما يعضده ما فى
القاموس فى معنى الجبل حيث قال وككتاب الجسد والبدن زنة
ويمكن ان يراد من مرها يوم القيمة تزلزلها واضطرابها من اهوال
ذلك اليوم لكن يدفعه ايضا ما عرفت الا ان يقال انما تزلزل
ح اولا ثم تنعدم والمراد بالاية ذكر حالتها الاولى لكن فيه ما لا يخفى
ويمكن ان يكون المراد بمرها ذلك فى هذه النشأة بعينه الارض
تحركها بالحركة السريعة اليومية بناء على القول بسكونها وذلك
الحركة ايضا كما حكى عن قوم من الاوائل تنوير يحتمل والله العالم
ان يكون المراد بالجبال فى الاية خلفاء الله فى ارضه بمناسبة
انهم اوتاد الارض بالحقيقة كما ان الجبال اوتاد الارض فى الصورة
كما قال تعالى والجبال اوتادا فان بهم استحكام الارض وما عليها
وصونها من التزلزل والخراب كما تطابقت عليه الادلة النقلية والبراهين
العقلية للمتيقظين من اولى الالباب وهم الواسطة فى العلة الفاعلية
والغاية العظمى لسائر الموجودات فى المبدأ والمآب ومن وجوه المناسبة
وتشبيههم بالجبال علوهم الكبير على اهل ارض الوجود واشرافهم بالعلوم
الالهية وسائر الصفات الربانية على كل من هو فى دار الامكان
موجود ومنها انهم ع منابع ينابيع الحكمة كما ان الجبال منابع الماء
فى الصورة وبهم يجرى على كل شئ الماء الذى جعل الله منه كل شئ

حتى كان من الجبال يجري الله الماء على ما اراد وشاء ومنها انهم
معادن جواهر المعارف وذهب الاطلاع على الحقائق وفضة الاداب
امثالها من الطوارف كما ان الجبال معادن الجواهر وكذلك الذهب
والفضة وغيرهما مما هو ظاهر ومنها انهم تشرقون بشمس الوجود
في سلسلة البدو قبل الخلائق اجمعين ويبقى استضاءتهم بها
في سلسلة العود بعد ان تتوارى منها في ظلمة الفناء كلهم يوم
الدين فانهم الآمنون من فزع الساعة ووجه اسمه الباقي بعد فناء
كل شيء واسماؤه الحسنى كما ورد في الاخبار وايضا بهم بدا الله وبهم
يختم كما ورد وذلك ايضا في النصوص وكذا هذه الجبال المحسوسة
تستضيء قبل سائر الارض بنور الشمس وبعدها وبما يبدو بها
يختم الى غير ذلك من وجوه المناسبة مما لا يخفى على اهل الفطانة
وفي الخطبة العالية العلوية المشهورة بالشقشقية ينحدر عني
السيل ولا يرقى الي الطير وهو ايضا لا يخلو عن ايماء الى بعض تلك
المناسبات ولعل الانسب بقواعد المعقول ان يكون المراد بالجبال
فيما مر من قوله تعالى والجبال اوتادا خلفاؤه في ارضه وحججه
على عباده فيمكن ان يكون المراد في قوله تعالى وترى الجبال الآية
ان الناظر لقصر نظره على المحسوسات وعدم بلوغ ادراكه الى ما هو خارج
عن طور البشرية من الصفات يرى خلفاء الله في ارضه من اهل

الجود على الظواهر ويحسبهم من المحجوبين في حجب المكان والزمان
او بابا النظر القاصر ويظنهم من المقيدين بالقيود البشرية والعلائق
النفسانية الممنوعين عن مشاهدة الامور الغيبية ونيل الاحوال
الملكوتية والحال انهم يمرون مر السحاب في سرعة السير وعدم
محسوسيته مع كون المار مرئيا للكل محسوسا لكل ناظر وينفذون
بعلومهم الالهية في بواطن الاشياء كليا تماما وجزئيا تماما وارواحهم معلقة
بالملأ الاعلى يطيرون باجنحتهم الملكوتية في عوالم القدس على
مدارجها ويتخلقون بالاخلاق الالهية والصفات الربانية المتجلية
في الصورة البشرية المتلألئة في وجوههم الصعودية وهم الفلك الجارية
في اللجج الغامرة وهم السياح في اقاليم معمورة الكمال الطالعون على جميع
منازل الرجال ومبلغ مجال الارضين والسموات ومدارج
الجسمانيات والروحانيات ومعارج النفوس والعقول المجردات
وهم السائرون بالاسفار الالهية الى جميع المقامات الذين لا يحصرهم
نوع من الكمالات ولا ينتهي من الدرجات بخلاف غيرهم من السابقين
الى ذي العرش خالق السموات حتى الملائكة اولي الاجنحة الطائرة
في حق النبي المكتوم فانه منهم لا دولة مقام معلوم فان الانسان
الكامل هو الذي لا يحويه مقام خاص ولا يضبطه الحدود والخواص
ولهذا قال سيد البشر عليه وآله الصلاة والسلام لي مع الله وقت

لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل وقال له الروح الامين
المطاع المكين الذى هو بالافق الاعلى وهو شديد القوى ليلة
المعراج فى بعض المدارج العلى لو دنوت انملة لاحترقت وبوجه آخر
يحجبهم الناظر جاهدين على القوى البشرية لا يجرى احكامهم على الخلق
بل ربما يجرى احكام بعض الخلق عليهم والحال انهم يجرى احكامهم
فى الباطن على الكل تفعل كل منهم بامر الله ما يشاء ويحكم ما يريد
وهم المظاهر الجامعة لاسماء الله القاهر فوق عباده وهم سنة الله
التى خلق الله بها الاشياء فكيف يخرج عن سنتهم وطاعتهم شيء
ومخالفة العصاة والطغاة لبعض اوامرهم ونواهيهم لا تنافى نفوذ
حكمهم فى الحقيقة فى الكل كما ان مخالفة هؤلاء الطغاة والعصاة
لاوامر الله ونهيه لا تنافى مقهوريتهم له تعالى ونفوذ حكمه فيهم
كما لا يخفى على الناقد البصير المتعالى فهمه عن فهم الجاهلين والله
غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون الا ان حزب الله هم الغالبون
كتب الله لاغلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز وبوجه آخر يحجبهم
الناظر جاهدين فى عالم الناسوت والحال انهم يسيرون فى الملكوت
بل فى عالم الجبروت ويريهم ساكنين فى حضيض الارض والفرش والحال
انهم حافون مع الملائكة حول العرش وبوجه آخر يحجبهم الناظر مقيدين
لقيود الحدوث فى العالم مع ان وجودهم يجمع الحدوث والقدم مع

البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وبوجه آخر يحجبهم مقيدين
بصورة مخصوصة مع انهم المتجلون لكل صورة او زى كما انهم مظهر
الاسم المحيط خاص مع ان كلا منهم مظهر لكل الاسماء عند الخواص وبوجه
آخر يحجبهم من مظاهر الاسماء له تعالى مع انهم بالحقيقة اسماء الله
الحسنى باعيانها كما قالوا نحن اسماء الله الحسنى الى غير ذلك من
الاسرار والاشارات التى لا تفى بها العبارات وانما اشرنا الى بعض
منها حيث كان الكلام مع من كان من اهلها ومما يعضد ما ذكرنا
هيهنا ان المراد من الجبال انه ذكر فى القاموس فى معانى الجبل سيد
القوم وعالمهم ولا ريب انهم سادات الكل وعالم اصل العالم وربما احتمل
شمول الآية لجميع العلماء على حسب مراتبهم ويمكن التفطن بالتطبيق من
بعض ما ذكرنا فى تضاعيف الكلمات **تكملة** ولنوضح ارتباط
قوله تعالى انه خبير بما يفعلون بما قبله فان فيه خفاء ولعل وجهه
انه تعالى لما ذكر يوم نفخ الصور وفزع الكل من شاء ويحبهم اليه داخرين
فى ذلك الحضور واندكاك الجبال عند ما يرجع اليه بالكلية الامور
نبه على انه خبير بجميع ما يفعله العباد فلا يفوته جزاء شيء من اعمالهم
عند الميعاد فلا بد لهم من الاجتهاد فى كسب ما ينفعهم يوم المعاد ووقاية
انفسهم عما يوجب لهم الهلاك والفساد ثم عقب ذلك فى الآية بعده ببيان
كيفية جزاء الحسنة والسيئة اشارة الى رحمته الواسعة بانه تعالى

لا يسلك معهم في السيئة سبيل الظلمة وانما يجزيهم فيها بحسب العدالة
ويضاعف الحسنات بفضله وجوده المشتق من ذاته الكاملة التي
لا يمنعه من احد الا الجهة فيه عن ذالك منفعة و بوجه آخر انه تعالى
لما نبه على انه اتقن كل شيء استنتج منه لعباده خبيرا بما يفعلون
فان الاتقان لكل شيء لا يكون الا مع العلم بذواتها وآثارها و
مصالحها ومضارها كما يدل عليه القواعد العقلية ويشهد به
الشواهد الذوقية بل يكفي في التصديق به الفطرة السليمة وبوجه
آخر انه تعالى لما نبه على نفوذ خلفائه بعلومهم في جميع الاشياء
كما مر في بعض وجوه التاويل نبه على ان خلفائه اذا كان علومهم
نافذة في جميع الاشياء ومنها ما يفعله العباد كما اسلفنا الاشارة اليه
وتطابق عليه البراهين العقلية والادلة النقلية ويظهر خصوص
علمهم بافعال العباد من كثير من النصوص فاما الخالق لاولئك
الخلفاء اولى بالعلم بها ورد بما يجري مجرى تلك الاولوية في بعض
اخر من شقوق ذالك التاويل توضيح آخر يمكن تعكيس التعليل
بان يكون خبرية تعالى بما يفعلون دليلا على اتقانه لكل شيء ويكون
الضمير في يفعلون راجعا الى الاشياء باطلاقها بناء على ان كل الا
شياء من اهل العلم والعرفة والاختيار والارادة مسبحون لربهم
كل قد علم صلوته وتسبيحه ساجدون له تعالى كما دل عليه البراهين

العقلية والشواهد الذوقية والايات القرآنية ودلايل السنة مما
لا يناسبه ذكرها المقام ولا يحتاج الى الاعلام تحول الاعلام وانكار لا يكاد
يبلغ دركه احلام اكثر الانام وح فلا يبعد ارجاع الضمير في هذا الجمع
الظاهر في ذوي العقول الى الاشياء مطلقا لا الخطاب اليهم على قراءة
من قرء بما تفعلون هنا بصيغة الخطاب ويصح الاستدلال ح انه
تعالى اذا كان عالما بافعال الاشياء فكذا بما لما تقرر في مقامه من ان
ذوات الاسباب لا تعرف الا باسبابها وعلمه بالكل يكون علما تاما
اما لان احاطة العلم بغير المتناهي ملزومة لعدم تناهيه في الشدة
واما لان كل صفة ثابتة لواجب الوجود لا بد ان يكون تامة بل فوق
التمام والعلم التام يكون سبب الصدور للمعلوم كما تقرر في مقامه
فهو ملزوم للاقتدار التام بل هو بعينه جهة القدرة الكاملة
على المعلومات واذا كان علم الصانع تاما محيطا بما يوجب احكام
المعلوم واتقانه وما يخل به وقدرته كاملة وحكمته الشاملة و
قدرته الكاملة توجبان اتقان صنعه البتة هذا ويمكن ارجاع
الضمير في قوله تعالى بما يفعلون الى المكلفين خاصة ثم تتميم الدليل
بانه اذا كان عالما بما هو اشرف المخلوقات وهو الانسان من حيث
اشتماله على فوايد لاجلها خلق الافلاك بل الاملاك ايضا فهو تعالى
عالم بجميع المخلوقات لان العلم التام لا يكون الا بالاحاطة القاهرة

بالعلوم والمحيط بالاشرف القاهر عليه محيط بالاخس قاهر عليه
البتة فهو عالم بالكل لا محالة فيتم الاتقان في الكل بما عرفت من
التقريب والحمد لمن علم الانسان ما لم يعلم
والصلوة والسلام على من بهم
بدؤه بهم يختتم

تمت

قال الشيخ المحقق محي
الدين الاعرابي قدس سره في
الفتوحات المكية ولما كان الكرسي موضع
القدمين لم يبسط في الاخرة الا دركات وخيره فانه اعلى
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تجلى بذاته على ذاته والصلوة على شواهد صفاته ومظاهر تجلياته
سيما سيد الكونين وجامع المرتبتين وقائد الثقلين وخلاصة
العالمين محمد المصطفى وآله وذريته مرائي صفات العلى ومشاهد
اسماء الحسنى صلوة توازي حق ارشادهم وتكافئ جزاء احسانهم
وارفادهم **وبعد** فان اخص العلوم علم التوحيد واشرف المقامات
نيل اسرار المكاشفات لا تختص بهذه المرتبة الا الا كابر المقربون
ولا ينال هذه البغية الا الشهداء الصالحون اذ صور هذه العلوم
لا يكتب الا بعلم الحق الاول على لوح قلب استقامت سريرته
استوت سيرته وصار مصيقلا بصيقل الايمان والتقوى من
ركون الملتفتات الى هذه الدنيا والركون الى كثائف هذا العالم الادنى
مجلوا بجلاء التبري عن مصاحبة المؤذيات ومجانبة الحشرات
في هذه القرية الوحشاء الظالم اهلها اولئك كتب في قلوبهم الايمان
وايدهم بروح منه دين شد ناصحكر الا عزيان نامدست
بيت وال حلت صورت ملك معنى ركناد قال الله تبارك وتعالى
في كتابه الكريم وكلامه القويم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة
واولوا العلم قائما بالقسط اخبر هو تعالى وتقدس في هذه الكريمة

بشرف العلم وفضيلة العالم حيث وصف نفسه بهذه الصفة وشريفه
كما لا يخفى على الاديب الواقف بالاساليب ان العلماء في الحقيقة هم الموحدين
الذين ينزهون الحق العلي الاعلى عن الخفي والجلي وان التوحيد من اعظم
المقامات الانسان ومراتب ادنياته في العلم والعرفان حيث ينتهي
الى مقارنة الحق الاول ومقربيه وسفرائه وليس وراء التوحيد
مقام يحصل الا التنبيه والتعطل فمن زلت قدمه عن صراط التوحيد
رسما او حالا فقد وقع في الشرك اما من زلت قدمه في الرسم فهو
ابدي الشقاوة لا تنفعه شفاعة الشافعين واما من زلت قدمه في
الحالي فهو من الغافلين النائمين امكن ان يتدارك غفلته ونومه
بالتنبيه والايقاظ والتذكير والارشاد ان لم يكن من اهل العناد و
اصحاب اللداد والعالم بالحقيقة هو الراسخ كما في قوله تعالى والراسخون
في العلم اي الثابت الذي لا يتزلزل ولا يزله التشبيه ولا يزلزله الشكوك
ولقد نشأ في زماننا قوم لا يحصى عددهم غلب عليهم الجهل بقاء
العلم ولعلت بهم الاهواء وبلغوا في انكارهم المشتغلين بالعلوم
والمعارف المعرضين عن الدنيا والزخارف الى غاية فقالوا ان العلم
حجاب اي والله حجاب عظيم يحجب القلب عن الغفلة والجهل والرعونة
والسفاهة وحب الترأس والتسلط في البلاد والتوسط في الشبهات
والاقدام الى المحرمات وقبول المناصب التقرب الى السلاطين و

والتبري

والتبري عن الفقراء والمتزودين والمائلين الى غير ذلك من اضداد
العلم ونتائج الجهل فما اشرفها واعظمها من صفة حبانا الله سبحانه
بالحظ الاوفر كيف لا يفرح بها ولا يفتخر وهو من اجلها الكونين و
نقطع النظر فيهما من الثقلين ولها شرفان عظيمان احدهما ان
الله سبحانه وصف نفسه بها والاخر انه مدح بها خاصته ومقربيه
من انبيائه وملائكته ولم يزل ما انا عليها بان جعلنا ورثة انبيائه
كما قال العلماء ورثة الانبياء فلما ذا نتنقل من اسم سمانا الله تعالى
به ونبيه الى غيره من الالقاب والاسامي دون حجة فهذه يا حبيبي
طائفة من رموز الهية واسرار ربانية ومسائل ذوقية وعلوم
كشفية استبانت على صحائف الاظهار والاعلان تقوم فمن رباه الحق
والتوفيق في هذا الاوان صوريها فيم المواد طبق الاستعداد تلك
اقل العباد وافاض عليه انوار معرفة المبدا والمعاد المتوسل الى جنابه
من كل جناب والعاكف على باب كرمه وجوده من جميع الابواب و
اني قد حققت في سالف الزمان مسئلة التوحيد في كتبنا ورسائلنا
على طريقة نظر البحث حسبما قلت اهتمام العلماء و
الفضلاء واما ذكرت هنا فهو نمط اخر الهي واسلوب جديد فذي
لا يعرف قدره الا عالم او محدي ولا يدرك عودة الا عارف طاهر ذوق
في فصول هي الحقائق دعائم واصول هي بمثالات ولسائر السالكين من

المحصلين وسمتها بايقاظ النائمين وا وصيك الا بتقوى الله ثم
بمجانبة اهل الشغب والعناد وان تضن بهذه الرسالة على من حذرت
ذا نقيبة الامراض النفسانية الناشية من الحسد واللداد وان دث
فطرته الاصلية الاغراض الدنياوية الحاصلة من سوء الاستعداد لا
لاجل التعلق بالمولد واستجلاء نظر الخلق والشهرة في البلاد فلقد
شاهدت من ممارستي اهل العلم ومزاولي الكتب عجايب لا يستنكرها
اي عناد ولداد وانكار واستنكار وفتنة واضلال وجهل واصرار
صدر منهم في باب العلوم ومعرفة الحقايق وخصوصا المعاني التي
اودعناها في هذه الرسالة فان اكثرها بعيدة عن عقول جماهير الخلق
وانما يفهم مبادي دروعها قليل من فحول العلماء وعند ربي في ذلك رجع
فان من اراد ان يفهم الاكمه كيفية ادراك الالوان والعنين حقيقة لذة الوقاع
الوقاع تعسر له ولم يتيسر له بل الكل ميسر لما خلق له واني لاستغفر الله
في تحرير هذه العجالة من الخواطر الشيطانية والواردات النفسانية
والآفات الظلمانية والشكوك الوهمانية ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم ولا يزيد في الاشعار بهذه القواعد العظيمة على الايماء التي لان
العاقل المستبصر يكفيه الاشارة وغير الناقد البصير لا ينتفع بالتصريح
على ان براهين هذه المطالب الشريفة فرقناها في كتابنا الكبير المسمى
بالاسفار الاربعة على وجه يهتدي اليها من وفق لها والعنوان على صحة

بلفظه

الاذواق ومعارف المقامات لا يسع في جلابيب الحروف والكلمات
على ما هو حقه ومن يذق لم يعرف وغرض الاكابر العرفاء من التشويق
والترغيب مجرد التشويق ولنا فيهم اسوة حسنة وقدوة مرضية فاقتفينا
آثارهم في هذه العجالة وتاسينا انوارهم في تحرير هذه الرسالة فان
هؤلاء الاكابر العرفاء وصلوا الى مقام المعرفة والشهود بتركيب المقدمات
والحدود ومحافظة الضوابط القياسية ومراعاة القوانين التصورية
والتصديقية بل بالقلب السليم والفطرة الصافية والتوجه التام و
الخشوع والانابة لقوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم فطرة الله التي
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وهم قد عرفوا
الحق بنور الحق بالعيان ووصلوا اليه لا بقوة الاقدام المحجة والبرهان
بل بخلع النعلين وطرح القدمين ورفض الكونين افمن شرح الله
صدره للاسلام فهو على نور من ربه والله ولي التوفيق والعصمة
والهداية وعليه المعول في البداية والنهاية

از خدا میخواه تا زین نکتها ۞ در نلغزی و رسی در منتها
زانکه از قرآن بسی گمره شدند ۞ زان رسن قومی درون چه شدند
مر رسن را نیست جرمی ای عنود ۞ چون ترا سودای سر بالا نبود
ظلمت از وردان چراغ از نیست را ۞ چون خدا بگماشت پرده خلق را

تمهيد اعلم ايها الناظر في الاسرار الاحدية والسالك الى الله تعالى باقدام

العبودية بان لا شيء في الوجودية ثلث مراتب اولها الوجود الذي
لا يتعلق وجوده بغيره والوجود الذي لا يتقيد بقيد وهو المسمى عند
العرفاء بالهوية الغيبية وغيب الهوية والغيب المطلق والذات الاحدية
وهو ذات الحق تعالى باعتبار اللاتعين والتنزيه الصرف يرجع الى
هذه المرتبة وهو الذي لا اسم له ولا رسم ولا نعت ولا يتعلق به
معرفة وادراك اذ كل ما له اسم ورسم ونعت ويتعلق به معرفة و
ادراك وخبر كان مفهوما من المفهومات الموجودة في العقل والوهم
وهو ليس كذلك فهو الغيب المجهول المطلق واليه الاشارة في قول
بعض المشايخ علاء الدولة السمناني الحمد لله على الايمان بوجوب وجوده
ونزاهته عن ان يكون مقيدا محدودا ولا مطلقا يكون وجوده شرط
القيود وذاته شرط ظهوره ولا مماثل وجوده ليلزم النقص والقصور
والحاجة الى الغير والمخصصات من الفصول والمشخصات تعالى عما يقوله الظالمون والجاحدون
علوا كبيرا والفرق بين القبلين تعالى الله عن ذلك بكون لوجوه اذاته مما لا يخفى على
العقول الكاملة المكملة بنور الهداية والولاية وان كانت الاذهان
العقول النظرية الاستدلالية متحيرة في ذلك كما في المثنوي حيث
انه بحيرت تاى يادمن ؛ اين نه كار رفت نه هم كار دين ؛ آنچه دارد
اين فيلست وقال ؛ خون بخون شستن محالست ومحال ؛ وقال الشيخ
القونوي وان اي الاطلاق الصرف امر سلبي يستلزم سلب الاوصاف

[illegible]

والاحكام

والاحكام والنعوت والتعينات عن كنه ذاته سبحانه وعدم التقيد و
الحصر في وصف واسم او تعين او غير ذلك **المرتبة الثانية** الوجود المتعلق
بغيره وهو الوجود المقيد من العقول والنفوس والافلاك والعناصر
والمركبات من الانسان والدواب والشجر والجماد وسائر الموجودات الخاصة
المرتبة الثالثة هو الوجود المنبسط المطلق الذي ليس عمومه على سبيل
الكلية بل على نحو آخر في كتبنا الالهية فان الوجود محض التحصل و
الفعلية والكلي سواء كان طبيعيا او عقليا يكون مبهما يحتاج في وجوده
وتحصله الى انضمام شيء اليه يحصله ويوجده وهذا الوجود المنبسط
لا ينضبط في وصف خاص ونعت معين من القدم والحدوث والتقدم
والتأخر والكمال والنقص بل هو بحسب ذاته بلا انضمام شيء آخر يكون
متعينا بجميع التعينات الوجودية والتحصلات الخارجية بل الحقائق
الخارجية منبعثة من مراتبه وانحاء تعيناته وتطوراته وهو اصل
العالم وفلك الحياة والحق المخلوق به في عرف الصوفية وحقيقة الحقائق
و يتعدد بتعدد الموجودات فيكون مع القديم قديما ومع الحادث
حادثا ومع المعقول معقولا ومع المحسوس محسوسا وبهذا الاعتبار
يتوهم انه كلي وليس كذلك لما ذكرنا والعبارات عن بيان انبساطه
على الماهيات وشموله للموجودات قاصرة الاشارات على سبيل التمثيل
ولا اشارة الا من قبل الاذن مرة وآثاره ونسبة هذا الوجود الى الموجودات

والتشبيه وبهذا يمتاز عن الوجود الذي لا يدخل تحت التمثيل والاشارة

العالمية نسبة الهيولى الاولى الى الاجسام الشخصية من وجه ونسبة
الكلي الطبيعي كجنس الاجناس الى الانواع والاشخاص المندرجة تحته
من وجه آخر ومن وجوه اخرى عديدة يخالف نسبته لتلك النسبتين
واعلم ان هذا الوجود غير الوجود الانتزاعي الاثباتي العام البديهي
المتصور الذهني الذي هو من المعقولات الثانية والمفهومات الاعتبارية
كما صرح به بعض المشايخ بعد ان صور الوجود بالمعنى الثالث وشبهه
بالمادة حيث قال الوجود مادة الممكن والهيئة الهيئات لمحكم الحق
العليم الحكيم على وفق ما كان في علمه ماهيته والعرض العام هو الضعيف
اللاحق به عند تقيده بقيد الامكان وبعده عن حضرة الوحدة و
اسره في ايدي الكثرة وقد سماه الشيخ المحقق محي الدين الاعرابي في
مواضع كتبه نفس الرحمن والهباء والعنقاء وقد علم مما ذكرنا انه اذا اطلق
في عرفهم الوجود المطلق او الوجود المطلق على الحق الواجب يكون
مرادهم الوجود بالمعنى الاول اي الحقيقة بشرط لا شيء لا هذا المعنى الاخير
ولا يلزم عليهم المفاسد الشنيعة كما لا يخفى على ذوي الافهام ومن هذه
المغالطة والاشتباه نشأ كثير من الضلالات والالحاد والاباحة
والحلول واتصاف الحق بصفات النقايص وصيرورته محل الحوادث
فعلم ان التنزيه الصرف والتقديس المحض كما رآه المحققون من الحكماء
وجمهور الاسلاميين ثابت على الحجة القوية بلا ريب كما قيل من يده

ما قلت

ما قلت لم تخذل بصيرته وليس يدريه الا من له البصر وللاشارة الى
هذه المراتب الثلاثة الوجودية التي ينتزع الوجود العام البديهي من كل
منها بنفسها قال علاء الدولة في حواشيه على الفتوحات المكية
الوجود الحق هو الله تعالى والوجود المطلق فعله والوجود المقيد اثره
وليس المراد من الوجود المطلق العام الانتزاعي بل الانبساطي وذكر
الشيخ العارف صدر الدين القونوي في كتابه المسمى بمفتاح غيب
الجمع والتفصيل من حيث ان الوجود الظاهر المنبسط على اعيان
الممكنات ليس سوى جمعية تلك الحقايق يسمى الوجود العام والتجلي
الساري في حقيقة الممكنات وهذا تسمية الشيء باسم وصفه وفرد وانها
حكما وظهورا للمدارك تقريبا وتفهيما لا ان ذلك اسم مطابق للامر في
نفسه وذكر ايضا في تفسيره لفاتحة الكتاب كل ما يتعلق به المدارك المعنوية
والذهنية الخيالية والحسية جمعا وفرادى فليس بامر زايد على حقايق
مجردة بسيطة تالفت بوجود واحد غير منقسم فظهرت لنفسها لكن
بعضها في الظهور والحكم والحفظة والتعلق تابع للبعض فيسمى المتبوعة
لما ذكرنا من التقدم حقايق وعللا ووسايط بين الحق وتابعيه في
الوجود ويسمى التوابع خواص ولوازم وعوارض وصفات واحوالا
ونسبا ومعلولات ومشروطات ونحو ذلك ومتى اعتبرت هذه
الحقايق مجردة من الوجود دون ارتباط بعضها بالبعض ولم يكن شيء

منها مضافا الى الشيء اصلا خلت عن كل اسم وصفة ونعت وصورة فانها
بالفعل لا بالقوة فثبوت الاسم والنعت والوصف بالتركيب و
البساطة والظهور والخفاء والادراك والمدركية والكلية والجزئية
والتبعية والمتبوعية مما نبهنا عليها وبما لم نذكره للحقائق المجردة انما للحقائق
يصح وبه وباستصحاب الحكم الوجودي عليها اولا لكن من حيث تعين
الوجود بالظهور فيه مرتبة ما وبحسبها او مراتب وبارتباط احكام
بعضها بالبعض وظهور اثارها بالوجود في البعض ثانيا فاعلم ذلك
وذكر في تفسير المذكور ايضا اشارة الى المرتبة الاولى الوجوبية بقوله
هو امر معقول يرى اثره ولا يشهد عينه كما نبه عليه شيخنا رضي الله
عنه في بيت له والجمع حال لا وجود لعينه وله التحكم ليس للاحاد
ارشاد لما تحققت وتصورت المراتب الثلاث من الوجود فاعلم
ان منشا من الوجود الحق الوجوبي الذي لا وصف له ولا نعت له الا صحيح
ذاته المندمج فيه جميع الكمالات والنعوت الجلالية والجمالية باحدية
الجمع وضرورية هو الوجود المنبسط الذي يقال له العماء ومرتبة الحق و
حقيقة الحقايق وحضرة احدية الجمع وقد تسمى بالوحدية ايضا و
وحدة نحو اخر من الوحدة سوى الوحدات العددية او النوعية او الجنسية
لانها مصححة جميع الوحدات ومنشا كافة التعينات وهذا الوجود
الواحد البسيط المنبسط على هياكل الممكنات اول ما صدر عن الحق الاول

وبهذا يصح قول الحكماء ان الواحد لا يصدر عنه الا الواحد فالوجود الحق
من حيث انه الله الاسم المتضمن لساير الاسماء يؤثر في الوجود الشامل
المطلق باعتبار ذاته الجمعية وباعتبار خصوصيات اسمائه الحسنى
المندمجة في الاسم الله الموسوم عندهم بالقدم الجامع واما ه
الا انه يؤثر في الوجودات الخاصة التي لا تزيد على الوجود المطلق
فالمناسبة بين الحق والخلق انما تثبت بهذا الاعتبار وكما ان الذات
الواجبية باعتبار ذاته منزه عن الاوصاف والاعتبارات الكونية
كذلك الاسم الله باعتبار جامعيته جميع الاسماء والصفات مع
احدية العين الجامعة وهذه الاحدية كما علمت منشا كثرة الوجودات
الخاصة باعتبار كثرة ونسبة توحد فيها وواحدية حقيقية بوجه
في الاشياء والا لم يكن بين المؤثر والمتاثر مناسبة فيسد باب التاثير
والايجاد استعارات اعلم ان لفظ الوجود يطلق بالاشتراك على معان
الاول ذات الشيء وحقيقته وهو الذي يطرده العدم وينافيه في الوجود
بهذا المعنى يطلق على الواجب تعالى والثاني المعنى المصدري
الانتزاعي المعبر في لغة الفارسي بهستي وبودن والوجود بهذا المعنى
لا يطلقه احد من العقلاء على ذات اصلا فضلا عن ان يطلق على
ذاته تعالى الذي هو سيد الذوات واصل الوجودات وهذا المعنى
من الوجود يقال لكون الشيء والحصول والوجود الاثباتي كما في قولك

ادمرحا موجود شاعراً وزيد هو كاتب وهذا الوجود الذي كثيراً
ما يجتمع مع العدم باختلاف الجهة كما يقول زيد موجود في
البيت معدوم في السوق بل العدم يعرض لنفسه فان هذا المعنى
من الوجود لا وجود له في الخارج مع تقييده بالخارج والثالث بمعنى
الوجدان والنيل واطلاق الوجود بالمعنى الاول على الواجب تعالى
حقيقة عند الحكماء وكثير من المشايخ الموحدين كالشيخين محيي
الدين الاعرابي وصدر الدين القونوي وصاحب العروة وجماعة
على الفتوحات كما مر من قوله الوجود الحق هو الله وذكر القونوي
في النصوص بقوله بل وجود بحت وقولنا وجود هو للتفهيم لا ان
ذلك اسم حقيقي له بل اسمه عين صفته وصفته عين ذاته وكماله
نفس وجوده الذاتي الثابت له من نفسه لا من ما سواه وربما يطلق
الشيخ وتلميذه الوجود المطلق على الوجود الظلي الذي يسمى عندهم
بالهباء والعماء ومرتبة الجمعية يعني الوجود المطلق المنبسط لا الذي
الاحدية الواجبية وكثيراً ما يطلق صاحب العروة الوجود المطلق
على الواجب تعالى واني اظن ان مخالفته مع الشيخ العربي انما نشأ
عن هذا الاشتراك في اللفظ الموجب للاشتباه والمغالطة وقد
اطلق العطار الوجود واراد به الذات الواجبية كما قال في اسرار
الفارسية آن خدا وندي كه هستي ذات اوست حمله اشيا مصحف

آيات اوست وقال العارف القيومي جلال الدين رومي في مثنوي
ما عدمهائيم وهستيها نما تو وجود مطلق وهستي ما بي ترا
علقتي جز اضطراب بود تا نداني نور خورشيد وجود واما
عند علماء الظاهر واهل الكلام فلما كان اطلاق الاسماء عليه تعالى
بالتوقيف الشرعي فلا شبهة في عدم جواز اطلاق الوجود عندهم

شبهة

بل الموجود ايضاً على ذاته تسمية واما توصيفاً ففيه خلاف والخلاف
المحقق بينهم في ان كل صفة او فعل لا يوجب نقصاً عليه ولا
نقصاً للواجبية فهل يجوز اطلاقه عليه تعالى قيل لا وقيل نعم
وهو الصواب لاشتراك مفهوم الوجود والشيئية وغيرهما بين
الواجب والممكنات واما ما ذكره صاحب العروة من ان عالم
الذات الواجبية وراء الوجود والعدم بل هو محيط بهما جميعاً
فالظاهر انه لم يرد به حقيقة الوجود بل مفهومها الانتزاعي ومع هذا
منعه عن اطلاق الوجود عليه تعالى وتكثيره الطائفة الوجودية
من الحكماء والعرفاء اذ لا شبهة في ان مفهوم الوجود الانتزاعي
ليس عين الذات الاحدية فلا يصح حمله عليها هو هو لكن حمل كلام
اولئك المحققين على الوجه الذي حمله وشنع عليه تكثيرهم بعيد
عن الصواب وكيف وجميع المحققين من اكابر الحكماء والصوفية
قائلون بتنزيه ذاته تعالى عن وصمة النقص وامتناع ادراك ذاته

الاحدية لاحدها لكنه لا بطريق خاص العرفاء هواد الناطق بالحق
عند فناء السالك واستهلاكه فيه ومن تامل في كتبهم وتدبرهم
تاملا شافيا يتضح له بيانه لا خلاف لاحد من العرفاء والمشايخ ولا
مخالفة بينهم في انه تعالى حقيقة الوجود ويظهر لمن ان اعتراضات
بعض المتاخرين عليهم خصوصا الشيخ علاء الدولة السمناني في
حواشيه على الفتوحات على الشيخ العربي وتلميذه المحقق القونوي
يرجع الى مناقشات لفظية او اختلافات اصطلاحية مع التوافق
في الاصول والمقاصد عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل الى
ذاك الجمال يشير فمن جملة اعتراضاته على صاحب الفتوحات انه ذكر
فيها ان الوجود هو الحق المنعوت بكل نعت فكتب المحشي عليه
كلا مر ان الوجود الحق تعالى لا الوجود المطلق ولا المقيد كما ذكر
فظاهر ان الشيخ قائل بهذا والمناقشة يرجع الى اللفظ فاما ان يكون
مراد الشيخ من الوجود في قوله الوجود المنبسط على الهيات
فيصدق عليه انه المنعوت بكل نعت كما مر سابقا في بيان المرتبة
الثالثة من الوجود ومدح التعميم بكل نعت اذ من جملة نعوت
المحدثات فانه في القديم قديم وفي الحدث محدث ولا شبهة
لاحد من العرفاء في تنزهه تعالى عن صفات المحدثات وسمات
الكائنات واما ان يكون مراده منه الوجود البحت الواجبي فاما ان يريد

بقوله

بقوله المنعوت بكل نعت انه منعوت بكل نعت كمالي وصفة واجبية فان
ذاته تعالى باعتبار ذاته لا بانضمام صفة او حيثية اخرى مغير ذاته
مصداق لجميع اوصافه العينية ونعوته الذاتية الواجبية او يريد به
المنعوت بكل نعت مطلقا اعم من ان تكون باعتبار ذاته او باعتبار
مظاهر اسمائه وصفاته التي هي من مراتب تنزلاته ومنازل شئوناته
من جهة سعة رحمته ونفوذ كرمه وجوده وبسط لطفه ورافته وبما
قال في موضع آخر من كتابه ليس في نفس الامر الا وجود الحق فكتب
المحشي في الحاشية بلى ولكن ظهور من فيض وجوده بوجود مظاهره
فللفيض وجود مطلق وللظاهر وجود مقيد وللفيض وجود حق
وقال في موضع آخر منه انا الحق هو الوجود ليس الا فكتب المحشي بلى
هو الوجود الحق والفعل وجود مطلق والاثر وجود مقيد وقال
ايضا فيه بعد تحقيق الوجود المستفاد وعدمية الماهيات الممكنة
لقد نبهتك على امر عظيم ان تنبهت له وعقلته فهو عين كل شيء في
الظهور ما هو عين الاشياء في ذواتها سبحانه وتعالى بل هو هو
والاشياء اشياء وكتب المحشي في حاشيته بلى اصبت فكن ثابتا
على هذا القول الى غير ذلك من المخالفات التي يرجع جميعها الى تخالف
الاصطلاحات وتباين العادات في التصريح والتعريض والاوفق
تامل في حواشيه التي كتبها على الفتوحات تيقن بعدم الخلاف في

التوحيد بين الشيخين محي الدين وعلاء الدين ولما كان طور التوحيد
الذي هو لخواص اهل الله امرا وراء طور العقل تحصيل التعبير عنه
بما يوافق مرسومات اسماع ارباب النظر والفكر الرسمي فلهذا وقع في
ظواهر كلامهم اختلافات ومثل هذه الاختلافات بحسب الظاهر
قد وقع في الكتاب الالهي والاحاديث وجعل كل طائفة مستند اعتقادهم
للكتاب والاحاديث مع تخالف عقايدهم واذانهم ولكل جعلنا شرعة
ومنهاجا وقال الشيخ عبد الله الانصاري في كتاب منازل السايرين
الاشارة الى توحيد الخواص واما التوحيد الثالث فهو توحيد
اختصه الله لنفسه واستحقه بقدرته ولاح منه لايحا الى اسرار
طايفة من صفوته واخرسهم عن نعته فقطعت الاشارة على السنة
علماء هذا الطريق وان ذخرفوا له نعوتا بعباراتهم وفصلوا تفصيلا
فان ذلك التوحيد يزيد الرياضة وادباب الاحوال وله قصد
اهل التعظيم واياه عنى المتكلمون في عين الجمع وعليه يصطلم الاشارات
ثم لم ينطق عنه لسان ولم يشر اليه عبارة فان التوحيد وراء ما
يشير اليه مكون وتداجبت عن توحيد الصوفية هذا القواف
ما وحد الواحد من واحد اذ كل من وحده جاحد توحيد من
ينطق عن نعته عارية ابطلها الواحد توحيده اياه توحيده
ونعت من ينعته لاحد اعلام اتفقت العرفاء المحققون من

الى ان هذا والصفة نفس
والظاهرية والى هذا
التوحيد كمحض اهل

اكابر الصوفية على ان الوجود حقيقة واحدة هي عين الحق وليس لغيره
من المهيات وجود حقيقي انما موجوديتها بانصباغها بنور
الوجود وانتزاعها ومعقوليتها من نحو من انحاء ظهور الوجود
وطور من اطوار تجليه والظاهر في جميع المظاهر والمهيات والمشهود
في كل الشؤن والتعينات ليس الا حقيقة الوجود بحسب تفاوت
مظاهره وتعدد شؤنه وتكثر حيثياته والمهية الممكنة كالامكان
والشيئية وساير المفهومات من المعقولات لا من الذوات
العينية التي يتعلق بها الشهود وتباشر منها العقول والحواس
بل الممكنات باطلة الذوات هالكة المهيات ازلا وابدا والموجود
هو ذات الحق دائما وسرمدا فالتوحيد للوجود والكثرة والتميز
للعلم اذ قد يفهم من واحد من الوجوه معاني كثيرة ومفهومات
عديدة فالوجود ظهور لذاته في ذاته وهو مسمى بغيب الغيوب
وبذاته لفعله نور به سموات الارواح واراضي الاشباح وهو عبارة
عن الوجود المسمى باسم النور ويظهر به احكام المهيات والاعيان
الثابتة وبسبب تباين المهيات الغير المجعولة وتخالفها من دون
تعلق جعل وتاثير اتصفت حقيقة الوجود بصفة التعدد والكثرة
بالعرض لا بالذات فينعكس احكام كل من المهية والوجود الى الاخر
وصار كل منهما مرآة لظهور احكام الاخر فيه بلا تعدد وتكرار من

التجلي الوجودي كما في قوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر و
انما التعدد والتكرر في المظاهر والمرايا لا في التجلي والفعل و
فعله تعالى نور واحد يظهر به الماهيات بلا جعل وتأثير وفيها و
بتعدد الماهيات يتكثر ذلك النور كتكثر نور الشمس بتعدد
المشبكات والرواشن واتفق اهل الكشف والشهود على ان الماهيات
الامكانية امور عدمية لا بمعنى ان مفهوم السلب المقارن معتبر
ومادونها داخل فيها ولا بمعنى انها من الاعتبارات الذهنية
والمعقولات الثانية كالفوقية والاضافيات والكلية والجزئية
والنوعية وغيرها من المعاني المنطقية بل بمعنى انها غير موجودة
لا في مرتبة ذاتها بذاتها التي هي نحو من انحاء نفس الامر كما قرره
اصحاب العلوم النظرية ولا في نفس الامر ايضا لان ما لا يكون
موجودا ولا موجودا في نفسه لا يمكن ان يصير موجودا باثر الغير
وافاضته بل الموجود هو الوجود واطواره وشئونه وانحاؤه و
الماهيات موجوديتها انما هي بالعرض بواسطة تعلقها بمراتب الوجود
وتطوره باطوارها كما قيل ٥ وجود اندر كمال خويش ساريست
تعينها امور اعتباريست ٥ امور اعتباري نيست موجود
عدد بسيار ويك چيزست معدود ٥ من وتو عارض ذات وجوديم
مشبكهاى مشكوة وجوديم ٥ فحقائق الممكنات باقية على عدميتها

ازلا وابدا واستفادتها الوجود ليس على وجه يصير الوجود الحقيقي
صفة لها نعم هي تصير مظاهر ومرايا للوجود الحقيقي بسبب
اجتماعها من تضاعيف الامكانات الحاصلة لها من تنزلات
الوجود مع بقائها على عدميتها الذاتية ٥ سيه روئى ز ممكن در
دو عالم ٥ جدا هرگز نشد والله اعلم ٥ وفي كلام المحققين اشارات
واضحة بل تصريحات لطيفة بعدمية الممكنات ازلا وابدا و
كفاك في هذا الامر قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقال
الشيخ العالم محمد الغزالي في مشكوة الانوار في وصف العارفين كلاما
هذه العبارة فرأوا بالمشاهدة العيانية ان لا موجود الا الله وان
كل شيء هالك الا وجهه لا انه يصير هالكا في وقت من الاوقات
بل هو هالك ازلا وابدا لا يتصور الا كذلك فان كل شيء اذا اعتبر
ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض واذا اعتبر من الوجه الذي
يسري اليه الوجود من الاول الحق رأى موجودا لا في ذاته لكن من
الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود وجه الله فقط فلكل شيء
وجهان وجه الى نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم
وباعتبار وجه ربه موجود فاذن لا موجود الا الله ووجهه فاذن كل
شيء هالك الا وجهه ازلا وابدا وان اردت تحقيق عدمية
الممكنات فليطلب من كتاب الاسفار الاربعة وكتب العرفاء لتحقيق

الاعرابي وتلميذه صدر الدين القونوي مشحونة بذكره قال القونوي
في النفحات وعدميتها يعني الممكنات عبارة عن استهلاك تعدد
الشئون في الوحدة الصرفة وهذه حالة معلومية الشئون وعكوفها التي
ظهور الامر في كل شيء بحسبه لا بحسب الامر وهذه المجازات العظمى
وبناء معتقداتهم ومذاهبهم على المشاهدة والعيان لا على الدليل
والبرهان وقالوا نحن اذا قابلنا وطبقنا عقايدنا على ميزان القرآن
والحديث وجدناها منطبقة على ظواهرهما لولا تهما من دون
تامل فعلمنا انها الحق بلا شبهة وريب ولما كانت تاويلات
المتكلمين والظاهريين من العلماء في القرآن والحديث مخالفة
لمكاشفاتنا المتكررة الحقة الحاصلة لنا من الرياضات الشرعية
والمجاهدات الدينية من الصيام والقيام والزهد الحقيقي والورع
عن محارم الله تعالى والتقوى طرحناها وحملنا الايات والاحاديث
على مدلولها الظاهري ومفهومها الاول كما هو المعتبر عند ائمة
الحديث وعلماء الاصول والفقه لا على وجه يستلزم التشبيه و
النقص والتجسيم في الحق تعالى وصفاته الالهية قال بعض العلماء المتفقه
اجرا الاخبار على هيأتها من غير تاويل ولا تعطيل اقول مراده من
التاويل حمل الكلام على غير معناه الموضوع له والتعطيل هو التوقف في
قبول ذلك المعنى اللغوي كما في القرآن ۞ [illegible]

نطق بتشبيه وحاشى تعطيل ۞ ومنهم من كفر الماقلين في الايات و
الاخبار واكثر المحققين بل جميعهم قائلون بان ظواهر معاني القرآن
والحديث حق وصدق وان كانت لها مفهومات وتاويلات آخر
غير ما هو الظاهر منها كما وقع في كلامه صلى الله عليه وآله ان
للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ولو لم تكن الآيات والاخبار
محمولة على ظواهرها ومفهوماتها الاولى من دون تجسيم و
تشبيه فلا فائدة في نزولها وورودها على عموم الخلق وكافة
الناس بل لكان نزولها على ذلك التقدير في باب فهوم
متشابهات والحديث على ثلث طبقة الطبقة الاولى الراسخون
في العلم وهم الذين حملوها على مفهومها الاول من دون
مضرة يلزم عليهم من تجويز النقص عليه تعالى والطبقة
الثانية وهم الظاهريون من اهل العلم والتدقيق المأولون
تلك الآيات والاحاديث على وجه يطابق قوانينهم النظرية
ومعتقداتهم البحثية حيث لا يتعدون الى عن طور العقل الفكري
والعلم النظري والطبقة الثالثة وهم الحنابلة والمجسمة من اهل
اللغة والحديث الذين لم تبعد طورهم عن عالم الاجسام فتوغلوا
فيها ولم يرتق نظرهم عن هذه الهاوية المظلمة فتشابه عليهم الواجب
والممكن والقديم والحديث فذهبوا الى ان الههم جسم او جسماني

تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً وكلا الفريقين اى الجبرية
والمأولة ينظرون فى الظاهر بالعين العوراء لكن الجبرية باليسرى
والمأولة باليمنى وكلهما امور ومحال وانما الكمل الراسخ فى العلم
والشهود فيعلم ان كل ممكن زوج تركيبى ذو وجهين فبالعين
اليمنى ينظر الى الحق ويعلم انه القابض على كل شىء والظاهر فى
كل شىء فيعود اليه كل خير وكمال وفضيلة وبالعين اليسرى ينظر
الى الخلق ويعلم ان ليس لها حول وقوة الا بالله العلى العظيم ولا
شأن لها الا قابلية الشؤن والتجليات وهى فى ذواتها اعدام
فينتهى اليها كل نقص وآفة وفتور تا نلاو فى خلق ذات الممكن
عن لون الوجود وشفافيتها واشراق نور الحق عليها ونفوذ
الوجود فى ذاتها رق الزجاج ورقت الخمر وتشابها وتشاكل الامر
فكانه خمر ولا قدح وكانه قدح ولا خمر فمن جملة تلك الآيات
قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم والله
بكل شىء محيط واحاط بالديهم وهو الله فى السموات والارض
هو الاول والآخر والظاهر والباطن كل شىء هالك الا وجهه وهو
معكم اينما كنتم ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن اقرب
اليه منكم ولكن لا تبصرون وامثال هذه الآيات فى القرآن
كثيرة بل ومثل قوله تعالى ولله ما فى السموات وما فى الارض

ولله ملك السموات والارض الا له الخلق والامر ولله المشرق و
المغرب يرجع الى الآيات السابقة فى شمولها على معنى التوحيد الخاصى
الخاصى وكل من طريقى الغالى والمقصر اى المأول والجبرية انحراف
عن الاعتدال الذى هو طريق الراسخين فى العلم والمعرفة وتخلل
فاء السببية بين شطرى آلاية فى قوله تعالى ولله المشرق و
المغرب فاينما تولوا فثم وجه الله دليل واضح على حمل سابقها على
معنى التوحيد والا فلا وجه للسببية فتأمل واما الاحاديث التى
من هذا الباب فاكثر من ان يحصى على ان طريقهم الكشف و
الوجدان كما علمت لا الحجة والبيان والبحث والمجادلة عندهم
مذمومة ويسمون الكشف والشهود بالبصيرة والبينة على
بصيرة انا ومن اتبعنى قل انى على بينة من ربى **تذييل**
ما من شىء فى العالم الا واصله من حقيقة الحقية وفيه سر ربانى وكثير
ما وصف الحق نفسه بما يقوم الدليل العقلى على نزاهته عن ذلك
فما قبل الا اصحاب القوة الالهية التى هى وراء طور العقل يعرف
ذلك كما يفهم العامة ويعلم ما سبب قبولهم لهذا الوصف مع نزاهته
فهذا خارج عن مدارك العقول بافكارها ومشاعر النفوس
بانظارها فالعامة فى مقام التشبيه امداد العقلاء فى مقام التنزيه
خاص تجمع الله لاهله وخاصته بين الطريقين وشرفهم بالجمع بين

المخبتين فمن لم يعرف هكذا فما قدر الله حق قدره فمن لم يقبل بان
الله ليس كمثله شيء فهو مشبه وان لم يقبل بان الله خلق آدم بيده
فما قدر الله حق قدره وابن التجرد من التجسم وابن الانقسام من عدم
الانقسام وابن التوحد من التعدد وهذا لا يعلمه الا الراسخون
تنبيه واعلم ان الشيء اذا كان وجوده مجردا نوريا يكون
عالما بذاته لظهور ذاته لذاته لان خفاء الشيء اما بسبب ضعف
نوريته وقلة وجوده ونقص جوهره كالهيولى الجسمية او بسبب
اختفاء وجوده بما يكتنفه من الملبوسات كالاشخاص الجسمية
وليس وجود المفارق كذلك كما ينقل عن النبي عليه وآله الصلوة
انه قال انا النذير العريان واذا كان الشيء عالما بذاته ويكون
ذاته سببا لشيء آخر يكون لا محالة عالما بذلك الشيء اذ العلم
التام بالعلة الكاملة يوجب العلم التام بمعلولها والعلم العقلي
بالشيء يقتضي اتحاد العاقل بالمعقول كما عليه كثير من الحكماء
المشائين الذين صاحبهم ومقدمهم فرفوريوس الحكيم وهو
اعظم تلامذة امام المشائين ارسطاطاليس ومن شنع عليه في
كتابه الذي عمله في باب العقل والمعقول ما وصل الى مقامه وما
ادرك نحو الاتحاد الذي هو من طرف العاقلية والمعقولية على انه
رجع رئيس الفلاسفة عن القدح في مذهبه في كتابه المسمى بالمبدأ

والمعاد وتصدى لاثبات ما ناقض فيه في سائر كتبه كالشفاء والنجاة و
الاشارات وغيرها وتحقيق الحق فيه يقتضي مجالا اوسع من هذا المقام
وقد بسط الشيخ المحقق صدر الدين القونوي الكلام فيه في كتبه كالنصوص
والنفحات الالهية وخلاصة ما ذكره ان حصول العلم بالشيء وكمال
معرفته يتوقف على الاتحاد بذلك المعلوم والاتحاد بالشيء موقوف
على زوال كل ما يتميز به العالم عن المعلوم فانه ما في الوجود شيء الا
وبينه وبين كل شيء امر حقيقي الهي يقتضي الاشتراك دون مغايرة
وامر اخر يقتضي تميز ذلك الشيء عما سواه وذلك من حيث
الصفات او المواطن والنشآت فاعلم ان جهل الانسان بوجود ما
عليه حكم ما بها يتميز ان الى آخر تحقيقاته ثم قال فان قلت ما سبب
جهل الشيء بنفسه مع عدم امتيازه عنه فنقول اعلم ان تجلي الحق
سار في كل شيء وليس متعينا في كل شيء لا يشار اليه باشارة عقلية
او حسية وهو المعية فكل شيء فانه من حيث ذلك السر الذي هو
سبب وجوده والقيم له غير متناه ولا مقيد باسم او وصف او مرتبة
او غير ذلك وذلك السر من حيث تعينه عقلا او حسا جمعا وفرادى
يلحقه احكام ولوازم واعتبارات تقتضيها لذاته بشرط او شروط فاللوازم
والاحكام المختصة بكل معين هي الحائلة من معرفة حقيقته بدون
تلك اللوازم فمتى غلب حكم الحقيقة من حيث حقيقتها احكام لوازمها

عرفت منهما متعينة من حيث الامتياز الحقيقي الثابت بينهما وبين
الحق فالمعرفة بمرتبة الحق واحكامها يحصل للانسان بمعرفة نسب
مرتبته من مرتبة الحق والاحكام بالاحكام فافهم هذا فانه من ادق العلوم
واغمضها واجلها قدرا واشرفها والله المرشد وهم وتنبيه ان
بعض الجهلة من المتصوفة الذين بسلطان الوهم عليهم سلطان
توهموا لضعف عقولهم ووهن عقيدتهم ان لا تحقق بالفعل للذات
الاحدية المعوتة بالسنة العرفاء بمقام الاحدية وغيب الهوية
وغيب الغيوب بدون مظاهره ومجاليه بل المتحقق هو عالم الصورة
بقواها الروحانية والحسية والله هو الظاهر المجموع لا غير وهو
حقيقة الانسان الكبير الذي هذا الانسان الصغير نسخته وانموذج
منه وذلك القول كفر فضيح وزندقة صرفة لا يتفوه به من له ادنى
مرتبة من العقل ونسب هذا التشنيع الى اكابر الصوفية افتراء محض
وافك عظيم تعالى عن اسرارهم وقلوبهم ولا يبعد ان يكون ظن
الجهلة في هؤلاء الاكابر ان كثيرا ما يطلقون الوجود على المعنى الظلي الكوني
فيحملونه على مراتب العينيات والوجودات الخاصة فيجري عليها احكاما
من القبيل قول الشيخ في الفتوحات الالهية كلما دخل في الوجود
فهو متناه وما قال القونوي في تفسير الفاتحة والعين الخارج
عن دائرة الوجود والجعل وقال في مفتاح الغيب والوجود تجلي من تجليات

غيب الهوية وحال معين كباقي الاحوال الذاتية وذكر الشيخ علاء
الدولة في رسالة الشارد والوارد لان فوقها يعني فوق الطبيعة عالم
العدم المحض وظلمة العدم محيطة بنور الوجود المحدث وفيها اي في
الظلمات توجد عين الحيوة وهذا القول منه اشارة الى ما قاله في
مدارج المعارج واعلم ان فوق عالم الحيوة عالم الوجود وفوق عالم
الوجود عالم الملك الودود ولا نهاية لعالمه انتهى فقد ظهر انه قد
يكون مرادهم من العدم ما يقابل هذا النحو من الوجود الظلي وان لم يكن
هذا الاطلاق على سبيل الحقيقة بل على المجاز لان الوجود في عرفهم
ما يكون مبدأ الآثار ومنشأ الاكوان ويمكن ايضا ان يكون مرادهم
من الوجود ما يكون معلوما ومخبرا عنه وكل ما لا يكون للعقل
سبيل الى معرفة ذاته وكنه هويته فغير موجود بهذا المعنى فالحق
الحقيقة بشرط لا وغيب الغيوب بحيث لا يكون لاحد من الناس
قدم في شهوده وادراكه الا من جهة آثاره ومظاهره فيصدق
عليه انه غير موجود لغيره على ان الوجود قد يطلق على المأخوذ من
الوجدان وهو ايضا مرجعه الى الوجود الظلي فيكون مسلوبا عنه
تعالى اذ لا يمكن نيله وظهوره لاحد الا من جهة تعيناته ومظاهره
لكن تحققه بذاته وكماله بنفسه ووجوده بالفعل لا بالقوة وبالوجوب
لا بالامكان فانه يظهر بذاته على انه في مرتبة الاحدية الصرفة

المعبر عنها بالكنز المخفي فظهر بعد هذا الظهور ظهورا آخر على غيره
بل على ذاته ايضا وهو الظهور ظهورا بعد ظهور في المظاهر المعبر عنها
بقوله فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق وهذا الظهور الثاني مع
مشاهدة الذات القيومية الالهية في المرائي العقلية والنفسية و
الحسية وذلك كل شاهد وعارف ومشعر كل ذكي وبليد وعالم وجاهل
على حسب درجات الظهور وخفاء وطبقات الادراك كمالا ونقصا
والتكثر في الظهورات والتفاوت في الشؤونات لا تقدح وحدة الذات
ولا يثلم الكمال الواجبي ولا تغيير به الوجود الثابت الازلي عما كان عليه
الآن ايضا كما كان حيث كان ولم يكن معه شيء كما قيل ٥ وما الوجه
الا واحد غير انه * اذا انت عددت المرايا تعددا ايقاظ لا تحجبن
عن فطانتك ولا يحجبن عن بصيرتك ان الوجود مرادف للنور ومنها
يرجع الى الظهور ومرتبته والظلمة عبارة عن عدم النور والنور هو
الوجود كما علمت فالعدم مرادف للظلمة فدرجات العدم كدرجات
الظلمة في كونه قد يكون حقيقيا وقد يكون اضافيا فالعدم المحض
يرجع الى ممتنع الوجود وهو الظلمة الحقيقية التي لا خبر عنه ولا حكم عليه
الا بحسب اللفظ او الفرض التقديري والعدمات الاضافية عبارة
عن قصورات الوجود ودرجات نقصانات الفعلية والظهور كما
ظلالات النور الشمسي الحسي الحاصلة من شدة تراكم الحجب ورقتها

كالسحاب والماء والارض فكما ان الفرق بين الظلمة الشديدة والظل انما
هو بان الاول عدم اصل النور والثاني عدم تماميته وكمالها فكذا الفرق
بين العدم المحض الذي لا حظ له من سنخ الوجود وهو الذي يقال له
الممتنع والعدم الاضافي الذي هو عبارة عن نقايص الممكنات و
قصورات الذوات الفاقرة العقلية والنفسية والحسية وفقد الكمال
على حسب مراتب بعدها عن ينبوع الوجود ومبدا العقلية والفيض
والنور قال الشيخ المحقق محمد الغزالي في مشكوة الانوار في تفسير قوله
تعالى الله نور السموات والارض الآية مهما عرفت ان النور يرجع
الى الظهور والاظهار ومراتبه فاعلم انه لا ظلمة اشد من كتم العدم
لان المظلم سمي مظلما لانه ليس للابصار اليه وصول اذ ليس بموجود
للبصر مع انه موجود في نفسه فالذي ليس بموجود لا لغيره ولا لنفسه
كيف لا يستحق ان يكون هو الغاية في الظلمة وفي مقابلته الوجود
فهو الظاهر فان الشيء ما لم يظهر لغيره فالوجود هو الله تعالى انتهى
اقول فالوجود الحقيقي ظاهر بذاته بجميع انحاء الظهور ويظهر لغيره و
به يظهر الماهيات وله ومعه وفيه ومنه ولولا ظهوره في ذوات الاكوان
واظهاره لنفسه بالذات ولها بالعرض لما كانت موجودة بوجه من
الوجوه بل كانت باقية في حجاب العدم وظلمة الاختفاء اذ قد علمت انها
بحسب ذواتها وحدود انفسها معراة عن الوجود والظهور فالوجود

يطرا عليها من غيرها فهي في حد ذاتها نفسها اما لكان الذوات بالملابسات
الحقائق ازلا وابدا في وقت من الاوقات ومرتبة من المراتب كما قيل في
الفرسية ٥ دوئی نمکن در دو عالم جدا هرکز نشد ٥ والله اعلم ثم شرع
لقوله عليه السلام الفقر سواد الوجه في الدارين فظهور الوجود الحقيقي في
الوحدة الحقة بذاته في كل مرتبة من الاكوان وتنزله الى كل شان من
الشئون يوجب ظهور مرتبة من مراتب الكمالات وبروز عين من
الاعيان الثابتة وكلما كانت مراتب النزول اكثر وعن منبع الوجود
ابعد كان ظهور الاعدام والظلمات بصفة الوجود ونعت الظهور
واحتجاب الوجود باعيان المظاهر واختفاؤه بصور المجالي والغشاء عنه
بصبغ الاكوان اكثر فكل بروز من البروزات يوجب تنزلا عن مرتبة
الكمال وتواضعا عن غاية الرفعة والعظمة وشدة النورية وقوة
الوجود وكل مرتبة من المراتب يكون الخفاء والنزول فيها اكثر كان
ظهورها على المدارك الضعيفة اشد واقوى والحال على عكس ذلك
بالقياس الى المدارك كمراتب انوار الشمس بالقياس الى اعين الخفافيش
وغيرها ولهذا يكون ادراك الاجسام التي في غاية نقصان نيل الوجود
اسهل على الناس من ادراك المفارقات النورية التي في غاية قوة
الوجود وشدة النورية لا اشد منها في الوجود النورية الا باريها
تعبيره عما هو نور الانوار ووجود الموجودات حيث ان لشدة ظهوره

وقوة

وقوة ظهوره لا يدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولا يحيط به العقول والافهام
بل يخفى عنه الحواس والاوهام ويتنزه عنه العقول والافهام فالمدارك
الضعيفة يدرك الموجودات النازلة المصحوبة بالاعدام والظلمات المختفية
المحجوبة بالاكوان المنصبغة بصبغ الهيئات المختلفة والمعاني المتضادة
وهي في حقيقتها متحدة المعنى وانما التفاوت بحسب العلو والدنو والخفاء
والظهور والكمال والنقص وليس بين الموجودات اختلاف بذواتها
الا بما ذكر من التقدم والتاخر والظهور والخفاء لكن يلزمها بحسب كل
مرتبة من المراتب اوصاف معينة ونعوت خاصة امكانية هي المسماة عند
الحكماء بالماهيات وعند ارباب الكشف والشهود بالاعيان الثابتة نظيرة
لما مرات انوار الشمس التي هي مثال الله ذو السطوع والسلاطة في
المحسوسات كيفما انصبغت بصبغ الوان الزجاجات وفي انفسها لا
لون لها ولا تفاوت فيها الا الشدة اللمعان ونقصها فمن توقف مع
الزجاجات والوانها واحتجب بها عن النور الحقيقي ومراتبه الحقيقية
التنزلية المختفي النور عنه كمن ذهب الى ان الماهيات امور حقيقية متاصلة
في الوجود والوجود امر انتزاعي ومن شاهد الوان النور وعرف انها
من الزجاجات ولا لون للنور في نفسه ظهر له النور وعرف ان مرتبة
هي التي ظهرت في صورة الاعيان على صبغ استعداداتها اكثر ذهب
الى ان مراتب الموجودات هي لمعات للوجود الحق الاحدي وظهورات

للنور الصرف الوجوبي ظهرت في صور الاعيان واختفت بصنع الهيئات
الامكانية واحتجبت بالصور الخلقية عن الهوية الالهية الوجوبية و
نعم ما قال الشيخ الشبستري في نظمه الفارسي مناسبا لهذه المعاني
جهان جمله فروغ روی او دان * حق اندر وی ز پیدایی است پنهان *
بود نور خرد در ذات انور * بسان چشم سر در چشمه خور * اگر خواهی
که بینی چشمه خور * ترا حاجت فتد با جسم دیگر * چو چشم سر ندارد
طاقت وتاب * توان خورشید تابان دید در آب * چو از وی
روشنی کمتر نماید * در ادراک تو حالی می فزاید * فقد علم ما ذكر
ان الممكنات سواء كانت روحانيات لطيفة او جسمانيات كثيفة
حجب لذاته تعالى كما ورد في الحديث ان لله سبعين حجاب من نور
وظلمة لو كشفت لاحرقت سبحات وجهه كل ما انتهى اليه نظره وعلم ايضا
ان تلك الحجب مظاهر لذاته من وجه ومخفي لها من وجه كما يظهر من النقل
نور الشمس والسحاب ونعم ما قال بعض الاعلام في هذا المقام * اى
هستی تو جمله بی هستی تو محو * هست یکی ظهور آن چند تو محو *
خورشید رخت بعکس خورشید جهان * در ابر نهان باشد وپیدا در صحو *
وقال الغزالي في مشكوة الانوار اذ الطريق الظاهر معرفة الاشياء با
لاضداد فما لا ضد له ولا تغير له تتشابه الاحوال في الشهادة له فلا
يبعد ان يخفى ويكون خفاؤه لشدة جلائه والغفلة عنه لاشراق ضيائه

فسبحان

فسبحان من خفي عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب عنهم لاشراق نوره و
قال الشيخ علاء الدولة في حاشية الفتوحات لولا الستر لما ظهر الحق
كان كنزا مخفيا لغاية ظهوره وهذا سر عزيز لا يطلع عليه الا امناء الله
وقال ايضا في رسالة المعارج لغاية لطفه وظهوره وفرط
قربه بالابصار لا يدركه الابصار هداية من عرف الحق بالخلق
فما عرف الحق حق معرفته ومن قطع النظر عن الخلق وعرف الحق عرف
بالحق وما ليس بحق فانت في الاول صاعد وفي الثاني نازل والاول
طريقة المتفكرين في خلق السموات والارض حتى يتبين لهم انه الحق
والثاني طريقة الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه كما اشير
اليه في قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وهم المجذوبون
المحبوبون للحق السالك اليهم في حديث تقرب النوافل والسر في ان
معرفة الحق لا يمكن ان يحصل من الظاهر بخلاف العكس ليس على ما هو
مذكور في العلوم النظرية من ان وجود العلة يقتضي وجود المعلول
المعين بخصوصه ووجود المعلول لا يقتضي الا واحدا من العلل لا بخصوصه
لانه غير تام كما يظهر عند الرجعة الى تلك المباحث بل السر فيه ان
المعلول ليس الا نحوا من تعينات العلة وتطوراتها فمن عرف حقيقة
العلة عرف شئونها واطوارها بخلاف من عرف المعلول فانه ما
عرف العلة الا بهذا النحو الخاص كمن يرى وجه الانسان في واحد من

المرائي الكثيرة المختلفة صغراً وكبراً وتحديباً وتقعيراً وقرباً وبعداً
صقالة وصداء وكان المرآة من حيث هي مرآة لا لون لها اصلاً ثم
ما يرى الا بما يقتضيه خصوصية المحل فيصير بذلك مظهر صورة
الشخص فكذا الماهيات والاعيان الثابتة لخلوها عن نور الوجود
وعدمها يصير مظاهر لجمال الوجود الحقيقي وكان الالوان الشاهدة
في المرآة ليست صفة لها بالذات بل بالمجاز فكذا حال موجودية الماهيات
حيث علمت ان الماهيات يصير موجودة من غير ان يصير الوجود نعتا
لها بل بان يصير ظاهراً فيها بحسب صفاتها وقابليتها ودرجات قربها
وبعدها من نور الانوار ولما كان لها نحو من الوجود العلمي قد بينا
ليست حقيقية بل اضافية وهي كما علمت عبارة عن استهلاك تعدد
الشؤون في الاحدية الذاتية وقال القونوي في النفحات حقيقة
كل موجود هي عبارة عن صورة علم ربه بنفسه من حيث شأنه الذي
كان هذا الموجود صورته ومظهره انتهى وبالحقيقة مرائي شؤون
الحق وتجلياته الذاتية هي العدمات الاضافية والوجود الثانوي
الظلي انما يحصل من ذينك الامرين وسبب تحصله وظهوره التجلي
الذاتي الذي هو صفة الايجاد والرحمة الواسعة لكل شيء واخراج
الاشياء من العلم الى العين عبارة عن وقوع نور الوجود وانبساطه
على هياكل الحقائق الممكنة على قدر وسعة منوطها التجلي الالهي الواحد

بالحقيقة

بالحقيقة المتكثرة حسب تكثر المجالي والمظاهر وقد مر ان كلا من الوجود
الحقيقي والعين الثابتة مرآة للظهور بحكم الآخر بوجه كما يستفاد من كلام
الشيخين العربي والقونوي قال بعض الشارحين ان الاعيان مرايا
لوجود الحق وما يظهر في المرآة الا عين وجود المرئي وصورته فالوجود
المسماة بالموجودات صور تفاصيل الحق في العلمية لذاتها لان الحق
على بداهته لا بالاضافة فالموجودات ايضا كذلك على ما ثبت بعينه
الوجود لان الاعيان الممكنة صور علمية ثابتة في العلم معدومة
في الخارج ولها اعتباران اعتبار انها مرايا للوجود الحق واسمائه
صفاته واعتبار ان وجود الحق مرآة لها فبالاعتبار الاول لا يظهر
في الخارج الا الوجود المتعين بحسب تلك المرايا المتعددة تعددها
كما اذا قابلت وجهك بشيء فيه مرايا متعددة يظهر صورتك في
كل منها فتتعدد فعلى هذا ليس في الخارج الا الوجود والاعيان على حالها
في العلم معدومة في العين ما شمت رائحة الوجود الخارجي هذا لسان
الوحدة الذي غلب الحق بالاعتبار الثاني ليس في الوجود الا الاعيان
ووجود الحق الذي هو مرآة لها في الغيب ما يجلي الا وراء تتق العزة و
سرادقات الجمال والجلال وهذا لسان من غلبة الخلق واما العارف
المحقق فلا يزال يشاهد المرآتين مرآة الاعيان ومرآة الحق والصور
فيهما معا من غير انفكاك وامتياز فقد تحقق وتبين ان للظاهر في

في الاعيان الخارجية ذاته من مباشرة الكائنات ومخالطة المحدثات
وبقائه على ما كان في ازلية ذاته وسرمدية وجوده قال العلامة
النيسابوري في تفسير قوله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني
قريب لا ذرة من ذرات العالم الاعلى والاسفل الا وانا محيط بها قاهر عليها
قريب منها اقرب من وجودها اليها لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى
الصنع والايجاد فقط بل بضرب آخر لا نكشفه لقصور العبارة عنه غير انه
مع ان التعبير عن بعض ذلك يوجب شبهة الجهال وقال القونوي
في النصوص اعظم الشبه والحجب التعددات الواقعة في الوجود الواحد
بموجب آثار الاعيان الثابتة فيه فتوهم ان الاعيان ظهرت في
الوجود وبالوجود وانما ظهرت آثارها في الوجود ولم يظهر هو ولا
يظهر ابدا لانها لذاتها لا تقتضي الظهور تمت ... ولعلك ان اخذت
الفطانة بيدك تيسر لك ان تعلم ان مرتبة ظهور الاعيان في علمه تعالى
ليس الا مرتبة وجودها الخارجي من غير تفاوت اصلا لا في الذات ولا
في الاعيان لان وجودات الممكنات في الخارج بعينها معلومية له تعالى
كما حقق في موضعه من ان علمه تعالى حضوري شهودي لا انه ذهني
ارتسامي كما رآه بعض المشائين من الحكماء فالعلم لا يتعلق الا بالموجودات
الخارجية على ما اوضحه المحققون فمعلومية الممكنات للحق تعالى لكونها
اولا في مكمن غيبه على وجه الاجمال وهو المسمى بام الكتاب والقلم الا

الاعلى

لما فيه

الاعلى هو عبارة عن عالم العقل والروح القدسي مجمل تفصيلي ولوح
المحو والاثبات ولوح الدفتين المرقومين الذي هو عالم النفوس الفلكية
مفصل لما فيه الاعلى ما يسطره في اللوح المحفوظ مظهر لصور الاشياء
ازلا وابدا على وتيرة واحدة ووجود الممكنات في هذه المرتبة كوجود
الشجرة في النواة والدنانير في الاكيس ومراتب علمه تعالى بالاشياء
بعينها طبقات ظهورات الوجودات الى ان ينتهي الى العلم بالاشياء
على الوجه الجزئي الذي هو بعينه وجود المحسوسات المادية المتغيرة فيه
الوجود لا تعاقب وجوداتها وتجدد تشخصاتها انما هو بقياس بعضها
الى بعض لضيق وعائها الوجودي واما بالقياس الى حضوره عند
مبدعها واضمحلالها بين يدي شهود موجدها فهي في مرتبة واحدة
بلا تجدد وتعاقب وحضور وغيبة حاصلة للاكوان من جهة
اقتران الزمان والمكان وذلك لاحاطة القيومية الشهودية بجميع
مراتب الوجودات وهذه المرتبة الاخيرة لعلمه تعالى التي هي نفس
وجود الموجودات المتأخرة الحاصلة في حاشية الوجود مسماة
عندهم بالخبرة كما اشير اليه في القرآن بقوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله
وفي كيفية علمه تعالى تحقيقات شريفة ومسائل انيقة منيفة
اوردناها في كتبنا النظرية معرفتها تعين اعانة قوية على معرفة مسئلة

التوحيد الخاصي فعليك بمراجعتها كرة بعد اخرى ان كنت من ذويها
واهلها وخلقت لاجلها **فائدة** اعلم ان الشيئية للممكن على وجهين
شيئية الوجود وشيئية الماهية المعبرة عندهم بالثبوت فالاولى
عبارة عن ظهور الممكن في مرتبة من المراتب وعالم من العوالم و
الثانية عبارة عن نفس معلومية الماهية بنور الوجود وانتفائها
منه من دون تعلق الجعل والتأثير بها ومن غير انفكاك هذه
الشيئية عن الوجود كما زعمه المعتزلة وقد علمت ان موجودية
الماهيات ليست بان تصير الوجود صفة لها بل بان تصير معقولة من
الوجود ومعلومة منه بان يكون المشهود هو الوجود والمفهوم
هو الماهية كما مرت الاشارة اليه وبهذه الشيئية تمتاز ماهية الممكن
عن الممتنع ويقبل الفيض الربوبي ويستمع امر كن فيدخل في الوجود
باذن ربها كما في قوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون فهذه شيئية الماهية للممكن وقبولها للامر الوجودي والفيض
الالهي عبارة عن ظهور احكامها بنور الوجود لا اتصافها به كما مر غير
مرة والشيئية المنفية عن الانسان في قوله تعالى هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا هي شيئية الوجود وكذا في قوله
كان الله ولم يكن معه شيء لئلا يلزم التناقض ومعلوم ان ليس
للممكنات عند العرفاء والصوفية الا الشيئية الثبوتية لا الشيئية

الوجودية

الوجودية الا على سبيل المجاز ولاجل ذلك لما سمع شيخ هذه الطائفة
ابو القاسم الجنيد البغدادي حديث كان الله ولم يكن معه شيء قال
قدس الله روحه والآن كما كان وذكر الشيخ علاء الدولة في رسالته
فوائد العقائد في صفة اهل الله وهم الذين يصلون الى مقام الوحدة
من غير شبهة الحلول والاتحاد والشاهدون جمال ربهم كان ولم يكن
معه شيء ويعرفون انه الآن كما كان وقال في هذه الرسالة وليعرف
كل شيء هالك الا وجهه واعاين كل من عليها فان من غير شك
وتخايل وهذا المقام مقام الوحدة ومما يجب ان يعلم ان الماهيات في
الاعيان الثابتة وان لم يكن موجودة بل اسما بل مستهلكة في عين
الجميع وهذا الاستهلاك نحو موجوديتها لكنها يجب اعتبار وجودها
من حيث هي باعتبار تميزها عند تحليل العقل وتمييزه لها عن الوجود
منشأ لاحكام الكثرة والنقايص والذمايم وترجع اليها الشرور و
الآفات النوعية من لوازم الماهيات فيصير ساحة الحق عن نسبة
النقايص اليه لان لوازم الماهيات ايضا غير مجعولة بل ثابتة بالذات
الثابت للملزوم ومما تقدم اعتبار الاعيان والماهيات اصلا لادى
للضلالة والحيرة والاتحاد والاباحة وبطلان الحكمة كما قيل لولا
الاعتبارات لبطلت الحكمة فباعتبار شيئية الماهيات واسناد
لوازمها اليها يندفع كثير من الاشكالات كوقوع الشرور في هذا العالم

وصدور الكفر والمعاصي عن بعض العباد بسبب قصور عينه ونقص
جوهره وسوء استعداده ويلوح منها سر القدر وعلى ان بعض المحققين
من الموحدين عدوا شيئية الاعيان من جملة شؤون الحق باعتبار
بطونه وعلمه بصور تجلياته الذي هو عين ذاته في مرتبة سابقة
على ظهورها لكن الخوض في هذه المسئلة تحير العقول الضعيفة
وقل من العلماء لا يكون هذا السر حيرة مضرة وفتنة مضلة عليه
لرسوخ علمه وقوة سلوكه وثبات قلبه واستقامة عقله فلا تزل قدمه
عن سنن الحق وصراطه المستقيم وقد اشار القونوي في النفحات
الالهية الى ما ذكر بقوله وان كانت شؤونه ايضا من احكام ذاته الخاصة
في وحدته ولكن ثمة فارق يعرفه الكمل وههنا بحار لا ساحل لها ولا
مخلص منها الا لمن شاء الله وقال ايضا فيها ومطلق الظهور حكما
للاشياء ومطلق عينا للوجود وتعين الظهور الحكمي بالمظهرية
المشهود وتعين الظهور الوجودي في كل مرتبة من المراتب التي
اشتمل عليها العلم بالنسبة الى الوجود المطلق من وجه مخالف لظهور
تعينه في مرتبة اخرى وحكمه ايضا في مرتبة مغاير لحكمه في مرتبة اخرى
وان حصول الاشتراك في الظهورين بامر جامع غير الذي امتاز به
كل منها عن الآخر فالثابت يثبت في شيء من شيء بشرط او شروط او
المنفي عنه لا يثبت له ولا ينفى عنه بعدم ذلك الشرط والشروط

مرتبة

مرتبة كان الشرط او حالا او زمانا او مكانا معين من المراتب و
الاحوال ونحو ذلك لا منافية لها من حيث التفصيل وان تنافت الاصول
وانحصرت **تجليات** لعلك قد تحققت مما سلف ذكره انه
تجلي الوجود الاحدي على جهته من الماهيات المتفاوتة بحسب
شيئيتها ولوازمها وقذف بالحق على الباطل ظهر في كل واحدة
منها بحسبها فالوجود في كل مرتبة من مراتب التجليات والتعينات
يظهر بصفة خاصة ونعت معين ويسمى تلك الصفات والنعوت
الذاتية المتميزة عن الوجود بحسب مراتب النزول عند الحكماء
بالماهيات وعند العرفاء بالاعيان الثابتة المتقدمة على الوجود
الخاصة بحسب الذهن التابعة لها بحسب الخارج والتخالف
بين الماهيات بحسب الذات وبين الموجودات بنفس الشدة و
الضعف والتقدم والتأخر والعلو والدنو وبالجملة الوجود
مع وحدة حقيقته الذاتية يظهر في كل شيء بحسبه كالماء الواحد
في المواضع المختلفة فمنه عذب فرات ومنه ملح اجاج وكشعاع
الشمس يتلون بلون الزجاجات مع خلوه بحسب الذات عن الالوان
قال الشيخ صدر الدين القونوي في رسالة له في شرح بعض الاحاديث
كل ما كان في ذاته من حيث ذاته عريا عن الاوصاف المختلفة المتعقبة
وكان في غاية اللطف فان ظهوره وتعينه في حقيقة كل متعين

ومرتبة وعالم انما يكون بحسب قابلية الامر المعين والمرتبة المقتضية
تعينه وظهوره اتم فقد ظهر ان كل ما ينسب الى الظاهر والمجاد
من الافعال والصفات المخصوصة فهو ثابت لهما من وجه ومسلوب
عنهما من وجه اذ لكل موجود خاص جهة ذاتية ومعينة وجهة وجوبية
ظهورية فليس للخلق الا افاضة الوجود على الهيئات ولله الحمد والشكر
على افاضة الخير على الاشياء ولما علمت قاعدة كون كل ممكن
ذا جهتين جهة وجود وامكان ذاتي ووجوب بالغير وصحة انتساب
ما ينسب اليه له وسلبه عنه كل منهما بجهة فقد دريت ان التنزيه
والتشبيه في كلام الله تعالى وكلام انبيائه واوليائه عليهم الصلوة
والسلام يرجع الى هاتين الجهتين وكلما يحمل على ظاهره بلا تناقض
وتاويل فالايجاد والفيض والفعلية والتكميل والتحصيل والتقويم
من جنب الله وقدرته والقابلية والقصور والخلل والفتور والفناء
والدثور والتجدد والزوال من قبل الخلق واستطاعتهم كما نظمه
بعض حيث قال: از ان جانب بود ايجاد وتكميل // وزين جانب بود
هر لحظه تبديل // والتفاوت في القوابل والحقايق الامكانية والمبادي
انما يحصل لها من الفيض الاقدس المسمى بالقضاء الازلي الذي هو عبارة
عن ثبوتها في علم الله بالنظام الاليق الافضل من حيث كونها تابعة
لاسماء الحق وصفاته وهي عين ذاته تعالى ووجود الهيئات في الخارج

بافاضة الوجود عليهما من الحق يسمى بالفيض المقدس بحسب الاوقات
والازمنة والمواد والاستعدادات وهو بعينه القدر الخارجي والتقدير
تابع لعلم الله تعالى وكلاهما في الوجود غير منفك عن ذاته تعالى
وهذا لا ينافي حدوث الاشياء وتجددها وزوال بعضها عند
حضور آخر وتحقيق هذا الكلام يتوقف على معرفة الزمان و
الدهر والسرمد ونحو نسبة هذه المعاني الى مبدع الكل على وجه
مقدس لا يوجب تغيرا لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله
من حيث انها افعاله وبيان احاطته تعالى بالزمانيات والمكانيات
على الوجه المقدس لا الاحاطة الشمولي يستدعي بسطا في الكلام ليس
هذه الرسالة موضع بيانه وقد حققنا ذلك في بعض كتبنا
من اراد الاطلاع على تحقيق الحق فيه فليراجع اليه ومن هنالك
تبين كيفية تكلمه تعالى مع ملائكته ورسله لا على الوجه الذي تقوله
الاشاعرة والحاصل ان النقايص والذمايم في وجودات الممكنات
يرجع الى المحال والقوابل لا الى الوجود بما هو وجود وبذلك يرتفع
توهم التناقض بين آيتين كريمتين من كتاب الله العزيز احدهما
قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك والاخرى قوله تعالى قل كل من عند الله وما احسن ما
وقع متصلا بهذه الآية ايماء بلطافة هذه المسئلة من قوله تعالى

فهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً وتحقيق هذا المقام
ان لكل شيء كامر وجهاً خاصاً الى الله رب الارباب ومسبب الاسباب
بر شيجه وبجهد وبين هذه والتاثير الذى يشاهد من الاسباب انما
هو من اسم من اسماء حسنى الذى هذا السبب مظهره ومسبح له
بلسانه الذاكر به في مرتبته لا من نفس ذاته الكائنة فان ها هنا فائدة
ويكشف ذلك اصل عظيم محكم وذلك ان مسئلة العلة والمعلول
قد اشكلت على الناس لغموضها وبعد غورها الذى اليه ادلك فان
المعلولات استار وظلمات على وجه العلل وفيها ها الى التنزهات
ولاهر مجاري العلل مجاري فيها فمنهم من يثبت الاسباب ومنهم
من ينفيه ولذلك قال من له اطلاع على كيفية الحال ان الناس في
هذه المسئلة بين جبارى وجهان فمن استشفى من هذا الداء
الذى لا يتخلص منه الا المخلصون اصبح موحدا لا ينافى توحيده رؤية
الاسباب حما ومتوكلا لا يضر بتوكله اثبات المهيات فلسان
الشرايع والآداب ناطق بان وجود كل شر ونقص وآفة ولو باعتبار
من الاعتبارات يضاف الى الخلق ووجود كل كمال وخير وحسنة
يضاف الى الحق تعالى كما في قوله تعالى حكاية عن خليله على نبينا
وعليه السلام واذا مرضت فهو يشفين فانه عليه صلوات الرحمن اضاف
المرض الى نفسه والشفاء الى ربه وكما في قول رسول الله صلعم حيث دعا

رب الخير كله بيديك والشر ليس اليك وفى حديث آخر عنه صلعم فمن
وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه واتفقت
قاطبة المحققين على ان الشر المحض لا وجود له بل كل موجود من جهة
وجوده خير محض واما الشر فيها انما يتاتى فى قليل من الوجودات باعتبار
نسبتها بالاحصل وتاثيرها بالمجعول والفاصل هو وجود الاشياء ولا
شرية فى شىء باعتبار وجوده كما ذكرنا واليه الاشارة فى قوله تعالى
ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت وفى قوله تعالى الذى احسن كل
شىء خلقه فكل ما وصل اليك من الشرور والنافيات فاعلم انه من
تبعات قصور ذاتك ومواقف سوء استعدادك لذلك او انها من
تبع ليس العذاب بنقم خارجى فى النفوس الجاهلة الشقية التى كفرت
بانعم الله بل هو نتايج باعمالها وافعالها ولوازم حركاتها
واخلاقها الردية فهى حمالة الحطب نيرانها يوم الآخرة فليس للحق تعالى
الا مجرد افاضة الوجود واخراج الاشياء من العدم الى الوجود والتحصيل
ومن القوة الى الفعل والتحصيل والتكميل ومن البطون الى الظهور
والله الهادى الى سواء السبيل **لمعة كشفية** قد ظهر مما سبق ان
جميع المهيات والممكنات مرائى الوجود الحق تعالى ومجالى الحقيقة
المقدسة لكن المحسوسات اكثرها فتوحا لا يمكن فيها حكاية الحق
كما ذكره المعلم الاول ارسطاطاليس فى اثولوجيا وهو كتابه المعروف

بمعرفة الربوبية فللحق تعالى تجل واحد وظهور واحد على الاشياء
وظهوره على ذاته هو بعينه ظهوره على غيره لكن باعتبار تعدد
المظاهر وتكثر المرائي يظهر في كل منها بحسبه وذكر الشيخ في
الفتوحات المكية في الباب الثالث والستين منها اذا ادرك
الانسان صورته في المرآة يعلم قطعا انه ادرك صورته بوجه وانه
ما ادرك صورته بوجه لما يراه في غاية الصغر لصغر جرم
المرآة او الكبر لعظمه ولا يقدر ان ينكر انه رأى صورته ويعلم انه
ليس في المرآة صورته ولا هي بينه وبين المرآة فليس بصادق ولا كاذب
في قوله رأى صورته وما رأى صورته فما تلك الصورة المرئية
واين محلها وما شأنها فهي منفية ثابتة موجودة معدومة معلومة
مجهولة اظهر سبحانه هذه الحقيقة لعبده ضرب المثال ليعلم و
يتحقق انه اذا عجز وحار في درك حقيقة هذا وهو من العالم ولم
يحصل علم بحقيقته فهو بخالقها اذن اعجز واجهل واشد حيرة
اقول ونبه بذلك على ان تجليات الحق ارق والطف معنى من هذا
الذي حارت العقول فيه وعجزت في ادراكها الى ان يبلغ عجزها
ان يقول هل لهذا المدرك وجود ام لا فان العقول لا تلحقه بالعدم
المحض وقد علمت انه ليس بلا شئ ولا بالوجود المحض وقد علمت انه
ليس بشئ مباين للقابل ولا بالامكان البحت فهو ظاهر وقد اختلفت

الحكماء في ان ادراك النفس الانسانية حقايق الاشياء من جهة اتصالها
بالمبدا الفياض اهو على سبيل الرشح او على نهج العكس اي على سبيل
انها تنتقش صور الحقايق منه عليها او على نهج مشاهدتها في ذات المبدا
ولكل من المذهبين وجوه ودلايل مذكورة في الكتب وعند بعض
الصوفية لا هذا ولا ذاك بل بان بسبب الاتصال التام النفس بالمبدا
لما كان فناها عن ذاتها واندكاك جبل انيتها وبقاؤها بالحق تعالى
واستغراقها فيه ترى الاشياء كما هي بنور ربها لكن ليس ما ترى من الحقايق
غيرها وقعت في الاعيان فلا لزوم التكرار في التجلي وهو مما نفاه
العرفاء والحكماء الرواقيون القائلون بان وجود الاشياء في الخارج
بعينه نحو معلوميتها للحق من الحق وان عالمية الحق بحقايق الاشيا
هي بعينها فيضانها عنه باشراق نوره ولان ما يراه السالك بنور
ربه حين فناء عن غيره وبقاءه به اشباح الاشياء ومثالاتها
دون وجوداتها الخارجية فان ادراك شبح الشئ الخارجي ليس
بالحقيقة ادراك ذلك الشئ بعينه فكل ما ادركه العارف الكامل
من صور الحقايق بواسطة اتصاله بعالم القدس يكون على ما هو
عليها في الخارج بلا غلط وزيغ وتخبط وتفرقة الا ان فيهما
دقيقة اخرى هي انك قد علمت ان كلا من حقيقة الوجود والماهية
مرآة الظهور للآخر والناقص المحجوب يرى الحق في مرآة الاشياء ويعتقد

على حسب ما يراه فيعرفه على صورة معتقده فاذا تجلى الحق له يوم
القيمة فى غير الصورة التى يعتقده اياها ينكره ويتعوذ منه
من هيهنا يتبين اختلاف العقايد بين الناس لاختلاف ما
يرى الحق فيها من الاشياء واليه الاشارة فى قوله تعالى انا
عند ظن عبدى لى فيقبل كل احد منه ما يليق بحاله وينال
من التجليات الالهية ويكون الانعطاف نشأته والسالك الواصل
الواقف الفانى يشاهد الحق مجردا عن نسبة الخلق اليه فيحجب
ضيق فنائه وقصور ذاته عن الحق لضيق الفانى عن كل شئ كما كان
قبل الفناء محجوبا بالحق عن الحق بضيق وعائه الوجودى فهو فى
الحال ايضا ذاهل عن مراتب الالهية وتجلياته الذاتية والاسمائية
فاذا رجع الى التفصيل مستمدا من الحق وشاهد الحق على وجه اسمائه
وصفاته فيرى الخلق بالحق فيسير فى ارض الحقايق التى اشرقت
بنور ربها ففى هذا المقام لما كان العلم بالاشياء من جهة العلمية
الاشياء ومظهر وجودها ومظهر اعيانها الثابتة فيشهد فيه
الاشياء كما هى فى مرآة وجهه الكريم الذى لا يعزب عنه السموات والارض
لكن مرآة ذاته ليس كسائر المرائى من مرايات الكثيفات والقوى الحسية
مظاهرها فى عالم المثال والقوى الخيالية الجزئية التى هى مظهر الصور
الخيالية والجليدية والماء والبلور والحديد الى غير ذلك من

الاشياء

الاشياء الصيقلية التى هى مظاهر للمحسوسات باعتبار استعدادها وخلوها
عن الكيفيات التى هى مظاهر لوجودها ومرائى لشهودها فان تلك المرائى
الامكانية ليست فى مظهرتها صادقة من كل الوجوه وان لم يكن كاذبة ايضا
من كل الوجوه اذ ليست حيثية مرآتيها ومظهريتها بعينها حيثية ذاتها
ووجودها المقيد وجودها واختصاص ذاتها فانك اذا نظرت الى خصوص
ذات المرآة وكونها من حديد او ماء او زجاج او غيرها والتفت اليه حجبك
عن ملاحظة تلك الصورة التى فيها مظهر الحايد وحصص واذا قطعت
النظر عنه ولم ينظر اليه نظرا استقلاليا بل نظر ارتباطيا تعلقيا فح
تنظر فيه الى الصورة المقابلة وتلك الخصوصية حكمها باق وان لم
يلتفت اليها ولاجلها لم يكن الشهود بعينه وجود ذات الرائى فى المرآة
فيظهر حجابا عن وجوده الحقيقى على حسب محبة تلك الخصوصية وان
لم يكن ملحوظة فافهم واما الحق تعالى فلكون ذاته ذاتا فياضة بفيض
عنه صور الاشياء ومعقولاتها فكان ذاته مبدأ وجود الاشياء
عنه فكذلك شهود ذاته مبدأ شهود ذوات الاشياء فذاته مظهر
مظهرية الاشياء كما هى لا يخرج من الظاهر والرائى وكان شهود ذاته
لا يتصور الا بذاته بل ذاته وشهود ذاته شئ واحد بلا اختلاف
حيثيتين وهما العلتان لوجود الخلق وشهودهم فكذا شهود الخلق
لا يتصور الا بوجود بل هما امر واحد اذ العلتان واحدة بلا تغاير ٦

فالمعلولات واحد بلا اختلاف وكان وجودهم من توابع وجود الحق
فكذا شهودهم وظهورهم من لواحق شهود الحق وظهوره فتقرر و
تحقق ان ذاته تعالى من حيث ذاته مرآة لصور الاشياء الكلية وتحقق
على ما هي عليها بلا شوب غلط وكذب وقد علم بما ذكر انه لا يمكن
معرفة نحو من انحاء وجود الاشياء الا من جهة المعرفة بعد عماد
خالقها اذ وجود كل شيء لا يكون الا نحوا واحدا لما علمت من امتناع
تكرر شيء واحد وانتفاء الاثنينية في تجلي الحق وانكشف سر قول
الحكماء العلم التام بالاشياء ذوات العلل لا يحصل الا من قبل العلم
بعللها واسبابها فحقق هذا الكلام ان كنت من ذوي الاقدام
قد اتضح لديك مما تلوناه عليك ان اختلاف المذاهب بين الناس
وتخالفهم في باب معرفة الحق يرجع الى انحاء مشاهدتهم لتجليات
الحق والرد والانكار يؤول الى غلبة احكام بعض المواطن على بعض
واحتجاب بعض المجالي من بعض فاذا تجلى بالصفات السلبية له
للعقول المجردة المنزهة لربها عن شائبة التشبيه والنقص يقبله
تلك العقول ويحمدونه ويسبحونه وينكره كل من لا يكون مجردا
كالوهم والخيال والنفوس المنطبعة وقواها اذ ليس من شانها ادراك
الحق الا في مقام التشبيه والتجسم واذا تجلى بالصفات الثبوتية
فيقبله القلوب والنفوس الناطقة لانها متشبثة من حيث فعلها بالآلات

ومنزهة من حيث تجرد جوهرها وينكره العقول المجردة لعدم اعطاء
شانها الامرية البعد عن عالم التجسم والتحاشي عنه فيقبل كل نشأة
من النشآت العقلية والنفسية والوهمية من التجليات الالهية ما يناسبها
ويليق بحالها وينكر ما يخالفها ولم يكن يعطيه شانها وبالجملة فكل قوة
من القوى محجوبة بنفسها لا ترى افضل من ذاتها كالملائكة التي
نازعت في آدم وكالعقل والوهم فان كلا منهما مدعي السلطنة ولامنها
ولغيره فالعقل يدعي انه محيط بادراك الحقايق على ما هي عليها بحسب
القوة النظرية وليس كذلك اذ العقل لا يدرك الا المفهومات الكلية
ولوازم الوجودات وغاية عرفانه العلم الاجمالي بان له ربا منزها عن
الصفات الكونية فاحتجب عن شهود الحق ومشاهدة تجلياته الذاتية و
مفصلا ونفوذ نوره فيها وكذا الوهم يدعي سلطنته ويكذب العقل
في كل ما هو خارج عن طوره من جهة ادراكه المعاني الجزئية دون الكلية
فلكل من القوى نصيب من السلطنة ان هي الا اسماء سميتموها انتم
وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان واما الانسان الكامل فهو الذي
يقبل الحق ويقتدي بنوره في جميع تجلياته ويعبده فيها فهو عبد
الله في الحقيقة ولهذا سمي بهذا الاسم اكمل نوع الانسان ص لانه تابع
الحق في جميع المظاهر الامرية والخلقية من غير تكثر لا في الذات ولا
في التجلي ايضا كما مر من ان تجليه تعالى حقيقة واحدة والتكثر باعتبار

تعدد شؤونه المسماة بالهيئات والاعيان الثابتة التي لا وجود لها في ذاتها
ولا يتعلق بها جعل ولا تاثير بل لها مع اعيان الوجودات التي هي اظلال
للنور الاحدي ورشحات للوجود الفيضي ضرب من الاتحاد فتجري
احكامها لها ومحمولات عليها فالكاملون على الحقائق على ما اطلعهم
عليه ربهم منهم عباد الرحمن الذين يمشون على ارض الحقائق هونا و
ارباب النظر عباد افكارهم الصادرة منهم انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم اي جهنم البعد والحرمان عن درك الحقائق وانواره اذ
لا يقبلون الا ما اعطت عقولهم ولما كانت العقول الضعيفة قاصرة
عاجزة عن ادراك التجليات الالهية في كل موطن ومقام والنفوس
الابية طاعنة عن متابعة انبيائهم فاشتبه عليهم الوجودات التي
هي نفس فيوضات الحق وانحاء تجلياته بخواص الهيئات التي هي اسود
براسها اصنام نحتها لها فعبدوها ونسبوا الوجود والايجاد اليها
ولم يعلموا ان الحق هو المتجلي في كل شيء والمتجلي من كل شيء فسبحان من تنزه
عن الفحشاء وسبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء تعالت قدسيته
ان لا اظنك قد تفطنت ما تلوناه عليك بان اختلاف العقائد في
الحقيقة الحقة الالهية لاختلاف اذواق المدارك والمشارب وان كلا
احد يرى النور الاحدي بتعين انيته ويشاهد ذاته بقدر حوصلة
وجوده كما يرى نور الشمس من وراء الزجاجات الملونة المختلفة في

اللطافة والكثافة اذ لو فرض كون تلك الزجاجات حادثة الشمس وكانت
ابصار الناظرين بها مدركة اياها بقوتها القابضة عليها من النير الاعظم
وكما يدرك الذائقة الغالبة عليها مرارة الصفراء الشيء الحلو مرا كما قيل
من يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فعليك ان كنت ذا بصيرة
شعشعانية بان تقف على المشرب العذب المحمدي وتطلع على المنهج
القويم الاحدي صلوات الله عليه وعلى اهل بيته المقدسين وهي
النشأة الجامعة والكمال الاتم الحافظ لاحكام الوحدة الصرفة والمراعي
لحدود الكثرة في عين الجمع وهو مقام الجمع مع الفرقة كما يدل
عليه النفي والاثبات الدالان على احدية الجمعية في قوله تعالى
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهكذا يكون مشرب خواص امته
الموصوفين بقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر الجامعين للكمال الجمعي بين سلوك طريق الحوض
التجرد والتزهد والصيام والقيام ومراعات جانب الخلق من الجمعة
والجماعات والنكاح وعيادة المرضى وتشييع الجنازات والاطعام و
تجهيز الجيوش كما نقل عن امامهم وقدوتهم والمنصوص من الله و
رسوله بالخلافة علي بن ابي طالب عليه وآله افضل الصلوة والسلام من
اتصافه بخصايص كل ذي موصف بالتمام وتحليه بحلية فاضلة بجميع
الشتات المتباعدة من خشونته وخضوعه ورقته ونحو من الزهادة و تزوجه

ومروته و

بالعبادة وانتصابه عليه السلام برقة القلب وخشوع الطرف وانسكاب
الدمع وتقلل القوت وخشونة الملبس والمضجع وبطلاق الدنيا و
زهرتها على وجه لا يتأتى الا للمنقطع من كل حبل لا يصحب انسانا ولا
يسمع من البشر همسا مع البطش والغلظة والباس على اعداء الله و
شق عصاهم والصاق معاطس الكفار بالرغام منصفا النصفة تواضعه
للخلق ومجالسته مع الضعفاء وتفقده لهم واطالته في العبادة
وقيامه معظم الاوقات بالطاعة على وجه لا يتيسر لاحد بعد الرسول
سواه عليهما الصلوة مع المبالغة في معاتبة نفسه على التقصير وهو
متطفل في العبادة جامعا الى ذلك كله فصاحة الفاظه وبلاغة معانيه
وكلامه المتين في الزهد والحث على الاعراض عن الدنيا ومبالغته في
تذكير القلوب الغافلة وايقاظ الهمم الراقدة الى عزيمة السنن الادبية
والسنن المحمدية والمعارف والعلوم النبوية التي ليست مقيدة بطور
دون طور وبشق دون شق لا في الاعمال ولا الافعال ولا في العلوم
والاذواق ولهذا علوم المحمديين صلوات الله على نبيهم وآله في درك
الواجب تعالى وراء طور العقل فضلا عن اطوار الوهم والخيال و
الحس كما قيل العقل في دركه كالوهم معزول والكل في حقه كذا
وحكي عن ارسطاطاليس الحكيم انه قال وراء طور العقل طور آخر لكنه
انما يكون لاهل آخر الزمان كما ان طور الحواس كان للاوائل ونبيهم

ونبيهم ادريس فاطلعوا بحواسهم على ما في السموات من اوضاع الفلكيات
والكواكب وهيآتها ثم طور الوهم والهمة كان لمن بعدهم وكان نبيهم
موسى ع وكان اذا نادى من تحت رحالته منهم لحظة سبعون الفا ثم طور
العقل فهو لنا ثم طور وراء العقل يكون لاهل آخر الزمان ثم قال فكان
بعده من الفلاسفة صدق ارسطو ودين هؤلاء محمد بن عبد الله العربي
صلوات الله عليه وآله وانه اطلع على امور لا يدركه احد من قبله هذا
كلامه وليعلم ان المراد من نسبة واحد من الاطوار الى قوم انه هو الغالب
فيهم والا فطور العقل كان لسائر الامم وباقي الاطوار كان في
نبينا وآله عليهم على الكمال فانه عليه وآله الصلوة والسلام كان قوى
القوى كلها كاملا في القوى الادراكية والتحريكية اما الادراكية فهي
الحواس الظاهرة والباطنة اما الظاهرة فهي اما الباصرة والبصرية فقد
زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وقوله عليه وآله الصلوة
والسلام اقيموا صفوفكم وتراصوا فاني اراكم من وراء ظهري يدل على
كمال قوته الباصرة ونظيرها ما حصل لابراهيم على نبينا وعليه صلوات الرحمن
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات ذكر المفسرون فيها ان الله
قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت واما السامعة فكما انه عليه
وآله الصلوة الوحي النازل عليه كلاما منظوما مثل صلصلة الجرس
وروي القطب عليه ما نقل عنه وما روي ايضا عنه انه قال اطت السما

وعقلها ان تنظر فتسمع اطيط السماء وشبيه ذلك ما زعمت الفلاسفة
ان فيثاغورث راض نفسه حتى سمع حفيف الفلك ونظيره ما قد سمع
سليمان ع كلام النمل وفهمه واما الاستنشاق فتنسم بالنفحات
الالهية وتنشق نفوحات الربوبية فقال ان لله في ايام دهركم
نفحات الا فتعرضوا لها وقال انى لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن
ومن هذا القبيل ما قد وجد يعقوب ريح يوسف على نبينا وعليهما
السلام من مسيرة ايام واما الذوق فقال ع ان هذا الذراع يخبر
بانه مسموم وهو يدل على كمال قوة الذوق واما اللمس فقال وضع
الله كفه بين كتفي فوجدت بردها بين يدي فعلمت ما في السموات و
ما في الارض واما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال تعالى
سنقرئك فلا تنسى واما قوة الذكا فقد قال امير المؤمنين علي ع
علمني رسول الله ص الف باب من العلم فاستنبطت من باب الف
باب ولا شك ان المعلم اعلم من المتعلم واما القوة المحركة فعروجه ع
الى السموات في لحظة هذا ولنرجع الى ما كنا بصدده من ان كلا منهم
يشاهد الحق بقدر وعائه الوجودي والفرق بين الكمل من الانبياء
والاولياء وبين آحاد الخلق ان اولئك الاكابر لسعة ادراكهم وقوة
احاطتهم بسبب اتصالهم بعالم القدس يشاهدون الحق في جميع
المشاهد والمجالى ويعرفونه ولا ينكرونه وطورهم فوق ادراكهم كل

مشعر

مشعر من العقل والوهم والخيال والحس وراء طور تلك المشاعر ادراكه
بغيرهم شيئا وانهم يعلمون ان المعلوم بالذات في كل ادراك عقلي
او حسي انما هو الحق اذ لا وجود لغيره ومعلوم بالعرض وكذا يوقنون
ان كل سالك يدب على الارض فانه يطلب في حركته وشوقه الحق تعالى
من حيث لا يشعر فهو يمضي الى المشهود في كل شهود والبغية في كل طلب
وسلوك واكثر الناس لم يحصلوا عن هذا العلم الثاني اي العلم بان
الامر كذلك وان حصل العلم الاول البسيط لكل احد وان كان في مرتبة
من هذا الاعتقاد بقبول الاشياء من سبيل العلوم النظرية والابحاث
المنطقية فاعلم انه قد تحقق في العلوم الالهية بعد تحقيقها وتنقيحها
وتلخيصه عن الزوائد على ما يستفاد من تحقيقات المحصلين من
الثانيين ان ادراك كل شيء ليس الا نحو وجود ذلك الشيء سواء كان
الادراك حسيا او خياليا او عقليا وسواء كان حضوريا او حصوليا
وقد تحقق وتبين عند المحققين من متألهي الحكماء ان موجودية
كل شيء هو نحو ارتباطه بالحق الاول ومصداق الحكم على كل شيء
بالوجود وهو وجودها النسبي المتعلق بالوجود الحق الالهي ونحن
قد اقمنا البرهان في الاسفار الاربعة على ان الهويات الوجودية
من اشعة تجليات الحق ولمعات جماله وجلاله فاذن ادراك كل
شيء ليس الا ملاحظة ذلك الشيء على الوجه الذي يرتبط وينتسب

بالواجب تعالى من ذلك الوجه الذي هو وجوده وموجوديته وهذا
لا يمكن الا بادراك الحق لان ذاته بذاته منتهى سلسلة الموجودات
وغاية جميع التعلقات وبالجملة كما ان الوجود الخارجي لكل موجود
انما يحصل من وجود الحق كذلك وجوده العلمي وحضوره الشهودي
انما ينبعث من شهود الحق فكل من ادرك شيئا باي ادراك فقد ادرك
الباري وان لم يشعر بهذا الادراك الا الخواص من الكمل كما نقل عن امير
المؤمنين ع انه قال ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله ورُوي معه
وفيه والكل صحيح فظهر وتبين ان هذا الادراك البسيط المجمل الحقي
حاصل لكل احد من عباده ولا يلزم من ذلك ادراكه تعالى بكنه ذاته
على سبيل الاحاطة والاكتناه لامتناع ذلك بالبرهان المبين في
موضعه واما الادراك المركب سواء كان على وجه الكشف كما يختص
بالاولياء والعرفاء او بالعلم الاستدلالي كما يحصل للعقلاء المتفكرين
في صفاته وآثاره فهو ليس مما هو حاصل للجميع وهو مناط التكليف
وفائدة الرسالة وفيه يتطرق الخطاء والصواب واليه يرجع حكم الكفر
والايمان والتفاضل بين العرفاء والمراتب بين الناس بخلاف
الاول فانه لا يتطرق اليه الخطاء والجهل اصلا كما وقع في النظم
الفارسي دانش حق ذوات را فطريست دانش دانش است
كان فكريست ويؤيده ما قال الشيخ الغزالي في مشكوة الانوار ان اهل

نوره بل لا هوية لغيره الا بالمجاز ولا اشارة الا اليه بل كلما اشرت اليه
فهو بالحقيقة اشارة اليه وان كنت لا تعرفه لغفلتك عن حقيقة الحقائق
التي ذكرناها ولا اشارة الى نور الشمس بل الى الشمس فكل ما في الوجود
فنسبته اليه في ظاهر المثال كنسبة النور الى الشمس فاذا لا اله الا الله
توحيد العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص لانه اتم واخص واشمل
واحق وادق وادخل لصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة
فاذن قد انكشف ان مدركات الحس كمدركات سائر القوى الادراكية
مظاهر للهوية الالهية التي هي المحبوب الاول والمقصود الاهم للانسان
فبعينه يشاهد وينظر اليه لا على وجه يعتقده الاشاعرة وبانه يسمع
كلامه وبانفه يشم رائحة طيبة وبجميع ظاهره يتمثل به لا على وجه
يقول المجسمة تعالى الله من ذلك علوا كبيرا فيدرك المحبوب الحقيقي
بجميع القوى والجوارح مع تقدس ذاته عن الامكنة والجهات و
تجرد حقيقته عن المواد والجسمانيات وما ذكرناه مما اطبق عليه اهل
الكشف والشهود الذين هم خلاصة عباد الله المعبود بل جميع
الموجودات عندهم عقلاء بالمعنى المذكور عارفون بربهم مسبحون
له شاهدون لجماله سامعون لكلامه واليه الاشارة بقوله تعالى
وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم اذ التسبيح
التقديسي لا يتصور ان يكون بدون المعرفة وقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا

ان يقول لذلك فيكون دليل واضح على كون كل من الموجودات عاقلا
يعقل ربه ويعرف مبدعه ويسمع كلامه اذ نيل الامر يترتب على
السماع والفهم بالمراد على قدر ذوق السامع واستطاعة ادراك
ما يليق بجنابه المقدس عن الاشباه والامثال وقوله تعالى للسموات
والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين مبين لما ذكرنا
ومؤيد لما قلناه اشراقات الهية فقد تحقق وتبين ان الخلافة
العظمى الالهية انما تحققت في النشاة الجامعة الانسانية واستحقت
لها بحسب جوهر ذاتها لاجل تطورها بالاطوار الكونية الوجودية
ونشاتها بالشئون العلمية وقابليتها المظهرية للصفات المتقابلة
الالهية وقد شبه بعض العرفاء الانسان الكامل وقال انه بمنزلة مرآة
كروية مخلوقة واقعة في وسط العالم يحاذي بسائط الخالق من جميع
الجهات والحيثيات وليست لغيره من النشاة هذه الجامعية و
التامية فان العقول القادسة والجواهر المخلصة العقلية والملائكة
المهيمة وان حصلت لها الاشراقات العلمية ولزمها الكمالات الوجودية
لكنها خالية بالكلية عن الاطوار الكونية والانفعالات الشوقية
والشهود بالنشاة الحسية الجزئية وكذا الافلاك وان كانت لها
الادراكات الكلية والجزئية بواسطة نفوسها الناطقة المجردة
وقواها الانطباعية لكن لم يتيسر لها مرتبة الفناء والانقطاع عن ذاتها

بالكلية

بالكلية والتدرج من صورة الى صورة ومن حال الى اخرى اذ كلا تماما فطرة
واجسامها خالية عن الكيفيات المتضادة فلها مقام معلوم لا يمكنها
التعدي عن ذلك والارتقاء الى ما فوقها على خلاف النشاة الكاملة
الانسانية فان لها التقلب في اطوار النقص والكمال والتحول والتقلب في
الاحوال والاحاطة على جميع الحقائق العلوية والسفلية اذ تتوجه
ذاته بوجوده برزخيته الى الاشياء كما هي عليها كلياتها وجزئياتها فانه
كان اولا مما اتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وهو مرتبة
هيولاه الاولى التي هي قوة صرفة وابهام محض لا تحصل لها ولا فعلية
في ذاتها من غير اعتبار ما يرد عليها من الصورة ثم تحولها الى المرتبة الثانية
ثم تدرج الى النباتية ثم الى الحيوانية بعد ما تمر من نوع الجمادية
سنة النباتية بمبادي طلوع نفسه الناطقة وصباح ظهور ذاته
البشرية ووقوع اشعة شمسه على ذرات ابدانه واكناف قواه فاشرقت
ارض جسده بنور ربه واول عضو تكون منه هو القلب الصنوبري
لانه اول ما يخلق من البدن واخر ما يسكن منه ان اول بيت وضع
للناس للذي ببكة واول معبد ومسجد وضع القلب الحقيقي للذي
ببكة الصدر المعنوي وموضع ازدحامات القوى المتوجهة اليه
مباركا ببركة الهية من الفيض المتصل منه بجميع الوجوه والقوى والجوارح
السارية منه الى سائر الاعضاء وهدى ونور يهتدي به الى الله

فيه آيات بينات من العلوم والمعارف والحكم والحقائق مقام ابراهيم
العقل ومن دخله من السالكين المتحيرين في بيداء الجهالات كان
آمنا من اغواء شياطين المخيلة ومفاديث احاديث النفس وعن
غيلان الوهم وجن الخيالات وافتراس سباع القوى النفسانية
مصعدا تاما لم يزل يتدرج في الاستكمال من حال الى حال ويترقى من نشأة
الى نشأة حتى طوى مراتب العقول الساذجة والاستعدادية
والفعلية وهلم الى درجة العقل المستفاد المستغني في المعاد فسعد
الى ذروة الكمال بعد ان هبط منا فادرك الكليات الروحانية الخالصة
في مظنة تصرفاته ومعسكر قواه وهو ما الطف من بدنه وتنقى من
جسده اعني روحه البخاري الشابه للسبع الشداد الخالي عن الاضداد
في اعتداله ولطافته وصفاه ومقابلته فيه المرآتين اعني مرآة ذاته
ومرآة جسمه يدرك الصالين ويطلع على ما في اقليمين ويدرك
الغيبيات من الامور الماضية والآتية ثم يترقى بذاته بعد طرح
الكونين وخلع النعلين ونفي الخواطر المتعلقة بغير الله والفناء
عما سواه راجعا الى الحق بالكلية فيضمحل الكثرة في شهوده ويحتجب
التفصيل عن وجوده متحققا بمقام الجمع منخرطا في سلك الملائكة
المقربين بل في صف الاعالي المهيمين ثم مع ذلك لا يقف في مقام
واحد ولا يتحيز في مشاهدة الوحدة الصرفة من غير مشاهدة الآثار

الالهية والرشحات القيومية بل يرجع الى الصحو بعد المحو ناظرا بعين
الجمع الى التفصيل متوسطا بين التشبيه والتعطيل فيحل كل
مقام اراد ويحط رحله ومنزل قصده وهو فرحان بالحق في كل شيء
ينظر اليه لانه يرى المحبوب الاول وجمال الاول في جميع المظاهر
والمجالي فيالله وسعه حاله بلسان مقاله ٭ جهان خرم از انم
كه جهان خرم از واست ٭ عاشقم بر همه عالم كه همه عالم از وست ٭ فيه
فيسير بنوره في ارض الحقائق المتبدلة في حقه حيث صارت صيقلية
بيضاء مرآة مجلوة يحاذي بها شطره الحق يوم تبدل الارض غير الارض
الآية وكما لا يحجبه شيء عن شيء لقوة شهوده وعلمه فكذلك لا يشغله
ايضا شيء عن شيء لكمال قابليته وسرعة نفوذه ولطافته فيتطور
بكل طور ويتلون بكل لون كما قيل ٭ لقد صار قلبي قابلا كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان ٭ قال الشيخ العربي في اصطلاحاته
التلوين تنقل العبد في احواله وهو عند الاكثرين حال ناقص
عند اهل الحالات واكمل المقامات وحال العبد فيهما لقوله تعالى
كل يوم هو في شان والتمكن عندنا هو التمكن في التلوين وقيل هو
حال اهل الاصول وكثرت فيه الاقاويل واختلفت الالسنة با
لرد والقبول وقال بعض المشايخ لا طعنا اما الاختلاف المشرب
وبعده واما المحل العام تمثل استغنا فلا شك ان الكل من

الرقا الانسان الكامل الذى اشرف اجزاء العالم الكبير انسان العين من
العالم الصغير الانسانى الذى يكون به النظر الى الاشياء وهو
المعبر عنه بالبصر فلهذا سمى الانسان انسانا ماخوذا من انست
بمعنى ابصرت فانه به ينظر الحق الى خلقه فيرحمهم وهو مظهر
جميع الاسماء والصفات ومجمع كل الحقائق والآيات فهو
الكتاب الجامع كما روى عن سيد الاولياء وقدوة الاصفياء
حيث قال ٥ وانت الكتاب المبين الذى ٥ باياته يظهر المضمر
وتزعم انك جرم صغير ٥ وفيك انطوى العالم الاكبر ٥ قال القونوى
فى تفسيره لفاتحة الكتاب بان الحق سبحانه وتعالى جعل العالم
الكبير الاول من حيث الصورة كتابا جامعا لصور اسماء الحق
ونسب علمه المودع فى القلم الاعلى وجعل الانسان الكامل الذى
هو العالم الصغير من حيث الصورة كتابا وسطا جامعا بين حضرة
الاسماء وحضرة المسمى وجعل القرآن خلقا مخلوقا على صورته
لنبيه به خفى سر ربوبيته وسر عبوديته فالقرآن العزيز هو النسخة
الشارحة صفات الكمال الظاهر بالانسان من غير اختلال ولا
نقصان ويلايم هذا ما قيل فى صفة رسول الله صلعم انه كان خلقه
القرآن وفى كتاب العوارف انه لهذا السبب قال الله تعالى
لرسوله صلعم انك لعلى خلق عظيم وهذه الحقيقة الانسانية التى

علت

علت كالطاعة وعلوها اذا كملت بالعلم والعمل قد يصير من عجم الحيوانات
اذل واسفل بواسطة متابعة النفس والشيطان واتصافه من
فساد علمه وعمله بالكفر والطغيان والعمى والحرمان ولقد ذرانا
لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا
يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم
اضل وليس يخفى لاحد انه ليس المراد من هذا الفقه والبصارة
والسماع ما لا يتجه عند احد من الحيوانات الناشئة الاعضاء والآلات
الجسمانية بل ما يتعلق بجوهر النفس الناطقة والقلب الحقيقى فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وما دام
الانسان فى درجة الحيوانات الظاهرية ونشاته نشاة هذا العالم
الادنى لم يحى بالحيوة المعنوية الحاصلة بالموت الارادى عن مآرب
قواه الشهوية والغضبية ولهذا نبّه كما امر رسول الله صلعم فى قوله
موتوا قبل ان تموتوا وقد سمى الله تعالى حيوة هذه الاولى باللعب
واللهو متاع الغرور لكونها مجازا لا حقيقة لها ولا ثبات لوجودها
ومع ذلك تخيل ان لها تأصلا فى الحقيقة كسراب بقيعة يحسبه
الظمآن ماء فاذا لم يتنبه الانسان عن الرغبة الى زخارف الدنيا ولم
يحصل له الحيوة الطيبة بالولادة الثانية لم يكن له منزلة عند الله
فى النشأة الثانية وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ونقل

عن غيبي قوله لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين وهذه
الولادة الثانية والحيوة المعنوية انما يحصل للانسان بمتابعة
الاداب الشرعية والنواميس الالهية واقتناء العلوم والاخلاق
الملكات والخيرات وتعديل القوى والالات التي هي خوفة النفس
الادمية وتسوية صفوتها واشير الى هذه الولادة الثانية الحاصلة
بسبب التعديل والتسوية في قوله تعالى واذا سويته ونفخت فيه من
روحي فقعوا له ساجدين والمراد من هذا النفخ ليس هو الروح الحيواني
الحاصل في بداية النشاة الانسانية المشار اليه في قوله تعالى ثم انشاناه
خلقا اخر لان نفخ الروح الحيواني يحصل بواسطة بعض الملائكة كما ورد
في الاحاديث والنفخ الملكي لا يوجب الخضوع للملائكة التي هي ازل
منه وتحت تصرفه في العالم الصغير ولا يلزم مسجوديته للملائكة كلهم
اجمعين بل النفخ الالهي الحاصل بسبب الروح الاضافي انما اوجب سجود
الملائكة لادم تعظيما له وتكريما لشانه المنسوب الى الحق قال بعض
العرفاء ما ترجمته ان الولادة المعنوية كالولادة الصورية ايضا موقوفة
على اركان اربعة يندرج فيها جميع الاداب الشرعية والعقلية هي الايمان
والتوبة والزهد والعبادة ولكل منها تفاصيل ليس هذه المقالة موضع
بيانه وهذه الولادة يسمى في عرف الصوفية بالفتح وكيفية هذه
الولادة للنفس الانسانية من مبداها الى منتهاها انما اول ما يلد المولود

بالولادة

بالولادة الجسمانية يكون في اول مقام النفس كما في الحيوانات التي لها الحيوة
الجسمانية لا يعرف الا الاكل والشرب لا غير ثم يتدرج ويظهر له باقي
صفات النفس شيئا فشيئا من القوى الشهوية والغضبية والحرص و
الحسد والبخل والسفاهة والمكر والحيلة والكبر والظلم وغير ذلك من
الصفات التي هي نتايج الاحتجاب والبعد من معدن الصفات الكمالية
فهو حيوان منتصب القامة بعيد رتبة لا فاعل الخلافة بحسب الاستعداد
الخلافة فهو منغمر في الحجب الظلمانية الساترة للحق اسير في ايدي الكثرة
واسرار الشهوات نائم من عالم الوحدة في مرقد الجهالات ثم اذا ادركته
لعنة من انوار الرحمة وصادف من نبهه من سنة الغفلة ونوم الجهالة
ويذكره مبداه الذي منه بدوه ومعاده الذي اليه عوده وهم الانبياء
صلوات الله عليهم ثم الائمة والاولياء عليهم السلام ثم الاولياء بالله تعالى
الشاهدون الواصلون اليه حقا والتابعون لهم ثم الظاهريون من العلماء
مظاهرها امرهم به الانبياء والاولياء التابعون فالعلماء ينبهون خواص
الانسانية من سنة الغفلة ونوم الجهالة ويذكرونهم الحق ووحدانيته
واحوال المبداء والمعاد وحقيقة ما جاء به الرسول من الاحكام الشرعية
وغيرها التشويق والتخويف لتقوية الايمان اولا ثم بالتوبة والماموريات الشرعية
من العبادات اذ كل منها رخصه ويرتفع به الحجب الظلمانية والنورانية
النفسانية المعبر عنها بالذنوب السيآت فاذا تيقظ من سنة الغفلة و تنبه

على ان ماوراء هذه اللذات البهيمية لذات اخر وفوق هذه المراتب مراتب
اخر كالتي تتوب عن اشتغاله بالمنهيات الشرعية ويتوب الى الله بالتوجه
اليه فيشرع في ترك الفضول الدنيوية وطلب الكمالات الاخروية
ويعزم عزما تاما ويتوجه الى السلوك الى الله من مسكن نفسه ومقام
هواه فيهاجر مفارقا مما وقع في الغربة والسفر ولا بد له من رفيق يرافقه
ودليل يدله على طريقه فيصاحب من له هذا التوجه والعلم بالطريق
وهو الشيخ القائد والمرشد الهادي ثم ما دام لا يعتقد فيه لا ينفع له
شيء ولا ينتفع بصحبته فوجب له ان يعتقد فيه بالخير والصلاح وان يحبه
منجيه من المهالك وانه عالم بالطريق الذي يريد اليه وهو الارادة
فاذا تحقق بالارادة لا بد له ان يعمل بما يقوله الشيخ ليمكن لحصول الفتح
حتى قيل ان المريد بين يدي الشيخ ينبغي ان يكون كالميت بين يدي الغاسل
ثم اذا دخل في طريق يزهد عن كل ما يعوقه عن مقصوده من مستلذات
الدنيا واحوال المعيشة فيها ويرتاض نفسه لامرين لمنة الاول ترك
الالتفات الى ما دون الحق ويعين عليه الزهد الحقيقي والاتقاء عن كل ما
يرد على قلبه ويجعله مائلا الى غير الحق ويجره الى الجهة السافلة فيتصف
بالورع والتقوى والزهد والثاني استخدام القوى فيما خلقت لاجله
واعمالها في الامور المناسبة للامر القدسي ليجذب معها بالتوجه من
جناب الغرور الى جناب الحق ويحتاج ذلك الى العبادة المشروعة بالنية

الخالصة

الخالصة لا لرغبة او رهبة بل لمرضاة بالانتساب ما اليه بعبودية ثم سماع
المواعظ وخطابات المشايخ بعبارات بليغة فانها اعظم نفعا في الترغيب
والترهيب من كثير من الرياضات لانها تحرك النفس تحريكا طبيعيا مخصوصا
اذا كانت مع الالحان المتحدة تم لقوى النفس في الامر تعالى الثالث تلطيف
اليه العقول بتجليات الحق وتصير النفس مرآة مجلوة يحاذي بها شطر الحق
ويعين عليه الفكر اللطيف والعشق العفيف ثم يحاسب نفسه دائما في
افعاله واقواله ويجعلها متهما في كل ما يأمر به وان كان امرها بالعبادة
ايضا لان النفس مجبولة بمحبة شهواتها ولذاتها فلا ينبغي ان يؤمن
مداخلها فانها من المظاهر الشيطانية فاذا خلص منها وصفا وقته و
طاب عيشه بالاذ اذواقها بما يجده في طريق المحبوب تنور باطنه فتظهر
له لوائح الغيب وتنفتح له ابواب الملكوت ويلوح منه لوائح مرة بعد اخرى
فيشاهد امورا غيبية في صور مثالية فاذا ذاق شيئا منها يرغب في العزلة
والخلوة والذكر والمواظبة على الطهارة التامة والوضوء والعبادة
والمراقبة والمحاسبة ويعرض عن الشواغل الحسية ويفرغ القلب عن
محبتها ويتوجه بباطنه الى الله الحق بالكلية فيظهر له الوجد والسكينة
والشوق والمحبة والهيمان والعشق فيمحوه تارة بعد اخرى فيجعله فانيا
عن نفسه فيشاهد المعاني القلبية والحقائق السرية والانوار
الروحية فيتحقق في المشاهدة والمعاينة والمكاشفة ويفيض عليه

العلوم اللدنية والاسرار الالهية ويظهر له انوار حقيقية تارة وتختفي اخرى
حتى يتمكن ويتخلص من التلوين وينزل عليه السكينة الروحية ويصير
ورود هذه الاحوال له مقاما اي ملكة راسخة فيدخل في عوالم الجبروت
ويشاهد العقول المجردة والاضواء القيومية والانوار القاهرة وذوات
الكلية للامور الالهية من الملائكة المقربين والمهيمين في جمال الازل
الفانين في الحق الاول ويتحقق بانوارهم فيظهر له انوار سلطان
الاحدية وسواطع العظمة والكبرياء الالهية فيجعله هباء منثورا
ويندك الجبال الانية فيخر له صعقا ويتلاشى ويزول رسمه ويمحو
من بين ويضمحل عينه في عين الوجود الالهي وهو مقام الجمع والتوحيد
وفي هذا المقام يستهلك في نظره الاغيار ويحرق نوره الحجب والاستار
فينادي الحق لمن الملك اليوم ويجيب بنفسه لنفسه لله الواحد القهار
وهذا نهاية السفر الاول من الاسفار التي للسالكين الكاملين وهذه
النهاية موجبة للولاية المعنوية التي سماها بعضهم التوحيد وبعضهم
بالغيبة الوسطى وربما عبروا عنها بزوال التعينات الخلقية وفناء
وجه العبودية في وجه الربوبية كانعدام بعض القطرة عند الوصول
الى البحر وذوبان الجمد بطلوع الشمس ومنه قول الشيخ التوحيد
عبادة عن ستر وجه العبودية بوجه الربوبية ولاختفاء الكوكب ذاته
عند وجود شمس العظمة والكبرياء فيكون الرب ظاهرا والعبد مختفيا

وهذا

وهذا الاختفاء انما هو في مقابلة اختفاء الحق بالعبد عند ظهوره دائما
وقد يكون بتبديل الصفات البشرية بالصفات الالهية دون الذات
فكلما ارتفعت صفة من صفاتنا قامت صفة الهية مقامها فيكون الحق
سمعه وبصره كما نطق به الحديث المشهور ويتصرف في الوجود بما اراد
الله عند سيره من الحق الى الخلق وهذه للجانبين كالكمل والافراد
الذين قامت قيامتهم وهم في جلابيب ابدانهم قد نفضوها وانسلخت
نفوسهم الانسية عنها كل يوم انسلاخ الحية الوحشية في جلدها عن
كل سنة وروي عن سيد الكونين ومرآة العالمين عليه وآله الصلوة
والسلام من اراد ان يرى ميتا يمشي فلينظر الي وكان السابقون الاولون
من الحكماء الالهيين اصحاب انسلاخ البدن وكانت هذه الصفة
ديدنا وعادة وملكة صادقة لهم وسنة شايعة فيهم كما نقل صاحب
الاشراق انه كان لا يعد الانسان من الحكماء ما لم يطلع على الحكمة القدسية
ولا من المتالهين ما لم يحصل له ملكة خلع البدن حتى يصير البدن با
لنسبة اليه كقميص يخلعه تارة ويلبسه اخرى فاذا بلغ الانسان الى
هذه الرتبة العظيمة والمنزلة الرفيعة التي هي فناؤه في الذات الالهية
وبقاؤه ببقائه فيرى بالحق في الحقائق كلها فيحصل له حق اليقين
لسريان نسبة الذات الالهية في عين مظاهرها فحق اليقين وجداننا
الالهية والكونية ولوازمهما في ذاتها ذوقا ووجدانا وعين اليقين

شهودها بعين البصيرة وعلم اليقين تصورها وادراكها مطابقا لما في
نفس الامر فعلم اليقين للعلماء الراسخين وعين اليقين للعلماء الكاملين
وحق اليقين للانبياء والاولياء الكاملين المكملين لذلك قيل العلم
اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعلماء الظاهرين
لذلك يسمونهم بالعلماء الرسميين لوقوفهم في الرسوم والعلم لخواص
العلماء والعين واليقين لخواص الاولياء والحق لخلاصة خواص
الانبياء والاولياء عليهم صلوات الله وسلامه اجمعين رزقنا
الله الاهتداء بانوارهم والاقتداء بآثارهم **تنبيه** لا تتوهمن ان المراد
الفناء المذكور والموت الارادي هو الفناء العلمي الحاصل للعارفين
الذين لم يبلغوا ارباب الشهود الحالي مع بقائهم عينا وصفة فان
من تصور المحبة وحن من حاله الترقي فانا عطيها كما قال الشاعر
لا يعرف الحب الا من يكابده ... ولا الصبابة الا من يعانيها ... والحق كما
قال بعض العرفاء ان الاعراب منه لغيره ذائقه شرط الاظهار لغيره وجه
واخفاؤه اقول هذا تفسير قولهم ان اظهار سر الربوبية كفر وانكر هنا
بمعنى الاخفاء كما هو بحسب اصل اللغة فان العلم بكيفيه على ما هو عليه
مختص بالله لا يمكن ان يطلع عليه الا من شاهد من عباده الكمل و
حصل له هذا الشهود الشريف والتجلي الذاتي المفني للاعيان با
بالاصالة كما قال الله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى

صعقا فمن كفر بوجدان الحق ولا تعرض لنفحات الطاف الله في
ايام دهره ولا ترقب لجذبات اعطافه التي توازي عمل الثقلين
فان الله غني عن العالمين لعدم استكماله بعرفانهم وانما يستكملوا
منه **تنبيه** ومما يجب عليك يا حبيبي هداك الله الى حقيقة معرفته
وافاض عليك انوار رحمته ان هذه المراتب الرفيعة والدرجات
العظيمة لا تحصل بمجرد قراءة المبدا ولا من الكتب من دون سلوك
طريق الحق والانقطاع عن الخلق ورياضة النفس ومجاهدة القوى
فان اكثر المباحث المبثوثة في الدفاتر الملكوتية في الاوراق انما
الفائدة فيها مجرد الانتباه لحصول الشوق الى الوصول لا الاكتفا
باتصاف النفوس بنقوش المعقول والمنقول فان مجرد
ذلك لا تحصل به اطمينان القلب وسكون النفس وراحة البال
وطيب المذاق بل هي مما يعد السالك لسلوك سبيل العرفان و
الوصول الى الاسرار ان كان مقيدا بالطريق لا مراد متصفا بصفات
الاخيار وليعلم ان معرفة الله وعلم المعاد وعلم طريق الاخرة
ونفحة الانوار ليس المراد الاعتقاد الذي تلقيه العامي والفقيه
وراثة وتلقفا فان المعروف بالتقليد والجمود على الصورة
لم ينفتح له طريق الحقائق كما ينفتح للكرام الالهيين ولا يتمثل له
ما ينكشف للعارفين المستصغرين بعالم الصورة من معرفة

الخلايق وحقيقة الحقايق قال الشيخ الالهيين في حكمة الاشراق
ثم القرون ما طوى فيه بساط الاجتهاد وانقطع سير الافكار
وانحسم باب المكاشفات وانسد طريق المشاهدات وقال
الصادق وكان السالك اذا لم يكن له قوة بحثية هو ناقص فكذا
الباحث اذا لم يكن معه مشاهدة آيات من الملكوت يكون ناقصا
غير معتبر ولا مستنطق من القدس وقال في منطق المطارحات
عقيب ذكر المقولات انظر كيف انغلقت الحكمة من النظر في امور
الروحانيات ومعرفة الطريق الى مشاهدتها وسلم الخلع و
التجريد والعلوم العميقة التي يشهد بصحتها الامم الفاضلة
وعليها مدار الحكمة الى ما فعل شيعة المشائين من الاقتصار
على امور نسبية مقولة متى والجدة بحيث صارت العلوم التي
هي بالحقيقة حكمة وكان عليها مدار الشيئ وشهود انوار الملكوت
منقطعة لا يعرفها المنتسبون الى الحكمة واني لا اعلم باني
اذا نادى منادي الحق لظهور الحقايق بطمس هذه الآراء وتلك
الناقصة الشاغلة وان بقيت تبقى في المواقف الجدلية في
رياضات المبتدئين فتعود الحكمة الرئيسة فان ذات الالق
اذا اتفه صدق واذا وعد حقق وقال فرفوريوس بعد ذكر
مراتب الناس بحسب الاعمال والاخلاق فاما الذين احكموا العلم

فقد ددتهم

فقد ددتهم في الآخرة قدر مكاسبهم من العلوم فالجاهل مع السبع
والحكيم مع الذوات العلوية والتاله مع الانوار القاهرة والعا ف
يضمحل في نور الانوار اقول المراد من الحكيم هو البحري الباحث من
دون التاله والمراد من التاله من سلك في الفلسفة سبيل الاشراق
واعتقد ان جميع المجردات الالهية والعقلية والنفسية من حقيقة
النور وان حقيقة النور حقيقة بسيطة لا جنس لها ولا فصل ولا حد
ولا رسم لانها ظاهرة بذاتها مظهرة لغيرها فلا يمكن تعريفها الا بما
هو غيرها والا لزم تعريف الظاهر بالخفي وتحصيل الحاصل و
يعتقد ان التفاوت بين جميع الانوار القاهرة والمدبرة بل الحسية
ايضا ليس بامر ذاتي او عرضي بل التفاوت بينهما انما هو بالكمال
والنقص والشدة والضعف وبحسب النورية والقرب والبعد
الى نور الانوار ويعتقد ايضا كثرة الانوار القاهرة ازيد من كثرة
الانواع الجسمية لانها ارباب لها مثل الانوار الطولية الاعلونية
العرضية ارباب الاصنام البرزخية وان العوالم اربعة الاول عالم
الانوار القاهرة والثاني عالم الانوار المدبرة والثالث البرزخان
الفلكي والعنصري والرابع الصور المعلقة التي تسمى بالاشباح المجردة
والاشباح الاخروية الى غير ذلك من قواعدهم المبنية على قاعدة
النور والظلمة والمراد من الثاني المضمحل من ربقات الوجود بالله

متصرف واحد حقيقي والحقيقة منحصرة في ذات احدية واجبة وان
موجودية الهيات الممكنة والاعيان الثابتة انما هي بكونها من
اشعة نوره ولمعات ظهوره لا ان لها استقلالا في الوجود الحقيقة
وانفصالا لا يحجب الماهية عن اشراقات الوجود الحقيقي وظلال النور
الاحدى وحاصل ما نقلنا منهم ان العلوم الحقيقية والمعارف
الاخروية لا تحصل الا بالانقطاع عن الدنيا والسير الى الله وهي محرمة
على علماء الدنيا الراغبون فيها لانها علوم ذوقية ومقامات
كشفية مبناها على الذوق والوجدان يتعذر تحصيلها مع محبة
الجاه والترفع والاخلال بالتقوى الحقيقية بخلاف ساير العلوم
فانها تجتمع مع محبة الدنيا بل ربما كانت معينة على اكتسابها لما
نرى من المتعلمين تحمل المشاق وسهر الليالي والتكرار آناء الليل
واطراف النهار وتصبر على الغربة والاسفار كل ذلك للجاه الوهمي
والتصدر الخيالي والتبسط في البلاد والترفع على العباد واما
علوم الآخرة فلا تحصل الا برفض محبة الدنيا عن القلب ومجانبة
الهوى ولا تدرس الا في مدرسة التقوى كما قال الله واتقوا الله
ويعلمكم الله فجعل العلم ميراث التقوى وظاهر ان العلوم المتعارفة
ميسرة من غير ذلك بل مع شدة الحرص على الترفعات الدنيوية
والرياسات الحيوانية والاهتمام بالشهرة عند الناس فعلم من ذلك

فضل علم الحقايق وسلوك طريق الآخرة حيث لم يكشف الا لاولي الالباب
واولوا الالباب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا والراغبون في الآخرة
ولهذا قد افتى بعض الفقهاء اذا اوصى رجل بماله لاعقل الناس انه
يصرف الى الزهاد لانهم اعقل الخلق وقال صاحب الفتوحات المكية
من لا كشف له لا علم له وقال بعضهم ان نسبة البصيرة الى مدركاتها
كنسبة البصر الى مدركاته فكما ان للبصر نورا كلما يقع في ذلك النور
فهو يدركه فكذا للبصيرة نور كل ما يقع فيه فهو يدركها ولا يدرك
حقيقة هذا النور الا من له نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من
نور وهكذا ادركات جميع الانوار حتى نور الانوار وكلما ازداد
النفس نورية وشروقا ازداد انبساطا فيقع فيه المعلومات اكثر
وهكذا يكون الحال في كل متنزل اما اذا العالم بحيث يكون كمالا
ته الممكنة له موجودة معه بالفعل كالعقول الفعالة فلا يزداد
نوريته ولا يشتد ولا يتجاوز مرتبته في العلم وما منا الا له
مقام معلوم ثم ان كان الكمال والنور بحيث لا يمكن اكمل منه ولا
انور كان جميع الاشياء واقعة في نوره بل يكون نوره نافذا
في الكل متصرفا فيها محيطا بها ازلا وابدا ولا يعزب عنه مثقال
ذرة في الارض ولا في السماء وهيهنا اسرار لا يجوز التعبير عنها
لعزتها وشرفها تفطن لبعضها من وفق لها من اهلها قال الحكماء

العقل نور الله ولا اهتدى الى النور غير النور ولا يظهر صورة نور
فردانيته الا فى مرآة فردانية النفس مرآة الله ومرآة الله لا يشبهها
مرآة الاجسام ونعم ما قيل اذا وضعت على سواد عينك جزءا من
الدنيا لا ترى شيئا فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا
كيف ترى بقلبك شيئا شعر گرچه موئى بديده كوه بود
ليكن آن موى در دو ديده دسته بود بود آدم ديده نور قديم
موى در ديده بود كوه عظيم وقال الشيخ السهروردى صاحب
كتاب الرشف ان العبد اذا اتصل علمه بعلم الحق لا يكون لعلمه نهاية
يعنى باتصال علم العبد بعلم ربه فنا نه فيه وادراكه للاشياء
بنور الحق وهذا العلم فوق علوم الملائكة والثقلين الوهبية و
الكسبية لغاية تمامه بعلم الله تعالى واليه اشارة فى قول بعض
العرفاء وشتان بين علم كان فيضه وبين علم كان عين علمه فى
مرتبة لا يغاير العلم ذاته واذا فهمت هذا المقام الغريب علمت ان
هذا البيت من قصيدة البردة فى مدح سيد المرسلين صلوات الله
عليه وآله اجمعين ليس من باب المبالغات الشعرية والمجازات
اللغوية وهو هذا فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك
علم اللوح والقلم واعلم ان درجة الوصول الى الحق لا يتيسر
الا بقطع الحجب الظلمانية ثم النورانية كما وقع فى الحديث ان لله

سبعين الف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه
ما انتهى اليه بصره من خلقه والمراد من هذا العدد مجرد الكثرة لان
العرب يستعمل لفظ السبعة والسبعين وسبعمائة وسبعين الف
لاجل الكثرة والنكتة فيه ان سبعة عدد كامل يوجد فيه انواع
العدد واصنافه من الفرد والزوج وزوج الزوج وزوج الفرد
والتام والناقص والزائد والمنطق والاصم والجذر والمجذور
والعاد والمعدود والمسطح والمكعب وغير ذلك ويؤيد ذلك
ما رأينا فى بعض الروايات ما مضمونه انه سئل من رسول الله
صلى الله عليه وآله ان اى البقاع اشرف وايها ادون قال ص لا
اجيب حتى اسئل من جبرئيل عليه السلام ولما سئله عنه قال لا اجيب
حتى اسئل عن الله عز وجل فلما نزل عن الله قال ما كنت قريبا
من الله قط اقرب من هذا اليوم قال رسول الله ص كيف كان قربك
من الله يا جبرئيل قال صرت بحيث لم يكن بينى وبين القوازبه
من سبعين الف حجاب فسألت عن ذلك فقال تبارك و
تعالى خير البقاع مساجدها وشر البقاع اسواقها فانظر ايها
المسكين اذا كان الحجب بين الملك الجليل معلم الانبياء وبين الله
تعالى فى غاية دنوه وكمال قربه اليه سبعين الف فكيف يكون
بين مثلى ومثلك وبين رب تعالى ما للتراب ورب الارباب

وجد ذكر الله نفسه فان شئت ان تصل كعبة المقصود فاعز
تقربا اليه حيوانيتك وازل عنك وجودك واماط اذى هويتك
من الطريق فان طريق الحق لا يحتمل ثقلك فضلا عن اثقالك
واوزار وجودك ذنب لا يقاس به ذنب فان المانع من ظهور
الحق لك وجودك وانك بانانيتك في شهودك الحق هويتك
وانك كما قال الحلاج ٭ بيني وبينك انّي ينازعني ٭ فارفع
بلطفك انّي من البين ٭ قال بعضهم عرفت الله باعاجيب آياته
ودلائله هيبة للصور ولا بالفكرة فان الفكرة لا تتسلط على رب
الارباب ٭ زنهار بجلك قياسى ٭ عزو ثنوى بحق شناسى
پندار خود از ميانه بردار ٭ توحيد تو شرك تواست هشدار
خود را صفت كند ثنا است ٭ توحيد خدا بود كما هست
اى ذره چه مرد آفتاب ٭ تن ديك مشو كه بو نشا بى
كفتند مسبحان افلاك ٭ سبحانك نحن ما عرفناك
احمد كه خلاصه وجودست ٭ لا احصى كفت در سجودات
فجليت يا حبيبي وجه قلبك عن الالوان تخليه وجه المرآة عن
الالوان فيتجلى لك وجه الكريم تجلي نور الشمس على التراب الرميم
فنظرت بلا انت ذاته بذاته ولهذا قالوا لا يعرف الله غير الله
وقال بعضهم اذا تم الفقر فهو الله ٭ فذلك شرط الفناء بقائه

وذلك صباح كنت انت ظلامه ٭ والاشارة الى هذا قيل انما يتبين
الحق عند اضمحلال الرسوم ٭ در تنكناى صورت معنى چكونه كنجد
در كلبه كدايان سلطان چكار دارد ٭ قال الاعرابي في فصوص الحكم
ان العارفين يظهرون مثل ما نهم في الصورة الدنيا ويجرى
عليهم من احكامها والله تعالى قد حولهم في بواطنهم في النشاة
الآخرة لا بد من ذلك فهم في الصورة مجهولون الا لمن كشف الله
عن بصيرته فما من عارف بالله من حيث التجلي الالهي الا وهو على
النشاة الآخرة قد حشر في دنياه ونشر من قبره فهو يرى ما لا يرون
ويشهد ما لا يشهدون عناية من الله ببعض عباده وبالفناء
المذكور يستعد الانسان لخلافة الحق ومسجودية الملائكة بواسطة
مرآتية ذاته وصفاته وجهه وخلو صفحة قلبه عن نقش الاغيار و
صفاء بيت وجوده عن غير الواحد القهار فوقعت على مرآة وجهه
التوجه الى وجه الحق انوار اسمائه وتجلياته وعلم آدم الاسماء كلها
وليس مما يختص بابي البشر بل سيد الانبياء وخاتم الرسل في
هذا التشريف وبعده صفوة اولاده وورثته صلوات الله عليهم
اجمعين ٭ تو بودى عكس معبود ملايك ٭ ازآن كشتى تو
مسجود ملايك ٭ ازان دانسته تو جمله اسما ٭ كه هستى صورت
عكس مسمى ٭ قال الشيخ القونوي ان هذا التجرد متعسر ما دام

في الوجود خليفة والخلافة باقية الى يوم القيمة فالسجود باقٍ في
قدر معنى التسوية والتعديل فانهما يرجعان الى جهة الوحدة
والاستواء والصفاء فان المرآة ما لم يتساو جوانبه ولم ينتف عنها
الاختلاف والظلمة والكدورة والطبع والرين ولم تصر وحدانية
الشكل عديم اللون بل عديم الذات لم يقبل الصور فان مرآتية
المرآة ليس لاجل اعماقه وخصوصية نوعية ذاته وكونها من حديد
او زجاج او ماء بل بواسطة وحدته الذى هو عدم محض وفان
بحيث فناسوت الانسان الكامل والفانى المضمحل فى نور الانوار
لا يخلو عن ملاحظة ذاته وفعلية صفاته الكمالية الحاجبة اياه
عن محاذات وجهه شطر كعبة المقصود والانخراط بالكلية فى سلك
عبودية الملك ولهذا المعنى قيل ان اثبات نسبة الانكار مجمع
قصارى مجهود العابدين ونهاية مطامح انظار العارفين و
البدايات فى قوله تعالى كن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك
اليقين ولان العبودية اشرف المقامات مدح الله نبيه فى
قوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلاً وافتخر بذلك روح الله
على نبينا وعليه السلام اول ما نطق فقال انى عبد الله وكان
سيد الاولياء امير المؤمنين عليه السلام يقول كفى لى فخراً ان
اكون لك عبداً وكفى لى شرفاً ان يكون لى رباً اللهم انى وجدتك

الهًا

الهاً كما اردت فاجعلنى عبداً كما اردت ومن القسم النيسابورى
ان منهم من قال ان العبودية اشرف من الرسالة لان العبودية
ينصرف من الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق
ولهذا نال شرف التقدم فى قول الموحد اشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله لن
يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربين وهم
المهيمون منهم الذين حصل لهم الفناء فى الحق والهيمان له
لا يسعنى ارضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن
التقى النقى ولا يخفى ان سبب هذه الوسعة لقلب العبد و
الانشراح لصدره انما هو ترك الالتفات الى غير الله والاقبال
بالكلية اليه والتحقق بالعبودية الصرفة والاستهلاك و
لهذه الدقيقة ذكر فى الحديث الالهى بهذا العنوان دون الرتب
من الالقاب ٥ دو عالم را بيك بار از دل تنك ٥ برون كرديم
تا جاى تو باشد ٥ ولما علمت معنى الوصول والتقرب الى الحق
والالتحاق به على هذا الوجه من صيرورة العبد لصفاء ذاته
وتسويته وجهه مرآة لرؤية الحق واسمائه وصفاته ومظهراً
لانواره وآثاره علمت ان هذا ليس بامتزاج ولا اتصال ولا حلول
ولا اتحاد تعالى عما يقول الملحدون علواً كبيراً بل هو توجه استغراقى

وعلامة اضمحلاليته وعبوديته تامة يحكم عليها شعاع طامس فهي
يمحو عنها الالتفات الى غير الحق اى غير كان وان كان هو نفس
العارف او عرفانه من حيث هو عرفانه فان في ذلك شركا خفيا
وقولا بالثانى والتوحيد ينافيه وبالجملة عند اهل التحقيق
عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان هم العارفون
الذين يعرفون مداخله من انحاء التقيدات والركون الى زخارف
عالم الكون وزينته التى هي امور وهمية لا حقيقة لها بحسب
مسمياتها الموقفون مع الامر الالهى لا يتعدون عنه والموحدون
الذين لا يرون لغيره وجودا متاصلا ولا ذاتا مستقلة ولا يرون
الاشياء الا مظاهر فيضه وجوده ومجالى جماله وجلاله فيكون
عباداتهم وحركاتهم وسكناتهم كلها بالله من الله الى الله لله
قال تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه والذين يعبدون
الله من حيث الوهيته وذاته المستحقة للعبادة لا من حيث انه
رحيم او منعم او منتقم فان عبد المنعم لا يكون عبد المنتقم وعبد
الرحيم لا يكون عبد القهار ولا للدخول الجنة ولا للخلاص من النار
كما قال امير المؤمنين ومولى الموحدين ما عبدتك خوفا من نارك
ولا طمعا فى جنتك بل وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك فان
الانسان الذى يعبد ربه من هذه الحيثيات لا مطلقا فهو عبد

حظ

حظه واسير نفسه فلا يكون عبد الله مجردا عما سواه لذلك اضافهم
الحق الى نفسه فى قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان والى
هذا المقام اشار صاحب القصيدة التائية قدس الله روحه حيث
قال ❁ وان فتن العشاق بعض محاسن ❁ لديك فكل منك موضع
فتنتى ❁ اى ان اوقع الزاهدين والعابدين فى الفتنة بعض
محاسنك فكل واحد منها موجب لايقاع العارفين فى الفتنة
لان الذين افتتنوا ببعض المحاسن دون البعض كافتتانهم با
بالرحمة واللطف ومقتضياتهما من الجنة والنعيم ودرجاتها
دون القهر والاذلال ومقتضياتهما من الجحيم والعذاب و
دركاتها لمن آمن ببعض وكفر ببعض فهم الذين قال الله فيهم
ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به
وان اصابته فتنة انقلب على وجهه الآية والعارفون الذين
يحبون الذات هم الذين يفتنون بجميع المحاسن فكل منها
سبب لافتتان قلوبهم وهيمان ارواحهم سواء كان لطفا او قهرا
ورحمة او عذابا او اعزازا واذلالا لكون نظرهم فى الذات الالهية
وجميع الصفات والاسماء والافعال فانية منها صادرة عنها
وكل ما يفعل المحبوب محبوب واعلم ان مراتب الناس فى عباداتهم
بحسب خلوص النية وشوبها تابعة لدرجات معارفهم الحقة

مكاسبهم فى الطاعة قدر مراتبهم فى المعرفة بذ والعبودية ثم ان
الناس فى ادراك المبدأ والمعاد على طبقات متفاوتة فالطبقة
الاولى اصحاب المكاشفة وهم الذين يعرفون الحق الحق سرك
الالتفات الى ذواتهم وفناء اعيانهم فيخرون له سجداً فى
فيشاهدون آياته والثانية افاضل الحكماء وهم الذين يد[ركونه]
على الوجه العقلى الصرف وفى حال تعقلاتهم لاحوال المبدأ
والمعاد يبدل اوهامهم وخيالاتهم صوراً تناسب تلك
العقليات على الطف وجه واشرفه لكنهم يعلمون انها فوق
تلك الصور الوهمية والخيالية والثالثة عامة اهل الايمان
وهم يعجزون عن تلك المرتبة وغاية امرهم تصورات وهمية
تمثل لهم المبدأ والمعاد كما يليق بشانهم وبعظيم شانهم وهم
مع ذلك ينزهون مبدأ الكل ومعاده عن الامور الخيالية
والجسمانية والرابعة اهل التسليم وهم يعجزون عن الامور
الوهمية دون الخيالية فتقرب لهم الحق وملكوته الاعلى بامثلة
جسمانية يخيلونها وينزهونها عن لواحق الاجسام ودون
هؤلاء قوم قاصروا النظر لا يكادون يتصورون غير الجسمانيات
ومثل هذه الدرجات فى المعرفة بان يشاهد احد ذات شخص
وهويته ويطلع آخر على حقيقته وهيئته وآخر على صورته الخيالية

ودايع على عكسه فى المرآة وخاص على تمثاله الذى صوره
النقاش فاذا علمت تفاضل مراتب الناس فى ادراك الحق علمت
درجاتهم فى الوصول فان البداية يناسب النهاية والفاعل تحقه
مع الغاية وبيانه ان مبادى الافعال الاختيارية الانسانية
التى هى من باب الحركات والسلوك الى ما يجد موزاعنة و
مطلوبا لديه النفوس بما هو المقصود من الطلب والعلم بآخرها
ينتهى اليه القصد فاول الفكرة آخر العمل ومبدأ الغنية منتهى
الوصول فاذا كان الادراك المرتب عليه الحركة والطلب حسيا
فالمطلوب يكون محسوسا كالاكل والشرب والوقاع وغيرها
وان كان وهميا فالمطلوب يكون امراً موهوما كالظفر على العدو
والوصول الى الرياسات وان كان عقليا فعقليات كالاحاطة بالعقول
والترفع عن المحسوسات وان كان الهيا فالهيا كالعبودية التامة
والشهادة الكاملة وترك الالتفات الى الاغيار والرجوع الى
الواحد القهار مقام جمعى ان السر الوجودى والنفس الرحمانى
لما كان ظاهراً فى كل الموجودات على تفاوت طبقاتهم و لكل
منهم نصيب من الرحمة الشاملة على تباين درجاتهم ولا شبهة
فى ان الاقرب الى الحق افضل من غيره لقلة الوسايط بينه
وبين ينبوع الوجود والمقام الجمعى الالهى ولعدم تضاعف

الوجوه الامكانية لان كل ما تركب من امور ممكنة يتصف بامكان
الهيئة الاجتماعية الحاصلة وامكانات اجزائه فتضاعف الامكان
وكل ما كثر وجوه امكاناته تزداد بعدا من الواجب لذاته والانسان
واقع في آخر مرتبة الحيوان بعد صور العناصر والاركان لذلك
قال تعالى ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل
سافلين فما لم يتجرد ذاته من جميع الاغشية والملبوسات ولم يؤد
الامانات المحفوظة فيها عنده ولم يلق في كل مقام وجوده على كل
مرتبة من عالم الغيب الى عالم الشهادة بتركه التعلق اليها والاعراض
عنها ولم يتنزه عن وجوه الامكانات ونقايصها لم يطلع على الجنة
المقدسة ولم يظهر له الوجوب الذاتي ولوامع الغيب في سرائر الوحدة
فكان الانسان من لدن اول نقصه وكونه الى آخر كماله وظهوره
ما لم يمت عن مرتبة ادنى لم يحصل له درجة اخرى فوقها وما لم
يخلع عنه صورته الناقصة لم يتلبس بصورة الكمال الانساني وكان
كل فساد منه ملزوما لكون لاحق له ومن كل موت يخرج بحشر نشأة
ثم بينا انه لحيوة يدخل بها في نشأة اعلى منها الى ان يبلغ الى هذه
المرتبة الكمالية فاذن ما لم يحصل له قطع التعلق عن الصور الامكانية
وترك الالتفات الى القيود النفسانية لم يتصور له الوصول الى
درجة المقربين والانخراط في سلك المهيمين وعباد الرحمن الذين

للشيطان عليهم سلطان كما اشير اليه في المثنوي المحقق المولوي

از جمادی مردم ونامی شدم ۞ از نما مردم ز حیوان سر زدم
مردم از حیوانی وآدم شدم ۞ پس چه ترسم کی ز مردن کم شدم
پس بمیرم بار دیگر از بشر ۞ تا بر آرم از ملایک بال و پر
بار دیگر از ملک قربان شوم ۞ آنچه اندر وهم ناید آن شوم

فالسالك في الحقيقة هو الذي يقطع الحجب الظلمانية وهي البرازخ
الجسمانية والنورية وهي الجواهر الروحانية بكثرة الرياضات
الشرعية والمجاهدات الملية الموجبة لظهور المناسبات التي بينه و
بين ما يصل اليه في كل خلع ولبس وموت وحيوة من النفوس و
العقول المجردة الى ان يصل الى المبدأ الاول وعلة العلل فاذا لم
يكن للسالك جذبة بل يكون سيره بمجرد العلم والرياضة
فلما يصل من هذا الطريق الى المقصد لبعد مرامه وطول طريقه
وكثرة عقباته وآفاته وان لحقته عناية ربانية خاصة لاجل
طريق خاص له ووجه خاص يكون لكل قلب الى ربه فقطع
الحجب بالجذبات الالهية من غير ان يعرف المنازل والمقامات
وهذا الطريق الذي يخص كل احد ويسمى طريق السر وصوله
منه اخبر العارف الرباني بقوله حدثني قلبي عن ربي. وقال
سيد البشر صلى الله عليه وآله لي مع الله وقت لا يسعني فيه

ملك مقرب ولا نبي مرسل لكونه من الوجه الخاص الذى لا واسطة
بينه وبين ربه فاذا رجع هذا السالك الذى يسلك الطريق
بالجذبات الالهية الى الخلق لتنوره بالنور الالهى وتحققه
بالوجود الحقانى فحينئذ يحصل له العلم من العلة بالمعلول
ويكمل له الشهود فى مراتب الوجود فتكون قوة شهوده افضل
واقتداره على التصرف فى الخلق عند رجوعه عن الحق اكمل وذهب
اكثر المحققين من العرفاء الواصلين الى ان العلم الحقيقى بالمعلومات
الوجودية لا يحصل الا بالتجلى الالهى طبقا لوحنا اليه واوضحنا
فى بعض كتبنا الحكمية والانبياء صلوات الله عليهم اجمعين
لا يأخذون علومهم الا من الوحى الخاص الالهى لان قلوبهم سالمة
من النظر العقلى والعلم الاكتسابى والاخبار ايضا يقصر عن
ادراك ما لا ينال الا بالذوق واما الحواس فلا سبيل لها الى
ادراك بواطن الاشياء واسرارها وانما يدرك من الاشياء
ظواهرها واشكالها ولا يدرك الا مجملات الامور ومركباتها
دون تفاصيلها ومبسوطاتها واما العقل بحسب قوته
النظرية وترتيب المقدمات والاشكال القياسية فلا يمكن ان
يعرف من الحقائق شيئا لانها لا يفيد الا اثبات المفهومات
الذهنية والامور الخارجة عنها لوازم الاكوان الوجودية اللازمة

اياها اللازم وما بينا انه غير بين والاقوال الشارحة لابد وان يكون
اجزاؤها معلومة فقلنا ان كان المحدود مركبا فالكلام فيها
كالكلام فى الاول وان كان بسيطا لا جزء له فى العقل ولا
فى الخارج فلا يمكن تعريفه الا بذكر لوازمه البينة كالوجود
الواجبى وساير الانيات الوجودية والبسائط النورية فالحقائق
على حالها مجهولة فلم يبق للسالك الكامل الا ان التجلى الالهى وما
يكشف الحق من اعين البصائر من الاغذية والملبوسات الحاصلة
من التعلقات فيدرك الامور قديمها وحديثها وعدمها
ووجودها ومحالها وجائزها وواجبها على ما هى عليه فى حقائقها
ومهيا تها فمتى توجه العقل النظرى الى معرفتها من غير تطهير
المحل من الرين الحاصلة من الركون الى الدنيا الحاجبة اياه من
ادراك الاشياء كما هى يقع فى تيه الحيرة وبيداء الظلمة ويخبط
خبط عشواء فانه مع رين الذنوب والشبهات والركون الى
هواء النفس والتعلقات فلا يحصل له هذا اليقين اللهم
الا ان يكون فى غاية الذكاء والفطنة بحيث يكاد زيتها يضئ
ولو لم تمسسه نار فانه بقوة الاستعداد يحصل له العلم
اليقينى ولكنه نادر وذلك النادر ايضا لا يحصل له اليقين
فيما وراء طور العقل كاحوال الآخرة ومشاهدة انوار الجبروت

وغيرها مما ليس للعقل فيه دخل الا بالمبالغة والتصفية ودفع
ورفض الشاوات فالعلم اليقيني بكماله لا يحصل الا بمتابعة
الانبياء والاولياء وسلوك طريقهم المستوى وصراطهم المستقيم
واكثر من اخذت الفطانة بيده وادرك المعقولات بفكره
ودانته من وراء حجاب فهمه وعقله لغاية الذكاء وشدة
الفطنة من الحكماء اصحاب النفوس من غير طريق الخلع والتجريد
والوحدة عن الخلق والتفريد زعم انه ادرك الحقايق على ما
هي عليه ولما تنبه آخر الامر وينتهي الغرانه لا حاصل له
سوى علمه بانه ما علم حقيقة شيء اعترف بالعجز والقصور
والنقص والفتور والانظار الفكرية انما شانها مجرد الاعداد
الغير البالغ الا الى افق الوادي المقدس وهو الافق المبين
فكانما قرعت باب الغيب ليفيض منه المطلوب على قلب الطالب
فلا ينكشف المطلوب على صاحبه عيانا بمجرد النظر
الفكري وكذلك الاخبار الالهي بواسطة الملك لا يرى
الى قوله ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب
بضنين واما العيان فلا يكون الا بالنور الكشفي وهو دونه
لذوي اللب الذين هم عرجوا الى الافق الاعلى ودنا وذوا
الى مقام او ادنى ما كذب الفؤاد ما رآى فهنالك يرون الاشيا

كما هي فالعالم متى لم يكن علمه مستفادا من الله بلا واسطة الكتب و
المعلمين فليس من ورثة الانبياء لان علومهم لدنية لا يستفاد
الا من الله كما قال وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم وتعليم الحق غير مختص بالانبياء لعموم قوله
فاتقوا الله ويعلمكم الله فكل من وصل في قوة سلوكه الى
حقيقة التقوى فلا بد ان يعلمه الله ما لم يكن يعلم كما قال الله
تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والاحسان
ان تعبد الله كانك تراه كما روي في الحديث النبوي واذا صح
مورد العلم بحقيقة التقوى ونفى مصدره من شوايب الهوى
امد بكلمات الله التي ينفد البحار دون نفادها وهذه رتبة
الراسخين في العلم الذين هم ورثة الانبياء في العلم لا المترسمين
بصورة العلم المتوسمين باسم العلماء الذين في مهوى الهوى وحب
الرياسة فان قطرة من هوى النفس يكدر بحرا من العلم ونوازع
الهوى مركوزة في النفوس الانسية مستصحبة اياه من محتدها
السفلي ومغرسها الهيولي ومنبتها الارضي فاذا كانت العلم
خطئة من وجه العالي وفرقته من مها مه الافكار والتخيلات
الجزئية التي هي من نتايج القوى السفلية فاقدته وغيرته
عن افادة ما يقتضيه ويوجبه اذ كان نقيا خالصا من شوايب

خطئة

الهوى والاغراض النفسية من الارتقاء الى العالم الاعلى ومجاورة
المقربين ومكالمة القدوسين فان فى اتباع الهوى اخلاداً الى
الارض كما فى قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض
واتبع هواه فنطهر نور الفطرة عن رذايل التخيلات والادمان
بالوهومات التى استرقت العقول الضعيفة والنفوس القاصرة
والقوى الجزئية من شان البالغين من الرجال فنصحب نفوسهم
الطاهرة الملا الاعلى ونسرح فى ميادين القدس اما ذلك فهم
وايانا يا حبيبى من محبة حطام الدنيا واستحلاء نظر الخلق
وعقايدهم فطالب الرفيق الاعلى مكلم محدث ب دعلية الشريعة
الالهية لكثرة ولوجه على حريم القرب الالهى وغلبة كتابة
دلايل البرهان بنور العيان واتباعه لشريعة الله البيضاء
ونوغل بجبوحة الاسرار ولارتقائه فى معارج الاعتداد و
الاستعداد ونفخة الله تعالى فى قوالب علومه روح العبودية
ليتبوء بتحت استار الانانية عن الابصار فلابد ذكره لكل سالك
لطريق سيأتى